الدكتور نائل حنون

المدافن والمعابد

في حضارة بلاد الرافدين القديمة

دراسة عن الشعائر والعمارة في النصوص المسمارية والآثار

الجزء الأول

المدافن وشعائرها

2006 م

عنوان الكتاب: المدافن والمعابد في حضارة بلاد الرافدين القديمة

دراسة عن الشعائر والعمارة في النصوص المسمارية والآثار

الجزء الأول: المدافن وشعائرها

المؤلف: الدكتور نائل حنون

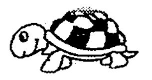
الطبعة الأولى 2006 م

العنوان: دمشق-قصاع

هاتف: 4428265-(11)-963+

موبايل: 220685-94-963+

بريد إلكتروني: al-kharifpub@hotmail.com



الإهـــــــداء

إلى ذكرى عالم الآثار الراحل جيريمي بلاك ....

ليس ميتاً من يعمل مثل ما عملت.

نائل

To the Memory of Jeremy Black
For he who works as you worked there will be no death.

المحتـــويـــات

مقدمة

تتلخص عقائد ما بعد الموت والحياة الأخرى في حضارة بلاد الرافدين القديمة في أن الموت محتوم على البشر، وأن الخلود ميزة استأثر بها الآلهة فقط ولا يمكن لإنسان أن يحظى بها سوى اوتا-نبشتِ (نوح البابلي) وزوجته، بعد أن نقلهما الآلهة إلى مصافّهم مكافأة لهما على دورهما في إنقاذ حياة البشر والكائنات الحية الأخرى من الهلاك في الطوفان. وبحسب تلك العقائد يكون حدوث الموت بانفصال الروح عن الجسد لتنـزل إلى العالم السفلي (عالم الأرواح تحت الأرض)، في حين يُودع الجسد في القبر ليبلى. ولم يكن خلود الروح يعتمد على المحافظة على الجسد، مثلما كان معتقداً به في حضارة بلاد النيل القديمة على سبيل المثال، وإنما يقتصر المغزى من دفن جسد المتوفى على ضمان نزول روحه إلى العالم السفلي وعدم بقائها هائمة غاضبة في عالم الأحياء. فكان المعتقد في بلاد الرافدين القديمة أن الروح تحرم من النـزول إلى العالم السفلي والاستقرار فيه إن حرم جثمان صاحبها من الدفن أو من إقامة الشعائر الجنائزية.

في ظل تلك العقائد كان الاهتمام كبيراً بعملية الدفن وترتيب القبور. ولكن ذلك الاهتمام لم يكن يصل إلى العمل على حفظ جسد المتوفى، إذ لم يكن ذلك جزءاً من تلك العقائد القديمة. فبموجب تلك العقائد كان ينظر إلى الجسد على أنه الجزء الذي تنتهي وظيفته بموت الإنسان، وآخر دور له أن يكون منطلقاً للروح في بداية رحلتها نـزولاً إلى العالم السفلي. ولذلك كان متوقعاً مسبقاً تعرّض الجثمان للبلى في القبر بعد أن يضمن نزول الروح إلى عالمها الأخير. ولكن عملية الدفن بحد ذاتها وموضع القبر وشكله ووضع الجثمان في داخله، وما يودع معه من أثاث جنائزي، كل ذلك يقدم مشهداً يصور الجوانب الأساسية لعقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد الرافدين القديمة. ويكتمل هذا المشهد بالمراسم والشعائر الخاصة بالموت والدفن وبالمراثي التي تحكي عن وقع أثر الموت على الأحياء.

ومن أجل تقديم موضوع "المدافن وشعائرها" بجوانبه المختلفة فقد أعد هذا الكتاب

المدافن والمعابد في حضارة بلاد الرافدين القديمة ليتألف من جزئين، يشتمل الجزء الأول "المدافن وشعائرها" على ثلاثة فصول خُصّص الأول منها لدراسة "المدافن وطرق الدفن" وشرح دلالاتها على الموضوع. وتكتمل مادة الفصل الأول بما يقدمه الفصل الثاني وعنوانه "القبور في التنقيبات الآثارية"، ويتضمن عرضاً مصوراً لقبور مكتشفة في مواقع مختلفة ومن عصور مختلفة لتوضيح الممارسات والشعائر التي حددتها معتقدات الموت وما بعده وكيفية تعامل الآثاريين مع هذا الجانب واستخلاص الدليل منه. أما الفصل الثالث فيتناول "الموت في المراسم والشعائر والمراثي" لشرح مفهوم الموت ووقعه عند الأحياء والأثر الاجتماعي الذي يتركه حدوثه.

ويشتمل الجزء الثاني "المعابد وزقوراتها" على ثلاثة فصول أيضاً. يتناول الفصل الأول، وعنوانه "المعابد"، أبنية المعابد التي تم اكتشافها في مواقع المدن القديمة في بلاد الرافدين وأنواعها ووظائفها. ويتضمن الفصل الثاني، "الزقورات"، بحثاً مفصلاً عن ظهور هذا النوع من العمارة الدينية وتطورها عبر العصور القديمة حتى اتخاذها شكل البرج المدرج. وفي هذا البحث محاولة جديدة لتفسير وظيفة الزقورة في حضارة بلاد الرافدين القديمة. وأخيراً يأتي الفصل الثالث الذي يتضمن قائمة بأسماء المعابد في المدن القديمة ومعاني هذه الأسماء.

لقد كانت عملية إعداد هذا الكتاب وإصداره رحلة طويلة تكللت بإخراج الكتاب ووصوله إلى يد القارئ الكريم بهذا الشكل. وطوال ذلك كان معي من لا ينسى فضلهم في إنجاح هذا المشروع العلمي وإنجازه، وأقصد بهم الإخوة الأعزاء في دار الخريف للنشر والتوزيع.

وختاماً كلمة محبة وتقدير لصديقي العزيز الأستاذ عصام عبد الرحيم ولأصدقائي الأعزاء في سورية على دعمهم وتشجيعهم المتواصل لعملي في إنجاز المشروع العلمي الذي يمثل هذا الكتاب حلقة منه.

أ.د. نائل حنون

آب/2005

الجزء الأول

المدافن وشعائرها

الجزء الأول الفصل الأول

المدافن وطرق الدفن

يعالج هذا الفصل ستة مواضيع رئيسة متعلقة بالمدافن وطرق الدفن، وهي: مواضع الدفن، أنواع القبور والتوابيت، وضع الجثة واتجاهها في القبر، الأثاث الجنائزي، وشواهد القبور.

مواضع الدفن

عرفت المجتمعات البشرية، منذ تكونها، طرقاً عديدة للتخلص من جثث الأموات في ظل المعتقدات التي اعتنقتها. وتراوحت هذه الطرق من حفظ الجثة في حرز خفي بعد ضمان إبقائها على شكلها، باستعمال التحنيط مثلاً، إلى الإتلاف الكامل لها عن طريق تعرضها للضواري والجوارح أو حرقها. ولكن الطريقة الأكثر شيوعاً، عبر مراحل التاريخ البشري، كانت الدفن بأشكاله المختلفة. وكانت هذه الطريقة تكاد أن تكون الوحيدة التي استعملت في ظل معتقدات بلاد الرافدين. ومن هنا فقد كشفت التنقيبات الآثارية التي جرت في مواقع هذه الحضارة عن العديد من المدافن والأضرحة والقبور. وبسبب أساليب الدفن التي كانت متبعة في تلك المواقع وما تضمنته القبور من محتويات فقد أصبح للمدافن القديمة أهمية خاصة في عمل المنقبين وفي دراسة الأبعاد الدينية والاجتماعية وحتى الاقتصادية والسياسية لهذه الحضارة.

لقد مورس دفن الأموات في بلاد الرافدين القديمة في أربعة مواضع يؤدي كل منها إلى تحقيق الغرض المبتغى من عملية الدفن، أي ضمان نزول روح المتوفى إلى العالم السفلي (عالم الأرواح) وحفظ بقايا الجثة بعيداً عن الأيدي العابثة لضمان سكينة الروح واستقرارها في ذلك العالم. وتلك المواضع الأربعة هي:

أولاً– تحت أرضيات المساكن:

يمثل الدفن تحت أرضيات المساكن أقدم ما اتّبع في دفن الأموات في تاريخ بلاد الرافدين. فقد كشفت التنقيبات الآثارية في كهف شانيدار في شمالي العراق عن تسعة هياكل عظمية لسبعة من البالغين وطفلين من نوع إنسان النياندرتال، وذلك في الطبقة (د) من الكهف التي تعود إلى العصر الحجري القديم الأوسط، قبل حوالي ستين ألف سنة. واعتقد المنقب الذي اكتشفها وهو رالف سولكي، في بادئ الأمر أن أولئك النياندرتاليين ماتوا نتيجة لانهيار الصخور من سقف الكهف. ولكن سولكي وجد نفسه لاحقاً أمام اكتشاف آخر مهم لأكداس من الحجارة مرتبة فوق بعض الهياكل التي عثر بقربها على بعض الأدوات والعظام الحيوانية، وكذلك بعض الفحم الحاصل من حرق الخشب[1]. وكان أحد الهياكل (الرقم 4) بوضعية التكوير داخل دائرة من الأحجار[2]. وكان من المدهش اكتشاف أن صاحب هذا الهيكل قد دُفنت معه الورود، وهو ما أُثبت بتحليل العينات المأخوذة من تراب القبر[3].

ومورس الدفن تحت مساكن الأحياء في العصر الحجري الحديث. فقد كانت العادة الغالبة في موقع جرمو، قرب مدينة جمجمال في شمال العراق، أن يُلحد الميت في قبر يحفر تحت أرضيات بيوت السكنى[4]. وهذا ما مورس أيضاً من قبل سكان الطبقة الأولى في تل الصوان[5] قرب مدينة سامراء الحالية في وسط العراق. وفي تل حسونه، إلى الجنوب من مدينة الموصل في شمال العراق، اكتشفت هياكل الأطفال تحت أرضيات البيوت[6] أيضاً، واتّبعت الطريقة نفسها في موقع العبيد في جنوب بلاد الرافدين[7]. ومورس الدفن تحت أرضيات البيوت في تل قاليج آغا، في مدينة أربيل شمال العراق أيضاً وذلك في الطبقات التي يعود تاريخها إلى دور أوروك[8] (منتصف الألف الرابع قبل الميلاد). وكشفت التنقيبات الآثارية في موقع مدينة نفر القديمة، في جنوب بلاد الرافدين، عن ممارسة دفن الأموات تحت أرضيات

المساكن ابتداءً من عصر فجر السلالات على أقل تقدير[9] . وفي مدينة كيش القديمة، تلول النغرة حالياً على بعد حوالي عشرين كيلو متراً إلى الشرق من بابل، كانت جثث الموتى تدفن تحت ارضيات غرف المنازل منذ عصر فجر السلالات الأول[10] (بحدود 2800 ق.م) سواء كانت الغرف نفسها التي يقيم فيها الأحياء أو غرف مشيدة خصيصاً للدفن. وكان موضع القبور في هذه الغرف عند الزوايا في الغالب حيث تكوّن جدرانها ضلعين من أضلاع القبر يقابلهما ضلعان يُبنيان بطبقة واحدة من اللبن[11]. أما في منطقة ديالى فقد كشفت التنقيبات التي أجريت في خفاجة، موقع مدينة توتب القديمة، عن كون القبور العائدة إلى عصر فجر السلالات عبارة عن حفر بسيطة موجودة تحت أرضيات البيوت التي استمر السكن فيها بعد القيام بعمليات الدفن[12].

وفي مدينة أور اكتشف ليونارد وولي عدداً من الأقبية المعقودة بالآجر تحت أرضيات بيوت يعود بعضها إلى عصر سلالة أور الثالثة والبعض الآخر إلى العصر البابلي الوسيط[13]. وفي زمن معاصر تقريباً لسلالة أور الثالثة كان الدفن في مدينة آشور القديمة– قلعة الشرقاط على نهر دجلة إلى الشمال من مصب الزاب الأسفل– يتم تحت أرضيات البيوت إما في حفر بسيطة أو في أقبية عائلية مشيدة بالآجر[14]. ومن العصر البابلي القديم (النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد) اكتشفت قبور تحت أرضيات البيوت، ولكنها كانت قليلة وفقيرة في محتوياتها مما جعل المنقبين يفترضون أنها قبور خدم أو عبيد وليست للأحرار من سكان المدينة الذين كانوا يُدفنون آنذاك، بحسب ما يفترض المنقبون، في مقابر خاصة داخل المدينة أو خارجها[15]. ولكن التنقيبات الآثارية التي تمت في مواقع يعود تاريخها إلى العصر البابلي القديم، ومنها التنقيبات التي قام بها المؤلف في تل السيب، موقع مدينة ميتورناة القديمة في حوض حمرين في منطقة ديالى[16]، أثبتت أن الدفن تحت أرضيات

البيوت كان شائعاً في ذلك العصر للسكان على اختلاف مكانتهم الاجتماعية.

وفضلاً على ما اكتشف في موقع مدينة كيش من غرف مخصصة للدفن من عصر فجر السلالات الأول، كشفت تنقيبات ليونارد وولي في موقع مدينة أور القديمة، في جنوب بلاد الرافدين، عن وجود غرف مخصصة للدفن في بيوت عصر سلالة أور الثالثة[17]. فقد كان في كل منزل تقريباً من ذلك العصر، باستثناء منازل الفقراء، جزء خاص لدفن الموتى بشكل "مصلى عائلي" (Family Chapel)، بحسب ما يسميه وولي. ويكون هذا الجزء وراء البيت ويلي غرفة الضيوف مباشرة، ويُشيّد بشكل غرفة طويلة ضيّقة تختلف عن باقي غرف المترل في كونها من طابق واحد فقط، في حين أن المترل مُكوّن عموماً من طابقين، ويُدخل إليها عبر باب موجود في إحدى نهايتيها. و لم تكن تلك الغرف مسقوفة، ولكن كانت توجد في كل منها سقيفة تغطي حوالي ثلث المساحة الكلية للغرفة. وموضع السقيفة يكون محاذياً للجدار المقابل للمترل، وتحتها توجد مائدة للنذور ومحرقة للبخور. أما قبو الدفن فقد كان يحفر بعمق قدم أو قدمين تحت أرضية الغرفة المرصوفة بالآجر، وذلك في الجزء المكشوف من الغرفة. وعندما كان هذا القبو يمتلئ بالعظام تُنقل منه لتُدفن في قبور صغيرة بجواره. ويأتي الدليل على ذلك من العظام التي وجدت في أحد الأقبية وتعود لعدة هياكل عظيمة. وحين كانت أرضية الغرفة تمتلئ بالقبور الصغيرة يبدأ سكان المترل بدفن الموتى تحت أرضيات غرف المترل الأخرى، حيث وجدت عدة قبور في الغرف الأخرى في عدد من المنازل على الرغم من احتواء كل منها على غرفة الدفن الخاصة. ويورد المنقب افتراضاً عن احتمال أن تكون تلك القبور لخدم أو عبيد لم يُرغب بدفنهم في المصلّى الخاص بالعائلة[18]. ويذهب ليونارد وولي إلى أن عدم العثور على مثل هذه المصلّيات في بيوت تعود إلى العصور الأخرى في أور يعود سببه إلى التوقف عن بنائها بعد مدة قصيرة من انتهاء العصر البابلي القديم[19].

لقد وردت الإشارات إلى القبر الموجود في داخـــل البيـــوت في النصـــوص السومرية بصيغة "كي-ماخ" (KI.MAH)، وهو مصطلح سومري يعـــــني حرفيـــاً "الموضع العظيم" وكان يطلق على العالم السفلي أيضاً. واقتبس هذا المصطلح في اللغة الأكدية بصيغة "كِمَخُّ" (Kimahhu). ويوضح أحد النصوص الأكديـــة اختـــلاف وظيفة البيت عن وظيفة القبر الموجود فيه بالجملة الآتية: "البيـــت للراحـــة والقـــبر للاضطجاع"[20]. وكانت ملكية القبر تنتقل مع ملكية البيت إلى المالك الجديد فيمـــا إذا بيع البيت، وهذا ما يُستدلُّ عليه من النصوص المسمارية التي تتضمن عقوداً ببيـــع البيوت وشرائها. إذ كانت تلك العقود تتضمن أحياناً جملة تشير إلى احتواء البيـــت المباع أو المشترى على قبر في داخله[21].

وإذا ما أراد المرء أن يستنتج دافعاً وراء ممارسة الدفن في بيوت الأحياء، وهو ما لم تتطرق إليه النصوص المسمارية، فلعله يمكن القول أن هذه الممارسة امتداد لمـــا جبل عليه منذ أقدم عصور وعيه من عدم فهم الموت باعتباره نهاية للإنسان، وأنهـــا تعبّر عن الاستمرار في اعتبار المتوفى عضواً في العائلة لا ينبغي أن يبتعد عنها حتى بعد وفاته. فضلاً على أن وجود القبر داخل بيت عائلة المتوفى يمثـــل الســـبيل الأفضـــل للمحافظة عليه من التخريب والعبث وبالتالي إزعاج روح صاحبه في العالم الســفلي. أي أن الاتجاه إلى دفن الأموات تحت أرضيات بيوت الأحياء يُمثّـــل تعبـــيراً عـــن عواطف الأحياء إزاء المتوفى طالما لم يكن يناقض العقيدة الدينية التي كـــان الدفـــن بموجبها، أينما يكون موضعه، وسيلة لإنزال الروح إلى عالمها الموجود تحت الأرض.

ثانياً– الدفن في القصور الملكية:

كان الدفن في القصور الملكية امتيازاً خاصاً بالموتى من الملـــوك أو أعضـــاء الأسر المالكة أو الأتباع المقربين الذين يُتقرّر لهم، بعد موتهم، الدفـــن في القصـــور الملكية تكريماً لهم وتثميناً لجهودهم في خدمة الملوك. ولأن الدفن في القصور الملكيـــة كان امتيازاً خاصاً بالملوك فإن الحكام الذين كانوا قد استولوا على العرش عن طريـق الاغتصاب بالقوة و لم يُعترف بشرعية ملوكيتهم يحرمون من هذا الامتيـــاز الخـــاص بالملوك الشرعيين فقط. وقد ورد الدليل على ذلك في نصوص الوقائع البابلية[22] الـتي نورد منها الفقرات الآتية:

"رجل[23] من سلالة دامق–أليش[24] ذبح بالسيف، وكان قد حكم لمـــدة 17 سنة. دفن في قصر الملك الشرعي. أيا–مكين–زيـــر[25]، مغتصـــب العـــرش المنتسب إلى خاشمر، حكم لمدة ثلاثة أشهر، دفن في أهوار بيت–خاشمر. كشـــو–نادن–اخي[26]، حكم لمدة ثلاث سنوات، دفن في القصر. ثلاثة ملوك من ســـلالة القطر البحري، حكموا لمدة 23 سنة. أي–أولماش–شاكن–شمي[27]، مـــن نســـل بازي، حكم لمدة 15 سنة، دفن في قصر كار–مردوخ[28]".

يؤكد لنا هذا النص أن الدفن في القصور الملكية كان امتيازاً، وإن حجـــب هذا الامتياز عن الملوك غير الشرعيين كان مسألة سياسية وليست دينية. فـــالعقيدة الأساسية التي تقتضي دفن المتوفى كانت متبعة مع الملوك غير الشرعيين حين وفـاقم، إذ لم تصل معاملتهم إلى درجة حرمانهم من الدفن، ولكن الحرمـــان يقتصـــر علـــى الامتياز الملكي فقط.

وقد اتُّبع تقليد دفن الملوك في القصور الملكية في الدولة الآشورية. ويبـــدو أن الملوك الآشوريين كانوا يُدفنون حين وفاقم في القصور الملكية الموجودة في العاصمـــة الأولى للدولة الآشورية، وهي آشور (قلعة الشرقاط حالياً)، حتى بعد انتقـــال مقـــر

الحكم إلى العواصم الآشورية الأخرى، مثل نينوى وكلخ. ذلك أن مدينة آشور حافظت على أهميتها القومية، باعتبارها العاصمة الأولى للآشوريين، وأهميتها الدينية باعتبارها مركز عبادة آشور، الإله القومي الرئيس للآشوريين. فقد كشفت تنقيبات البعثة الآثارية الألمانية في موقع مدينة آشور (1902-1914م) عن مدفن للملوك الآشوريين تحت الجناح الجنوبي-الشرقي من " القصر القديم". ويعود تاريخ بناء هذا القصر إلى العصر الآشوري القديم، إذ شُيِّدَ من قبل الملك الآشوري شمشي-أدد الأول (1813-1781 ق.م)، وتواصلت عمليات ترميمه وتجديده حتى العصر الآشوري الحديث في الألف الأول قبل الميلاد.

لقد سُمّي المدفن في القصر الملكي بالنصوص الآشورية باسم "ايكل تَبشُخةِ" (ekal tap uhti) الذي يعني "قصر السكينة". وكان يُنزل إليه من القصر بواسطة ممر منحدر يؤدي إلى الأضرحة المشيدة بشكل غرف تحت مستوى أرضية القصر. وقد ضم هذا المدفن ما لا يقل عن ستة أضرحة ولكنها تعرضت للنهب في العصور القديمة على ما يرجح. أعطى المنقبون الأرقام من (1) إلى (6) لتلك الأضرحة، وكان الضريح رقم (6) أسوأها حالاً إذ لم يتبق منه سوى جدار واحد. أما الأضرحة الخمسة الأخرى فلم يُعثر فيها على أية هياكل عظمية، ولكن عثر فيها على كِسَرٍ متفرقةٍ من الأثاث الجنائزي الذي وضع فيها عند دفن الملوك. وقد أمكن تحديد أضرحة ثلاثةٍ من الملوك الآشوريين من بين هذه الأضرحة الخمسة بالاستدلال من أسمائهم المنقوشة على نواويسهم الحجرية الضخمة التي وجدت فارغة داخل الأضرحة، وسنأتي على وصفها لاحقاً. فالضريح رقم (2) يعود للملك شمشي-أدد الخامس (823-811ق.م)، والضريح رقم (3) يعود للملك آشور-بيل-كالا (1057-1704ق.م). أما الضريح رقم (5) فكان مخصصاً للملك آشور-ناصر-بال الثاني (883-859 ق.م). وعُثر في ضريح الملك آشور-بيل كالا على ناووس

حجري آخر لا يحمل أي كتابة ويرجح أنه كان يضم جثمان الملكة زوجة آشـــور-بيل-كالا[29].

ومن العصر الآشوري الحديث اكتشفت أضرحة ملكية لأميرات من الأسـرة المالكة الآشورية تحت أرضيات غرف الجناح العائلي الذي كان مشـــيداً في الجهـــة الجنوبية من قصر آشور-ناصر-بال الثاني في العاصمة الآشورية كلخ (نمرود حاليـــاً على بعد حوالي 34 كم إلى الجنوب من مدينة الموصل). وقد أدى التنقيب في تلـــك الأضرحة إلى اكتشاف ما عُرَف بكنـــز نمرود الذي يتألف مــــن المـــواد الذهبيـــة والمصوغات ومختلف المواد النفيسة التي دُفنت مع الأميرات. وقامت بهذا الاكتشـاف، في عام 1988م، هيئة التنقيب الآثاري العراقية في نمرود بإشراف مؤلف هذا الكتاب، وسنعود للتطرق إليه في الفصل الثاني.

ويصف أحد نصوص الملك الآشوري آشور-بانيبال (668-627 ق.م) دفن أحد القواد العسكريين في الدولة بطريقة تشير إلى أن ذلك القائد دفـــن في القصـــر الملكي بأمر من الملك تكريماً له[30]. إذ يرد في هذا النص على لسان آشور -بانيبال:

"اليوم لقي القائد نبو-شار-أوصر مصيره بجــــلال وأبهــة في قصـــري، وسيُدفن في الموضع الذي أحبه. يجب أن لا يُحَرّك من موضعـــه، وأن لا يُســـمح لأحد أن يعبث به. لقد كان رجلاً طيباً وشجاعاً، فإذا أقلقه أي شخص وهو راقـد في قبره فإن سيده الملك سيغضب ويعامله بقسوة ولا يرحمه"[31].

ثالثاً- الدفن في أضرحة مستقلة:

كشفت التنقيبات الآثارية في موقع مدينة أور القديمة (تلول المقير حاليـــاً في جنوب العراق) عن أضرحة مستقلة كانت قد شيدت لدفن ملوك سلالة أور الثالثـــة (2112-2004 ق.م). بلغ عدد الأضرحة المكتشفة ثلاثة، ولكنها وجـــدت فارغـــة

بسبب تعرضها للنهب في العصور القديمة. شيّدت هذه الأضرحة متلاصقةُ البنيان تحت الأرض في الجهة الجنوبية-الشرقية من منطقة المعابد والزقورة، وسُقفت بعقود مثلثة المقطع من الآجر. وبنيت فوق الأضرحة ثلاثة مزارات يتألف كل منها من عدد من الغرف المرتبة بمخطط أقرب إلى مخطط البيت منه إلى مخطط المعبد.

كان المزار الأوسط، وهو أكبر المزارات الثلاثة، مشيداً بآجر يحمل ختم الملك الثاني في السلالة شلجي (2094-2047). أما الضريح الموجود تحت هذا المزار فيعود، بحسب رأي المنقب ليونارد وولي[32]، إلى مؤسس سلالة أور الثالثة أور-نمو (2112-2095 ق.م) الذي مات ودفن في الضريح قبل بناء المزار، فقام ابنه شلجي بتشييد المزار بالآجر الذي يحمل ختمه. ويُرجح المنقب أن المزار كان مرتفع البنيان على الرغم من كونه بطابق واحد. وكانت واجهات جدرانه الخارجية مزينة بطلعات ودخلات (buttresses and recesses) قليلة الغور، وهي تشابه بذلك الأوجه الخارجية لجدران المعابد. أما الضريح نفسه فتبلغ قياساته تحت الأرض 125× 85 قدماً، واستعمل الآجر والقير في تشييد جدرانه.

وقد شيد المزاران الآخران بآجر يحمل ختم الملك امار-سين (2046-2038 ق.م)، وهو ابن الملك شلجي والثالث في السلالة. ويبدو أن هذا الملك قام بتشييد المزار الذي يعلو ضريح أبيه شلجي بالآجر الذي يحمل ختمه. أما المزار الذي يعلو ضريحه هو فمن الواضح أنه شُيّد في عهد ابنه الملك شو-سين (2037-2029 ق.م) بالآجر نفسه الذي كان أبوه قد هيأه في أثناء حياته[33]. ويذهب بعض الباحثين إلى أن هذه المزارات قد شُيّدت بمخططات مغايرة لمخططات المعابد، مما يجعلها أقرب إلى مخططات البيوت، وذلك لأنها كانت مخصصة لشعائر جنائزية تقام للملوك وليس لآلهة حتى وإن أُضفيت سمة القدسية على أولئك الملوك[34].

رابعاً– الدفن في المقابر

فضلاً على الدفن في المواضع التي سبق ذكرها، مارس سكان بلاد الرافدين القدماء الدفن في مقابر مخصصة لهذا الغرض. وكانت هذه المقابر إما في مساحات محددة في داخل المدن، أو في خارجها. ولعل أقدم استعمال للمقابر في خارج مناطق السكن في بلاد الرافدين يعود تاريخه إلى ما قبل العصر الحجري الحديث حيث كان سكان قرية زاوي جمي، على الزاب الأعلى في شمال العراق، يدفنون موتاهم في كهف شانيدار القريب منهم في الطبقة (B1)[35]. وفي عصر حلف (الألف الخامس قبل الميلاد) مورست عملية دفن الأموات في بعض المساحات الموجودة بين البيوت[36].

ومن عصر العبيد اكتشفت مقبرة في خارج مدينة أريدو (تلول أبو شهرين حالياً في جنوب العراق). وهذه المقبرة كانت معاصرة للمعبد السادس في أريدو (أي في حوالي 3800 ق.م)، ويُقَدّر عدد الأموات الذين دُفنوا فيها ما بين 800 و1000. ولكن مجموع القبور التي نُقبت في هذه المقبرة لم يتجاوز 193 قبراً[37]. وفي أور امتدت تنقيبات ليونارد وولي إلى خارج أسوار المدينة القديمة حيث تحققت إحدى أهم الاكتشافات الآثارية في بلاد الرافدين في القرن العشرين. وكانت المقبرة الأولى التي اكتشفها وولي هناك تعود في تأريخها إلى عصر جمدة نصر وبداية فجر السلالات (في الثلث الأول من الألف الثالث قبل الميلاد). ثم اكتُشفت مقبرة ثانية خارج الأسوار أيضاً تعود إلى زمن لاحق من عصر فجر السلالات، ويبدو أنها بقيت مستعملة إلى ما بعد العصر الأكدي القديم. وقد ضمت هذه المقبرة أكثر من 2500 قبراً[38]، ومن بين هذه القبور تميزت الأضرحة التي وصل عددها إلى 16 ضريحاً كَوّنت ما يُعرف باسم "المقبرة الملكية" التي تميزت بالكنوز التي احتوتها وبطريقة الدفن الفريدة فيها. ويُقَدّر التاريخ الذي تعود إليه هذه المقبرة بحدود 2500–2400 ق.م، أي في عصر فجر السلالات الثالث قبل قيام سلالة أور

الأولى[39]. وسنعود للحديث عن الأثاث الجنائزي الفخم الذي اكتُشف في هـــذه المقبرة لاحقاً. أما طريقة الدفن فبقدر ما أثارت من دهشة، بسبب أعداد الأشخاص المدفونين في الضريح الواحد منها، كان الجدال واسعاً حول تفسير ما حدث فيـــها لحظة الدفن. وكان تفسير مكتشفها، ليونارد وولي، أن الهياكل العديدة المكتشـــفة تعود إلى أضاحي بشرية دفنت مع الشخصيات الملكية الرئيسية التي يعود لها كـــل ضريح. وستتم مناقشة هذا التفسير والتفسيرات الأخرى في موضع آخـــر في هـــذا الفصل.

وكان الدفن في المقابر الموجودة خارج المدن متبعاً في نفر منـــذ العصـــر الأكدي القديم بحسب ما يذهب إليه المنقبون فيـــها[40]، وكذلـــك في أريـــدو في العصرين البابلي القديم والبابلي الوسيط. فقد عُثر في النجاد الممتدة علـــى مســـافة قريبة من موقع المدينة على قبور عديدة وفخّار متنوع يعود في تاريخـــه إلى ذانيـــك العصرين[41]. ووردت إشارات في النّصوص المسمارية إلى مقابر منتظمة تعود لبعض المدن المهمّة في بلاد الرافدين القديمة مثل بابل، سبار (تلول أبو حبه حاليـــاً قـــرب اليوسفية إلى الجنوب من بغداد)، وكوثى[42] (حبل إبراهيم حالياً في مدينة مشـــروع المسيب على بعد حوالي 50 كم إلى الجنوب من بغداد). وهناك إشارة في نصـــوص الملك الآشوري سنحاريب (704-681ق.م) إلى مقـــبرة موجـــودة في العاصمـــة الآشورية نينوى. وقد وردت هذه الإشارة في سياق الحديث عن تعرّض تلك المقبرة للتخريب بفعل فيضان نهر تبلتو الذي كان يخترق نينوى[43].

أنواع القبور والتوابيت

لقد شهدت بلاد الرافدين القديمة أنواعاً مختلفة من القبور والتوابيت الـــتي لم يكن يجمع فيما بينها سوى الهدف المتمثّل بإخفاء الجثة لحين تنتهي إلى البلاء بعـــد خروج الروح منها ونزولها إلى العالم السفلي، وهذا هو الجانب الديـــني في عمليـــة

الدفن و لم يكن موضع اختلاف وتنوّع. أمّا أشكال القبور والتوابيت وموادها وكيفية استعمالها فلم تكن محكومة بقواعد واضحة للعقيدة الدينية. ولذلك لم يكن تنوعها واختلافها عن بعضها، حتى في العصر نفسه أو الموضع نفسه، يمثل خروجاً عن المعتقدات الخاصة بالموت وبالحياة الأخرى. وإذا لم يكن هذا التنوع والاختلاف قائماً على أسس دينية فإنّ ما كان يتحكم به ويؤدي إليه، تشابكٌ من الدوافع العاطفية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية فضلاً على الظروف المحلية والتقاليد الموروثة والتأثيرات الطارئة. وبحسب أشكال القبور والتوابيت وموادها يمكننا أن نحدد عشر طرق للدفن ممّا كشفت عنه التنقيبات الآثارية في مواقع بلاد الرافدين على اختلاف عصورها القديمة، وهذه الطرق هي:

أولاً- القبور البسيطة:

كانت هذه القبور تحفر بشكل بسيط في الأرض، وبأعماق مختلفة من قبر لآخر، لتُمَدّد الجثة فيها بأوضاع مختلفة. ويمكن القول إنّ هذا النوع من القبور أقدم أنواع القبور وأكثرها شيوعاً في بلاد الرافدين القديمة. وكما كانت الأعماق التي تُحفر بها هذه القبور مختلفة فإنّ أبعادها كانت مختلفة من قبر لآخر أيضاً. اكتُشفت أمثلة من هذه القبور في تل الصوان، إلى الجنوب من سامراء، ويعود تاريخها إلى العصر الحجري ـ المعدني (الألف السادس قبل الميلاد). وكان معظم هذه القبور بيضوي الشكل ويتراوح عمقها ما بين 22و50سم. وأظهرت التنقيبات الآثارية في تل الصوان أنّ بعض جثث الموتى كانت تُلف بحُصُر من القصب، وقد وجدت على بعضها آثار طبقة خفيفة من القير الذي كانت تطلى به على ما يبدو[44]. وكان هذا النوع من القبور شائعاً في مقبرة أريدو من عصر العبيد[45]. وفي مقبرة أور من عصري جمدة نصّر وفجر السلالات حيث كانت الجثث تلف بحُصُر من القصب أيضاً، وأحياناً يتم تثبيت هذه الحُصُر بدبابيس نحاسية كبيرة[46].

وفي العصر البابلي القديم (النصف الأول من الألف الثاني قبـــل الميـــلاد) كانت معظم القبور المكتشفة في موقع مدينة توتب (خفاجي حالياً في منطقة ديالى) من النوع البسيط وتتراوح أعماقها ما بين 75و150سم تحت أرضيات البيـــوت[47]. وكذلك اكتشفت قبور من النوع نفسه في موقع مدينة ميتورناة (تل السيب حاليـــاً في منطقة حمرين في شرقي العراق). واستعملت قبور مشابهة في دفن الموتى طـــوال الألف الثاني قبل الميلاد في مدن أور ونفر وبابل وآشـــور. وكشـــفت التنقيبـــات الآثارية قبوراً بسيطةً أيضاً في موقع مدينة نوزي (يورغان تبه قرب كركوك حاليـــاً) وماري (تل الحريري حالياً) من أواسط الألف الثاني قبل الميلاد.

ثانياً– الدفن في توابيت من الطين أو الخشب والسلال:

لقد قدّمت لنا التنقيبات الآثارية أدلّة على استعمال توابيت من الطـــين أو الخشب والسلال، على الرغم من كونها مواد معرّضة للتلف. غـــير أنّ التنقيبـــات الدقيقة يمكن أن تُسجّل الآثار المتبقية من هذه المواد لتقدم لنا المعلومـــات اللازمـــة لمعرفة طرق الدفن المختلفة التي استُعملت في بلاد الرافدين. وقد عُثر أثناء التنقيـب في موقع خفاجي (مدينة توتب القديمة من العصر البابلي القديم) على تابوت طيـــني في أحد القبور وفي داخله هيكل ممدّد على جنبه الأيمن[48].

وقد ابتُدئ باستعمال الخشب في مقبرة أور لصنع دعائم خشبية تحمل حُصُر القصب التي يُمدّد عليها الأموات[49]. وفي العصر البابلي القديم اســتُعملت ألـــواح الخشب لتغطية الموتى في القبور في نفر[50]. وفي العصر نفسه اســـتُعملت المحفّـــات الخشبية في القبور لوضع الأموات عليها من دون استعمال غطـــاء[51]. واســتُعملت التوابيت الخشبية في مقابر أور وشَروباك في الألف الثالث قبل الميلاد. ويُرجّـــح أنّ توابيت مشابهة استُعملت في قبور مدينة كيش في العصر البابلي الحديث (في الألـــف الأول قبل الميلاد) بدليل آثار الخشب المتفحّم التي وجدها المنقبـــون الآثـــاريون

فيها[52].

أمّا السلال، التي يُفترض أنّها صُنعت من القصب، فهناك ما يـــدل علـــى استعمالها لدفن الأطفال في أحد قبور موقع خفاجي الذي عُثر عليه تحت أرضية أحـد البيوت. وهناك افتراض يذهب إلى أنّ التوابيت الفخارية التي ظهرت لاحقاً كـــانت في بداية صنعها تُمثّل محاكاة للسلال الأولى من ناحية أشكالها[53]، ومن ثمّ تطـــوّرت إلى أشكال مختلفة.

ثالثاً- قبور مشيّدة باللّبن أو الطابوق:

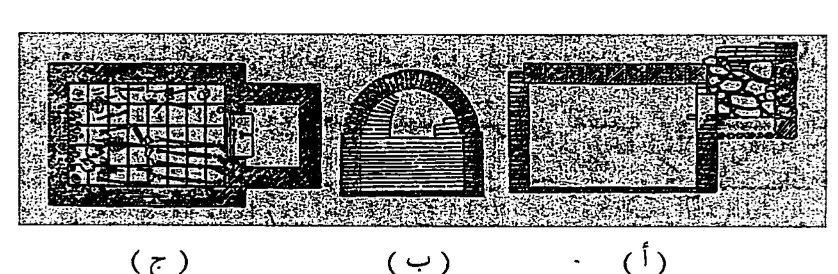
لعلّ أقدم ما وصلنا من القبور المشيّدة يعود إلى عصر العبيد (النصـــف الأول من الألف الرابع قبل الميلاد) حيث عُثر على قبور منتظمة مبنية باللّبن في أريـــدو[54] (تلول أبو شهرين حالياً). ووجد من هذا النوع قبران في مقبرة أور من عصر العبيـــد أيضاً. وهذان القبران يختلفان عن باقي القبور البسيطة المكتشفة في ذلك الموقع مـــن العصر نفسه. وقد حُفر هذان القبران بشكل مستطيل ثمّ بُنيت الأضلاع بالآجرّ الذي شُيّد به السقف أيضاً[55]. وبطريقة مشابهة شُيّد بالآجرّ عدد من قبور أريـــدو مـــن عصر العبيد أيضاً[56]. ووجدت في موقع مدينة كيش قبور مشيّدة بـــالآجرّ وهـــي بأحجام مختلفة، ولكنها لم تكن تزيد كثيراً عن حجم الجثة[57].

ومن العصر البابلي القديم (النصف الأول من الألف الثاني قبـــل الميـــلاد) اكتشف المؤلّف في موقع مدينة ميتورناة القديمة (تل السيب حالياً) قـــبراً شُـــيّدت جدرانه بالآجرّ إلى ارتفاع 50سم تقريباً ثمّ عُقد سقفه بالآجرّ أيضاً وكذلك رُصفـــت به الأرضية. وقد قدّم لنا هذا القبر مثالاً فريداً على طريقة تقديم القرابين من خـــلال القبر، وسنأتي على شرح ذلك مع صور القبر ووصفه في الفصل الثاني. وقد كشـــفت التنقيبات التي أُجريت في موقع مدينة نفر القديمة عن قبور يعود تاريخها إلى العصـــر البابلي القديم والعصور التي تلته، وقد شُيّدت جدرانها بالآجرّ ورُصفـــت أرضيـــات

بعضها بالآجرّ أيضاً. أمّا السقوف فكان بعضها من الآجرّ في حين أنّ واحداً منـــها سُقف بجذوع النخيل التي عُثر على بقاياها المتفحّمة[58].

وفي موقع العاصمة الآشورية القديمة آشور (قلعة الشرقاط حالياً) اكتشــف المنقبون الألمان في القرن الماضي عدداً من القبور المشيّدة بـــالآجرّ تحــت أرضيّــات البيوت. وكان من بين هذه القبور 14 قبراً يعود تاريخها إلى العصر الآشوري الوسيط (النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد) وقد شُيّدت جدرانها وأرضيّاتها بـــالآجرّ وسُقفت بأقبية معقودة بالآجرّ أيضاً.

وللاطلاع على شكل هذه القبور وطريقة بنائها نعرض فيما يأتي الرســـوم التخطيطية لأحدها، وهو القبر رقم (34)[59]. كانت تلك القبور مختلفة الاتجاهـــات وتشترك في وجود غرفة صغيرة مستطيلة يبلغ معدل طولها 2,5م وعرضها أكثر مـــن متر ونصف وارتفاع القبو المعقود، الذي يسقفها، عن الأرضية المرصوفـــة بـــالآجرّ حوالي 1,5م. وفي القبر رقم (34) ــ الشكل رقم (1) ــ يوجد المدخل في الطرف



(ج) (ب) (أ)

الشكل رقم (1): رسوم تخطيطية للقبر رقم (34) من آشور

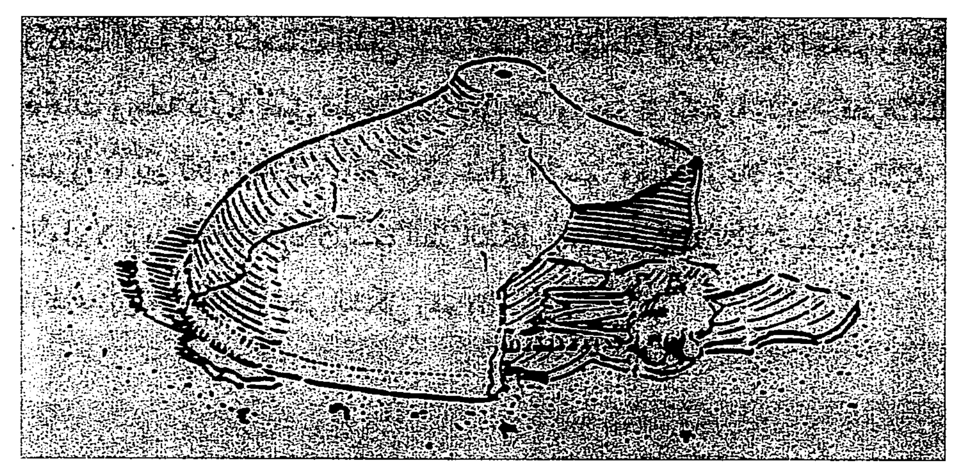
(أ) مقطع طولي (ب) مقطع عرضي (ج) مخطط أرضي

الشمالي وقد جُعل بشكل حفرة مربعة تقريباً تنـــزل من أرضية المسكن إلى عمـــق حوالي 80سم، وأغلقت الفتحة التي تؤدي منها إلى قبو الدفن بالآجرّ. وكانت الحفرة نفسها مليئة بالأحجار ومغلقة من الأعلى بالآجرّ. وكان الأموات يُمـــدّدون علـــى الأرضية المرصوفة بالآجرّ تحت القبو، وقد عُثر على هيكلين ممدديـــن بطولهمـــا في الجانب الشرقي بينما تكدّست عظام من هياكل أقدم في الجانب الغـــربي. ووضـــع الأثاث الجنائزي، ومعظمه من الجرار الفخارية، بموازاة الضلع الجنوبية للقـــبر عنـــد رؤوس الهياكل.

وتجدر الإشارة هنا إلى القبور المشيّدة بالآجرّ التي عُثر عليها تحت أرضيّـــات غرف الجناح العائلي في قصر آشور ناصر بال الثاني في العاصمة الآشـــورية كَلَـــخ (نمرود حالياً) من الألف الأول قبل الميلاد. وسيرد وصفِ القبر الأول، الذي اكتُشف في عام 1988م بإشراف المؤلّف، وذلك في الفصل الثاني.

رابعاً- الدفن باستعمال كسر الفخار:

استُعملت كِسَر الفخار في القبور منذ فترات مبكـــرة في بـــلاد الرافديـــن القديمة. ففي مقبرة أور (من الألف الثالث قبل الميلاد) وُجدت قبور سُجّي الأمـــوات فيها على أرضية من الآجرّ ووضعت عليهم حُصُر من القصب ثمّ وضعـــت كســـرة واحدة كبيرة من الفخار، أو كسرتين، فوق تلك الحُصُر[60]. ولكن هنـــاك قبـــور أطفال اكتُشفت في موقعي العاصمة البابلية بابل والعاصمة الآشورية القديمة آشـــور تُظهر استعمالاً أوسع في لكسر تحت الجثة وفوقها. وهذا التوســـع أدّى إلى إطـــلاق مصطلح "قبور الكسر" (Sherd burials) من قبل المنقبين الآثاريين على هذا النـــوع من القبور. ويعود تاريخ جميع القبور المكتشفة حتى الآن من هذا النوع إلى النصـف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد في موقعي كلا العاصمتين القديمتين. وقد كشـــفت تنقيبات البعثة الألمانية في بابل، في بداية القرن العشرين، عن ثلاثـــة قبـــور تعـــود لأطفال. ونورد هنا رسماً تخطيطياً لأحد تلك القبور، وهو القبر رقم (34)[61]:



الشكل رقم (2): رسم تخطيطي للقبر رقم (34) ـ بابل، من العصر البابلي الوسيط

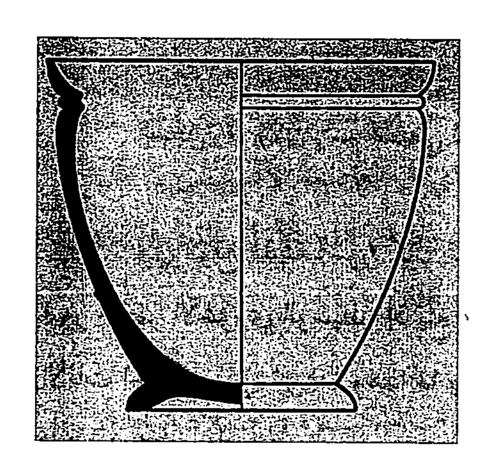
وفي موقع مدينة آشور كان عدد قبور الكسر الفخارية هو الأكبر من بين قبور العصر الآشوري الوسيط، إذ بلغ 48 قبراً. وكانت هذه القبور متفاوتة في كمية الأثاث الجنائزي وفي تنوعه، وهذا ما يدل على تفاوت المنزلة الاجتماعية والحالة المادية لعائلات المتوفّين.

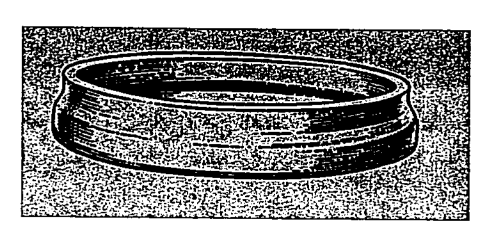
خامساً- الدفن في آنية فخارية:

إنّ أقدم مثال مكتشف عن الدفن في آنية فخارية واسعة الفوهة يعود إلى دور حسونه من العصر الحجري الحديث (أواسط الألف السادس قبل الميلاد)، وقد عُثر عليه في الطبقة الثانية من موقع تل حسونه، على بعد حوالي 30كم إلى الجنوب من مدينة الموصل. وهو عبارة عن قبر يضمّ هيكلين عظميين لطفلين رضيعين توأم دُفنا معاً في إناء من الفخار ووضعت معهما طاسة فخارية[62].

انتشرت قبور هذا النوع خلال الألف الثاني قبل الميلاد، إذ وجدت في مواقع أور، نفر، وآشور في العراق، وفي موقعي تيرقا وتل الحديدي في سورية.

وكانت الآنية التي استُعملت للدفن تحت أرضيات البيوت في أور كبيرة الحجم ولها فوهات واسعة دائرية يصل قطرها إلى حوالي متر واحد، أو بيضوية يتراوح قطرها الطولي ما بين 90 و140سم والعرضي حوالي 70سم. وهناك نوعان من تلك الآنية، الأول لا يزيد ارتفاعه عن 25سم، انظر الشكل رقم (3_ أ)، والثاني قد يصل ارتفاعه إلى متر واحد، انظر الشكل رقم (3– ب)(63).



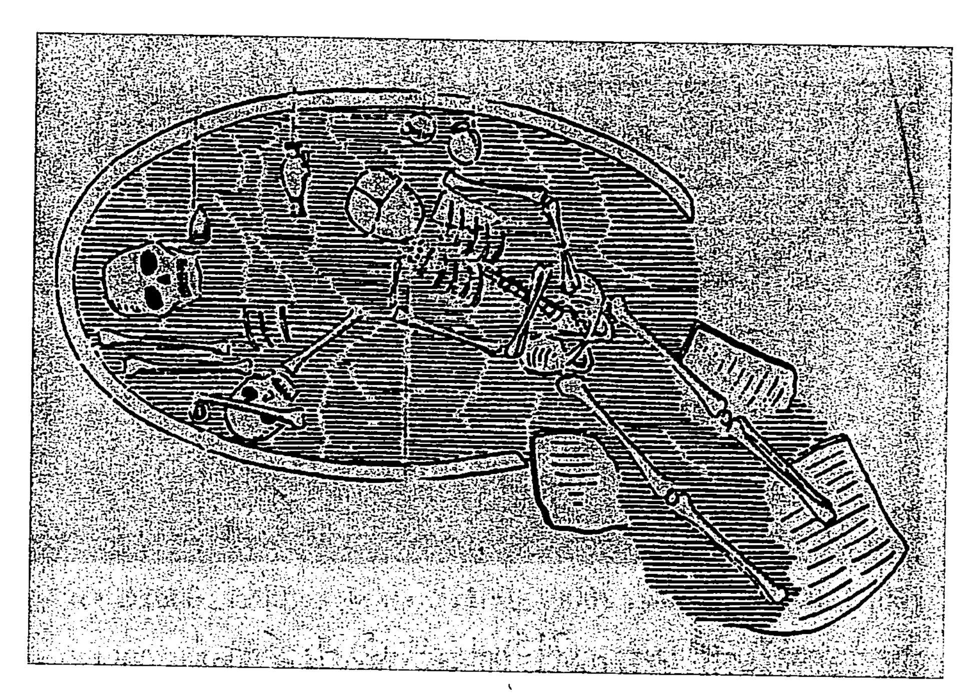


ـ ب ـ ـ أ ـ

الشكل رقم (3): آنية فخارية استُعملت لدفن الموتى في أور

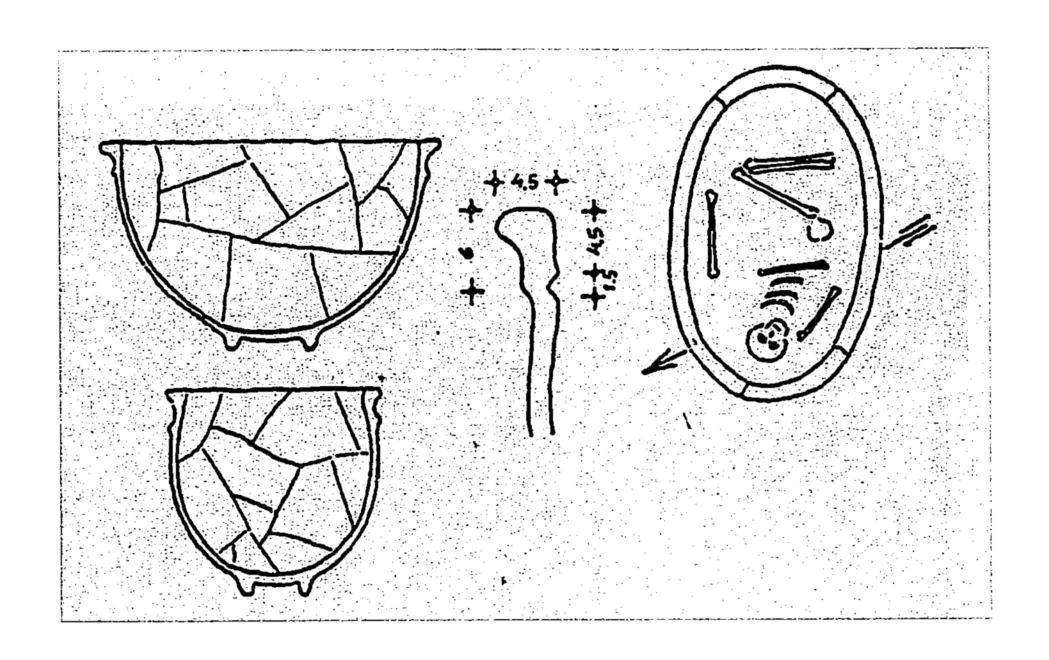
وممّا يجدر ذكره هنا أنّ الآنية الفخارية المستعملة في هذا النوع من الدفن كانت إمّا تُوضع بشكل مقلوب فوق الجثة أو تُنصب بوضع عمودي وتُوضع الجثة في داخلها مع ثني الركبتين. وقد كشفت التنقيبات في العاصمة الآشورية القديمة آشور عن خمسة قبور من هذا النوع يعود تاريخها إلى العصر الآشوري الوسيط (النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد). وعُثر في أحد هذه القبور، القبر رقم (712)، على إناءٍ فخاري كبير بيضوي الفوهة يحتوي على ثلاثة هياكل عظمية.

ومن الواضح أنّ اثنين من هذه الهياكل الثلاثة يعودان لشخصين دُفنا معاً، ثمّ أُعيد استعمال القبر نفسه في وقت لاحق حين دُفن شخص ثالث يعود له الهيكل الثالث. وعندما دُفن المتوفّى الثالث مُدّدت جثته فوق الهيكلين الأولين وكُسرت حافة الإناء الفخارية لكي تُمدّد الرجلان إلى خارج الإناء، انظر الشكل رقم (4)[64]:



الشكل رقم (4): القبر رقم (712) ـــ آشور، العصر الآشوري الوسيط.
ثلاثة هياكل عظمية داخل إناء فخاري كبير بيضوي الشكل.

وفي قبر آخر من تلك القبور الآشورية الخمسة، القبر رقم (715)، اســتُعمل إناء فخاري كبير لاحتواء جثة واحدة وضعت مثنية الرجلين في داخله، انظر الشــكل رقم (5)[65]:



الشكل رقم (5): القبر رقم (715) ــ آشور، العصر الآشوري الوسيط.
هيكل عظمي داخل إناء فخاري كبير بيضوي الشكل مع رسوم تخطيطية للمقطعين الطولي والعرضي للإناء ورسم مقطعي للفوهة.

وفي موقع تيرقا، على الضفة الغربية لنهر الفرات في سورية، استعملت الآنيــة الفخارية في دفن الأطفال في حوالي منتصف الألف الثاني قبل الميلاد. وكانت الآنيــة المستعملة لهذا الغرض تغطى بصحون كبيرة من الفخــــار[66]. وفي تــــل الحديـــدي اكتُشف إناء فخاري يحتوي على ثلاثة هياكل عظمية لأطفال ومعها جرّة فخاريـــــة

صغيرة[67]. وموروست طريقة الدفن في آنية الفخار في بلاد الرافدين خلال الألف الأول قبل الميلاد، إذ كشفت التنقيبات الآثارية عن قبور من هذا النوع في موقعي نفر وبابل[68].

سادساً– الدفن في جرار فخارية:

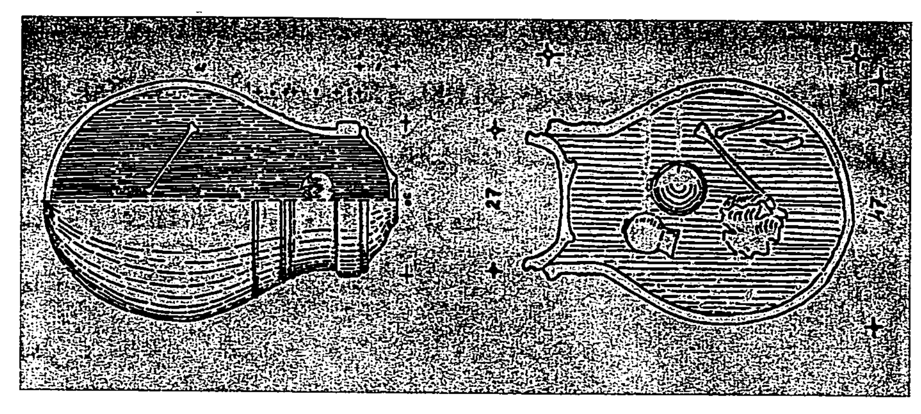
استُعملت الجرار الفخارية لدفن الأموات في بلاد الرافدين القديمة وكانت تلك الجرار كبيرة الحجم، وغالباً ما يكون لها بدن كروي الشكل، ولها فوهات تتسع لإدخال الجثة من خلالها إلى داخل الجرّة. ومن الأمثلة المبكرة عن هذه الطريقة في الدفن ما كشفت عنه التنقيبات الآثارية في موقع تل قاليج آغا في مدينة أربيل في شمال العراق. ويعود تاريخ هذا الموقع إلى دور الوركاء[69] (النصف الثاني من الألف الرابع قبل الميلاد).

وكان أوسع انتشار لهذا النوع من القبور في الألف الثاني قبل الميلاد في العراق وسورية. فقد اكتُشفت قبور استُعملت فيها الجرار الفخارية في المواقع الآتية ومن التواريخ المؤشرة إزاءها: أور (2000_1200ق.م)، نفر (2000_1200ق.م)، آشور (1900_1100ق.م)، ماري (1900_1600ق.م)، تيرقا (1750_1500ق.م)، نوزي (1700_1400ق.م)، وبابل (1600 _ 1200 ق.م). وكانت الجرار التي استُعملت لدفن الأطفال في أور ذات أشكال غير مألوفة في عصرها (العصر البابلي القديم) وغير منتظمة الشكل. وقد وصف ليونارد وولي هذه الجرار بأنّها تُحاكي شكل "بيت الأرنب"[70]. ووجدت بقايا أغطية كانت تُوضع على فوهات الجرار مصنوعة إمّا من الفخار أو الخشب. وعُثر في داخل إحدى هذه الجرار على بقايا هياكل عظمية لأربعة أطفال رُضّع، ولم تُكتشف فيها أية تجهيزات جنائزية. وفي الموقع نفسه كُشف عن أحد عشر قبراً من هذا النوع من القبور أيضاً. وفي موقع مدينة نفر بلغ عدد قبور الجرار الفخارية للبالغين ثمانية قبور فضلاً على

خمسة قبور لأطفال دُفنوا في جرار فخارية أيضاً. وأُرِّخت هذه القبور جميعـــاً إلى العصر البابلي القديم[71]. أمّا في العصر البابلي الوسيط فكانت القبور من هذا النــوع مخصّصة للأطفال أيضاً ووجدت خالية من التجهيزات الجنائزية.

في موقع مدينة آشور اكتُشف من هذا النوع من القبور قبر واحد من العصـــر الآشوري القديم و14 قبراً من العصر الآشوري الوسيط. وقد أُعطي القبر الآشـــوري القديم، من قبل المنقبين، الرقم (486). وحملت القبور الآشورية الوسيطة الأرقام مـــن (487) إلى (500). بلغت قياسات الجرّة المستعملة في القبر الآشوري القديم 60ســـم للارتفاع و45سم لقطر البدن و20سم لقطر الفوهة. ومن الواضح أنّ هـــذا القطـــر للفوهة لم يكن يسمح بإدخال الجثة من خلالها، ولذلك قد يصحّ الاستنتاج أنّ الجـــرّة استُعملت لدفن ثانوي بوضع العظام فيها بعد تحلّل الجثة في موضـــع آخـــر. وقـــد وجدت هذه الجرّة بوضع أفقي وفوهتها مغلقة بكِسَر من اللّبن، وفي داخلها عُـــثر على كِسَر عظمية بشرية متفرقة وبعض التجهيزات الجنائزية. ومن بـــين القبـــور الآشورية الوسيطة وجدت خمسة تحوي بقايا هياكل أطفال، وثلاثة يحتوي كل منها على زوج من الهياكل العظمية لبالغين. وكانت فوهات سبعٍ من الجـــرار في تلـــك القبور مغلقة بكِسَر أو بأوانٍ فخارية إمّا محشورة داخل الفوهة، كما في القبر رقـــم (487)، أو مقلوبة على الفوهة، كما في القبر رقم (488). وفي الشـــكل رقـــم (6) رسمان تخطيطيان لجرّتي القبرين (487) و (488)[72].

وفي موقع تيرقا اكتشف المنقبون الآثاريون تسعة قبور استُعملت فيـــها جـــرار خزن كبيرة لاحتواء أموات بالغين، وأُغلقت فوهات هذه الجرار بآنية فخاريـــة أو كِسَر كبيرة من الفخار[73]. وفي موقع نوزي اكتُشفت جرّة واحدة كروية البـــدن ذات فوهة واسعة ولها قاعدة مثقوبة في وسطها. وقد أغلقت هذه الجرّة بإناء فخاري وضع بشكل مقلوب على الفوهة، وفي داخلها عُثر على بقايا عدّة هياكل عظميـــة لأطفال[74].



ـ ب ـ　　　　　　　　　　ـ أ ـ

الشكل رقم (6) الجرار الفخارية التي استُعملت للدفن في قبور العصر الآشوري الوسيط في آشور.

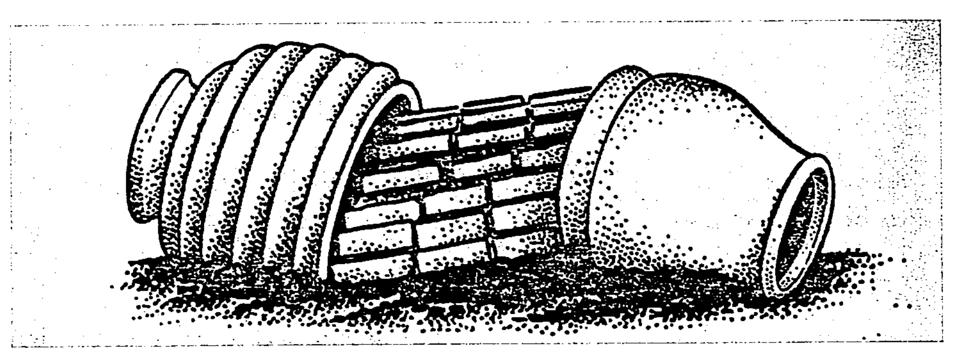
ـ أ ـ القبر رقم (487)　　　　　　　ـ ب ـ القبر رقم (488)

سابعاً- الدفن في جرار فخارية مزدوجة:

لقد شاعت في مواقع حضارة بلاد الرافدين وسورية القديمة طريقة دفن الموتى داخل جرّتين فخاريتين كبيرتين توضعان بشكل أفقي وتتقابل فوهتاهما ليكون الرأس والصدر في أحدهما والجزء الأسفل من الجثة في الأخرى. والجرتان المستعملتان في كل قبر كانتا إمّا بشكل وحجمٍ واحد أو بحجمين مختلفين. وكانت الفوهتان تُختمان بالطين أو تُغطيان بكِسَرِ الفخار بعد إنجاز عملية الدفن. وفي بعض الحالات، حين لا يكون حجم الجرّتين كافياً لاحتواء الجثة، تُباعد الجرّتان عن بعضهما ثمّ يُبنى قوس من اللّبن ليُغطي وسط الجثة فيما بين الفوهتين. أمّا التجهيزات الجنائزية فكانت توضع في داخل الجرّتين وأحياناً في خارجهما.

إنّ أوسع انتشار لهذه الطريقة في الدفن كان في الألف الثاني قبل الميلاد، وتحديداً منذ القرن السادس عشر قبل الميلاد. وقد عُثر على قبور هذا النوع في

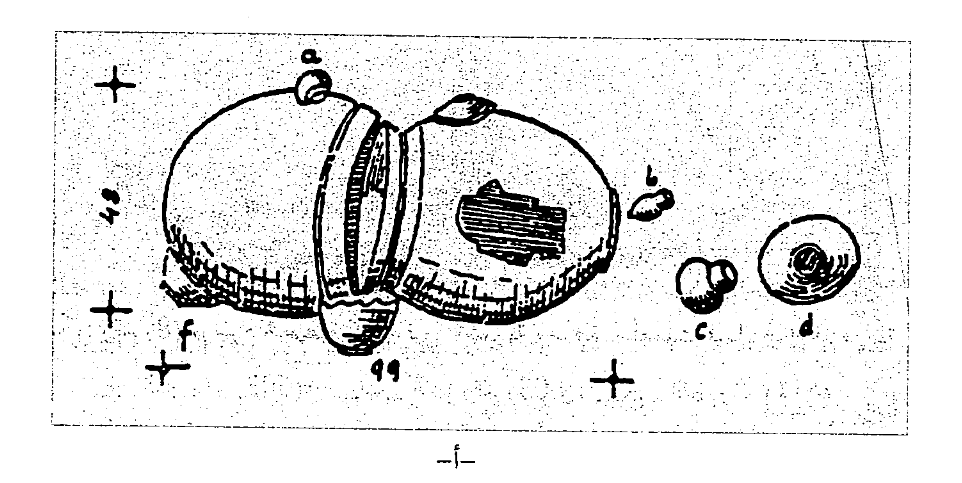
مواقـــع: أور (1600_1200ق.م)، تيرقـــا (1600_1500ق.م)، بـــابل (1600_1200ق.م)، آشـــور (1500_1100ق.م)، ومـــاري (1400_1200ق.م). ومن بين قبور الجرار الفخارية المزدوجة التي عُثر عليها في أور وُجد قبران استُعملت فيهما جرار مختلفة الأحجام وقد أبعدت فوهتا كل زوج منها عن بعضهما وغُـطّي وسط الجثة في كل منهما بقوس معقود من اللّبن. وفي الشـــكل رقـم (7) رسـم تخطيطي لأحد هذين القبرين، وهو القبر المرقم (KG/49)[75]:



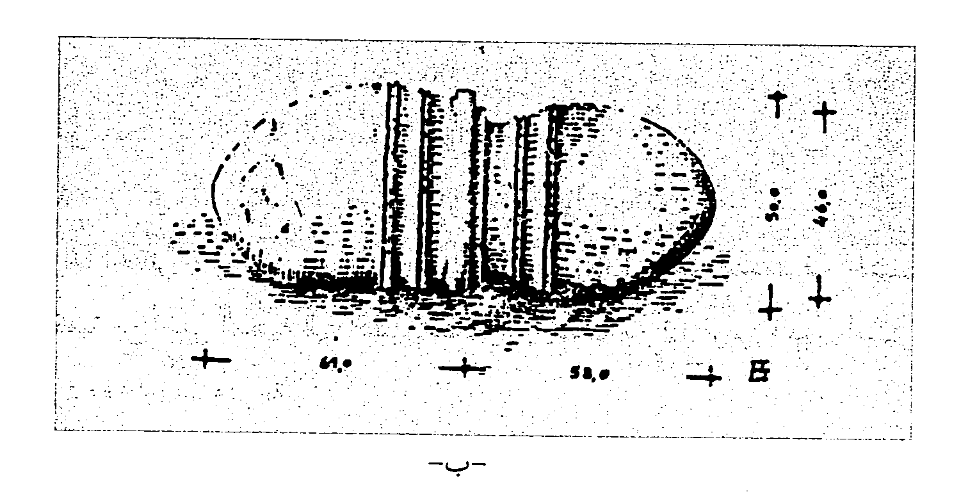
الشكل رقم (7): قبر بابلي وسيط من أور استُعملت فيه جرّتان فخاريتان مع قوس معقود من اللّبن في الوسط.

وفي تيرقا اكتُشف قبر طفل في جرّتين فخاريتين، وعُثر في داخلـهما علـى بقايا الهيكل العظمي مع تجهيزات جنائزية تتكون من بقايا مـواد مصنوعـة وإنـاء فخاري، وفي خارج الجرّتين عُثر على زوج من العجلات الطينية الـتي يَفـترض المنقبون أنّها تعود إلى لعبة تُمثّل عربة دُفنت مع الطفل[76]. وظهرت قبـور الجـرار الفخارية المزدوجة في آشور خلال العصر الآشوري الوسيط، وقد اكتُشف منـها 14 قبراً، وأعطيت الأرقام من (598) إلى (611). كانت خمسة من هذه القبور لأطفـال، ومن ضمنها اثنان استُعملا للدفن الثنائي. إنّ الفوهات في كل زوج من الجـرار في القبور الآشورية الوسيطة كانت توضع لصق بعضها إذا كانت متساوية الأقطار. أمّـا

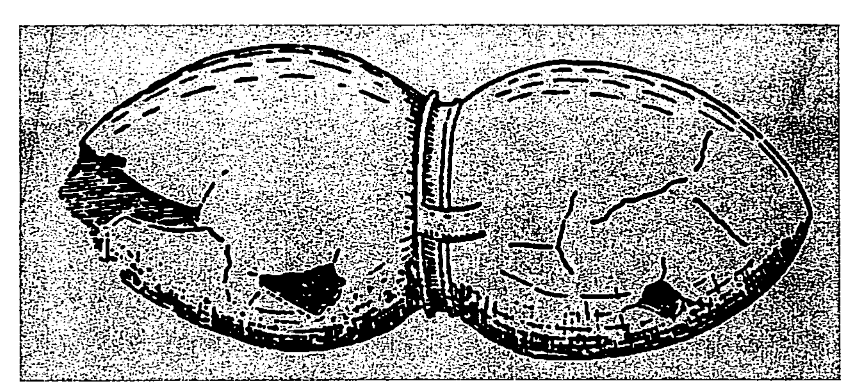
في حالة اختلاف قطري الفوهتين من جرّة لأخرى فكانت الفوهة الأصغر تدخــل في الفوهة الأكبر. وهذا ما يبدو واضحاً من الرسوم التخطيطية للقبور المرقمـــة (602، 603، 611)[77] من آشور والمعروضة في الشكل رقم (8):



-أ-



-ب-



الشكل رقم (8): رسوم تخطيطية لثلاثة قبور آشورية وسيطة استُعملت فيها الجرار المزدوجة
ـأـ القبر رقم (602)، ـبـ القبر رقم (603)، ـجـ القبر رقم (611)

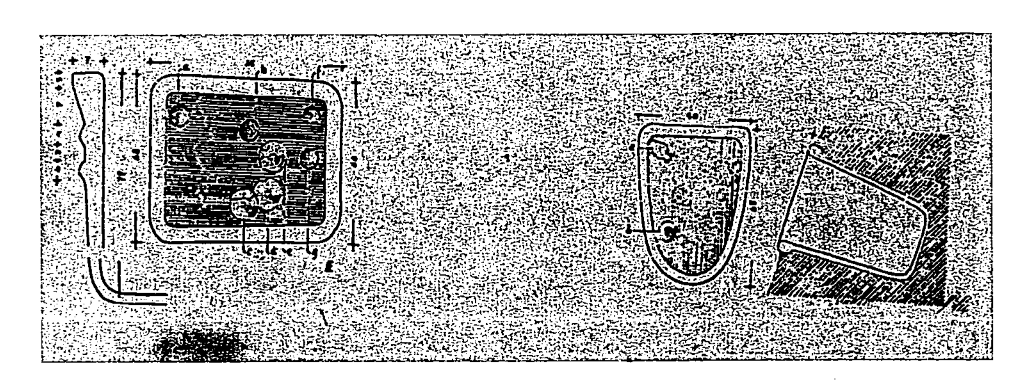
وفي موقع مدينة ماري (تل الحريري في سورية) اكتُشفت في عـام 1936م مقبرة آشورية أُرّخت إلى القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد. وقد ضمت هذه المقبرة، التي وجدت في الساحتين 106و131 في داخل قصر زمري- لم القديم، ما يصل عدده إلى 150 قبراً استُعملت فيها طريقتي الدفن البسيط والدفن في الجرار الفخارية المزدوجة. وكانت قبور النوع الأخير لأطفال وبالغين، وقد تميّزت بغنى تجهيزاتها الجنائزية، وعلى وجه الخصوص القبر المرقم (135) الذي مُدّدت فيه الجثة مع كمية من الحلي الذهبية التي شملت غطاء رأس يتألف من 12 قرص ذهبي وأسلور وعقود وفخاريات متنوعة[78].

ثامناً- الدفن في توابيت بشكل الأحواض:

خلال العصر الآشوري الوسيط استُعملت في مدينة آشور توابيت فخارية بشكل الأحواض، ودأب المنقبون الآثاريون على تسميتها "أحـواض الاستحمام"

لمشابهتها في الشكل لأحواض الاستحمام. ومن بلاد آشور انتشر هذا النــــوع مــــن التوابيت في بلاد الرافدين القديمة، واستمر استعمالها في العصــــور اللاحقــة. وقــد كشفت التنقيبات الآثارية عن ثلاثة أنواع من هذه التوابيت، وهي:

1ـ النوع الأول له شكل بيضوي مع ضلع واحد مستقيم، أي شـــكل حـــرف D اللاتيني، وأحياناً يكون بشكل مربع بزوايا مستديرة وأحد أضلاعه أقصر من الضلـع المقابل له. ومعدل قياسات هذا النوع من التوابيت يتراوح ما بـــين 60و100ســم للطول، وما بين 50 و65سم للعرض، ومعدل العمق ما بين 50 و60سم. أي أنّــها كانت بسعة تكفي لوضع الجثة بشكل ملموم تماماً. وكانت التجــهيزات الجنائزيــة توضع مع الأموات في داخل هذه التوابيت. وفي الشكل رقم (9) الرسوم التخطيطيـة لاثنين من هذه التوابيت المكتشفة في آشور[79]:



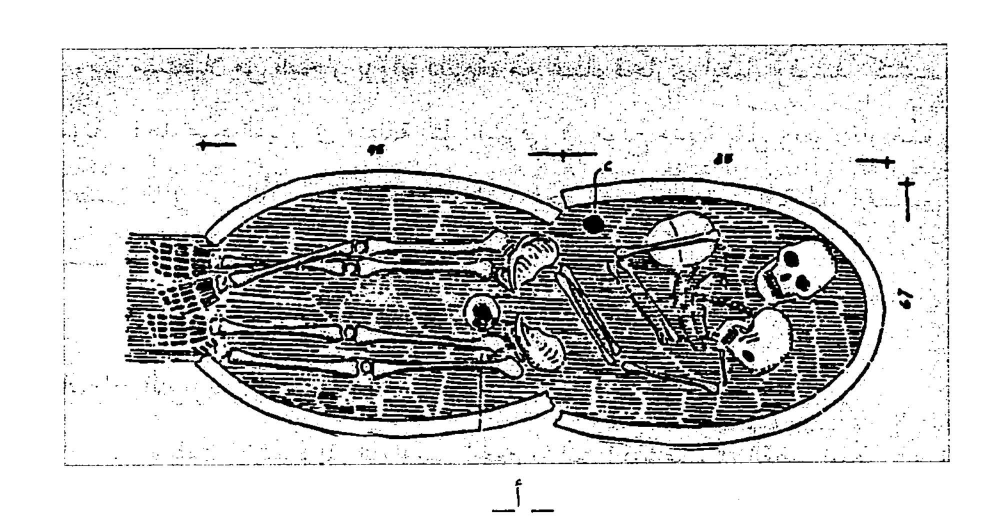
الشكل رقم (9): قبور من العصر الآشوري الوسيط من آشور

أـ القبر رقم (675) بـ القبر رقم (676)

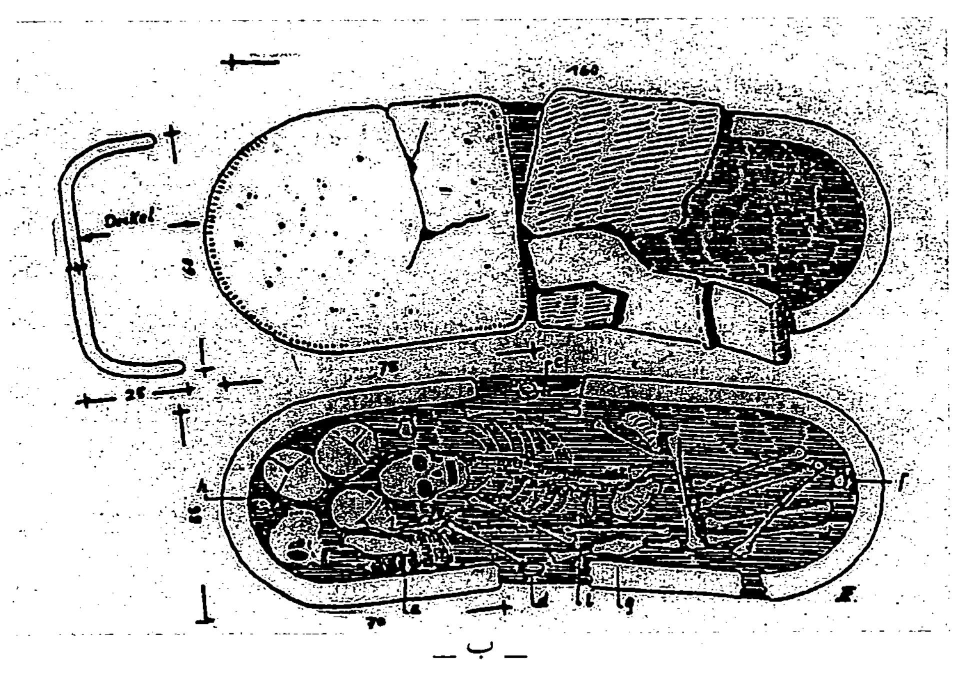
وعُثر على بقايا أغطية كانت موجودة فوق هذا النوع مــــن التوابيـــت في القبور المكتشفة في آشور. وهذه الأغطية كانت إمّا من كسر اللّبن أو ألواح جصيّـة. وفي القبور المشابهة التي اكتُشفت في نفر ويعـــود تاريخــها إلى فــترة الســيطرة

الآشورية[80]، واستمرّت في العصور اللاحقة[81]، استُعملت أغطية لهذا النوع من التوابيت من جذوع النخيل، وفي بعض الأحيان من قطع الفخار أو الطين، ووجد عدد قليل منها مطلياً بالقير. وأحياناً كانت تُغطى بتوابيت مشابهة وبالحجم نفسه إذ تُقلب فوق التابوت الذي استُعمل للدفن. وفضلاً على نفر اكتُشفت قبور هذا النوع في جنوب بلاد الرافدين في بابل، من العصرين البابليين الوسيط والحديث، وفي أور وأوروك من عصور لاحقة[82]. وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ تابوتاً آشورياً من هذا النوع اكتُشف في أور ولكنه مصنوع من البرونز ويبلغ طوله 123سم، ويعود تاريخه إلى حوالي عام 700 قبل الميلاد. ويبدو أنّه خُصّص لشخصية مهمّة، ومن المحتمل أن تكون كاهنة[83].

2ـ النوع الثاني له شكل حوض مستطيل بزوايا دائرية ويتألف من قطعتين متشابهتين توضعان لصق بعضهما، ويكون الغطاء الفخاري الذي يوضع على هذه التوابيت من قطعتين أيضاً. وفي الشكل رقم (10)[84] رسوم تخطيطية لاثنين من القبور الآشورية الوسيطة التي اكتُشفت في آشور من هذا النوع، وهما القبر رقم (738) والقبر رقم (746). وقد عُثر في القبر الأول على ثلاثة هياكل عظمية وكانت أقدام اثنين منهما ممتدّة إلى خارج التابوت من كسرة أحدثت في طرفه. أمّا القبر الثاني رقم (746) فقد وجدت فيه خمسة هياكل عظمية مع كمية كبيرة من التجهيزات الجنائزية التي شملت الآنية الفخارية والحجرية والحلي الذهبية والنحاسية وخرز العقيق واللازورد والمحار وحوالي ألف خرزة من الزجاج الأزرق:



ـ أ ـ



ـ ب ـ

الشكل رقم (10):

ـ أ ـ القبر رقم (738)، ـ ب ـ القبر رقم (746) من آشور

3ـ النوع الثالث مشابه للنوع الثاني ولكنّه يتألف من قطعة واحدة تُشكّل حوضاً مستطيلاً من الفخار بزوايا دائرية، مع غطاء فخاري أيضاً. وقد اكتشف المؤلّف أحد هذه القبور في منطقة التل الشرقي في موقع مدينة بابل ويعود تأريخه إلى النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد (راجع الصور الفوتوغرافية لهذا القبر في الفصل الثاني).

تاسعاً– النواويس الحجرية:

سبقت الإشارة إلى النواويس الحجرية التي اكتُشفت في القصر الملكي القديم في موقع مدينة آشور، العاصمة الآشورية القديمة. وعلى الرغم من تعرّض هذه النواويس للنهب في الأزمنة القديمة أمكن تحديد الملوك الذين كانوا مدفونين فيها وذلك بواسطة قراءة الأسماء المنقوشة على كل ناووس. تتميّز هذه النواويس الحجرية بضخامتها، وكان الناووس الخاصّ بالملك آشور ـ بيل ـ كالا مصنوعاً من حجر البازلت وله غطاء من البازلت أيضاً، أمّا الناووس الذي وجد إلى جانبه، وافتُرض أنّه كان يضمّ جثة الملكة، فقد صُنع من حجر الكلس.

وكان ناووس الملك آشور ـ ناصر بال الثاني من حجر الدوليرايت، ويبلغ طوله حوالي 3،80م وعرضه 1،80م وكذلك ارتفاعه. وغطاء هذا الناووس كان من حجر الدوليرايت أيضاً بشكل ألواح يبلغ سمكها 15سم[85]. وينفرد هذا الناووس بوجود فتحة دائرية في غطائه يبلغ قطرها حوالي 5سم، وقد فسّر بعض الباحثين الغرض منها أنّه لخروج روح الملك من الناووس[86]، ولكنّه تفسير لا يمكن قبوله لعدم وجود ما يُشير إلى الحاجة إلى فتحات لخروج الأرواح من القبور أو التوابيت في عقائد بلاد الرافدين القديمة، وإنّما وجدت ثقوب في بعض القبور لسكب الماء أو السوائل إلى داخل القبر، وهو ما سنأتي على شرحه لاحقاً في الفصل الثاني.

وفي مقبرة آشور الملكية نفسها اكتُشف ناووس الملك الآشوري شمشي ــ أدد الخامس، المعروض حالياً في متحف برلين، وهو من حجر البازلت. وهذا الناووس أصغر حجماً من ناووس آشور ــ ناصر بال الثاني، إذ يبلغ طوله 2،40م وعرضه متر واحد، وارتفاعه مساوٍ لعرضه[87]. ولهذا الناووس شكل صندوق منتظم يضيق قيلاً عند القعر، وقد وضع على مسندين من الحجر وتوجد على غطائه عروتان من البرونز[88].

عاشراً ــ توابيت بشكل المسرجة:

ظهرت في النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد في بلاد الرافدين توابيت فخارية تُحاكي المسارج في أشكالها. وقد عُثر على العديد من هذه التوابيت في قبور من مواقع عدّة مدن قديمة مثل كيش، نفر، بابل، وآشور[89]. وكان عدد من هذه التوابيت مزججاً ومزخرفاً بالنحت البارز، ومن الرسوم المصورة بالنحت البارز على توابيت من هذا النوع اكتُشف في نفرٍ رسم امرأة عارية تُغطي صدرها بيدها اليمنى ووسطها بيدها اليسرى. وهذا الرسم مكرّر على جانبي التابوت وعلى سطحه أيضاً. وزُيّنت توابيت أخرى، عُثر عليها في موقع مدينة أوروك، برسوم محارب مسترخٍ على أريكة ويُمسك بيده قدحاً. وتشترك التوابيت من هذا النوع بوجود فتحتين إحداهما كبيرة وبيضوية الشكل في أعلى الطرف العريض. وكان جسد المتوفّى يدخل من هذه الفتحة التي تُغلق لاحقاً بغطاء يُختم بالجصّ. وأحياناً تكون هذه الأغطية مزيّنة برسوم بارزة أيضاً، ومنها رسم أسدٍ فاغرٍ فاه[90]. أمّا الفتحة الثانية فتكون صغيرة في الطرف الضيّق من التابوت لها شكل نصف دائري. ويُرجّح أن تكون وظيفة هذه الفتحة سحب رجلي الميّت بواسطة حبل يُمرّر منها ليستقر جسده في داخل التابوت. ويتضمّن الفصل الثاني صورة فوتوغرافية لتابوت

من هذا النوع اكتُشف من قبل المؤلّف في التل الشرقي في بابل، ويعود تاريخه إلى أواخر الألف الأول قبل الميلاد.

وضع الجثة واتجاهها في القبر

إنّ نتائج التنقيبات الآثارية التي جرت في مواقع عديدة من بلاد الرافدين تُشير إلى عدم التزام سكان البلاد القدماء بقاعدة محدّدة لوضع الجثة في القبر أو لاتجاهها. فالغاية من الدفن المساعدة على نزول الروح إلى العالم السفلي أينما كان هذا وبأي طريقة كانت. ولذلك يُمكن أن يُوجّه القبر نحو أي اتّجاه، ويمكن أن تكون الجثة في داخله بأيّة وضعية. وبالإمكان أن نجد مختلف الاتجاهات ووضعيات الجثث في العصر نفسه وحتى في الموقع نفسه. فالدفن لم يكن خاضعاً لقواعد دينية تُحدّد وضع الجثة واتجاهها في داخل القبر، وإنّما كانت الاعتبارات العاطفية والاجتماعية والتراثية والاقتصادية هي التي تتحكّم بذلك. وهكذا نجد القبور القديمة والجثث المدفونة فيها موجّهة نحو اتجاهات متغايرة من قبر لآخر. وحين تكون القبور تحت أرضيات البيوت أو بين أبنية المدن فإنّ التكوينات المعمارية، مثل الجدران واتجاهات الأبنية، تتحكّم في تحديد اتجاهات القبور. وسنلاحظ في الفصل الثاني أنّ القبور الموجودة في ساحة الدار نفسها أخذ كل منها اتجاه الجدار الذي حُفر بجانبه، وهذا ما حدث في موقع مدينة ميتورناة (تل السيب حالياً) خلال العصر البابلي القديم، وهي المدينة التي اكتشفت من قبل مؤلف الكتاب.

لقد دُفن الأموات في بلاد الرافدين القديمة بوضعيات مختلفة من دون الالتزام بوضعية معينة، فبعضهم كان يُمدّد بطوله كاملاً على الظهر، وبعضهم الآخر يُمدّد على أحد جنبيه مع رفع الركبتين ليلتصق الفخذان بالبطن. ومن الوضعيات الأخرى تمديد الميّت على الظهر مع ثني الرجلين ورفع الركبتين إلى الأعلى أو جعل الساقين

متقاطعتين إلى الداخل. أمّا وضعية الأيدي فكانت إمّا ممدّدة على جانبي الجسد أو متقاطعة على الصدر، أو مرفوعة أمام الوجه في حالة الدفن على أحد الجنبين. وفي الحالة الأخيرة اكتُشفت في العديد من القبور أقداح فخارية في يد المتوفّى بما يصوّره وكأنّه يرفعها أمام الوجه ويهمّ بالشرب منها.

إنّ النصوص المسمارية العديدة التي اكتُشفت حتى الآن تخلو من أي إشارة إلى تحديد وضعية الجثة أو اتجاهها في القبر. وإنّ ما طُرح من تفسيرات حول ذلك لا يعدو كونه استنتاجات يعوزها الدليل الواضح. وممّا يُضعف هذه الاستنتاجات أنّه لا توجد وضعية واحدة أو اتجاه واحد للجثث في قبور بلاد الرافدين القديمة. ونذكر من بين الاستنتاجات الخاصّة بوضعية الانحناء وثني الركبتين أنّها محاكاة لوضعية الجنين في رحم أمّه، وأنّ في ذلك مغزى إلى أنّ الموت يُمثّل بداية وولادة في حياة جديدة. ولكن يُمكن لهذه الوضعية أن تكون امتداداً تراثياً لأولى حالات الدفن التي تمّت في الكهوف خلال العصور الحجرية، مثل كهف شانيدار، حيث لم يكن بالإمكان حفر قبور واسعة في أرضية الكهف الصخرية فلجأ الإنسان القديم إلى الاكتفاء بحفرة صغيرة وثني جثة المتوفّى في داخلها. ثمّ إنّ هذه الوضعية استمرّت بتمسّك الإنسان بما توارث عليه فيما يتعلق بطقوس الموت حتى بعد مغادرته للكهوف وامتلاكه لمساحات أوسع للدفن.

ومن الملاحظات التي يمكن ذكرها عن طرق الدفن في بلاد الرافدين القديمة أنّها كانت تُحاول إظهار الأموات بمظهر الأحياء عند دفنهم، وقد يكون ذلك بمحاكاة وضعية النائم أو بوضع الأقداح في أيدي الموتى ورفعها أمام وجوههم، فضلاً على إكسائهم بالملابس وتزويدهم بالحليّ والزينة أو بالأشياء التي استعملوها في أثناء حياتهم. وكانت هناك وضعيات خاصة فرضتها طرق دفن معيّنة مثل الدفن المتعدد، أي دفن أكثر من جثة في وقت واحد في القبر نفسه. ففي هذه الحالة تكون

وضعية الجثث متلائمة مع المساحة المتوفرة في القبر ومع ما يتطلبه إحكام وضع جثتين أو أكثر معاً. وفضلاً على الدفن المتعدد كان هناك الدفن المتكرّر، أي إعادة استعمال القبر نفسه لدفن ميّت أو أموات جدد. وفي هذه الحالة كان يتوجّب دفع الهيكل، أو الهياكل القديمة، إلى جهة أو زاوية في القبر لإفساح المجال لوضع الجثث الجديدة بوضعية ملائمة. وفي بعض الأحيان، مثلما الحال في الدفن بالأحواض أو التوابيت الفخارية، كانت الجثث الجديدة توضع فوق الهياكل القديمة المدفونة في التابوت نفسه لعدم وجود مجال لدفعها جانباً. وقد سبقت الإشارة إلى بعض هذه الأمثلة في الصفحات السابقة.

ومّما يؤكّد عدم وجود عقيدة دينية ثابتة خاصة بوضعية الجثة أو اتجاهها في القبر استعمال الدفن الثانوي، أي جمع الهياكل العظمية من مكان الدفن الأول وإعادة دفنها في قبور جديدة، وهذا ما حدث على نطاق واسع في بلاد الرافدين القديمة. فقد مورست هذه الطريقة في قبور تل الصوان[91]، وفي قبور تل الأربجية في الموصل من دور العبيد. إذ وجدت في تلك القبور أجزاء معينة من الهياكل العظمية مثل الجماجم أو الأطراف فقط. وكذلك مورس الدفن المتكرّر في قبور العصر البابلي القديم في أور[92]، وفي قبور آشور التي أشرنا إليها على الصفحات السابقة. وعلى الرغم من وضوح الدليل على ممارسة الدفن الثانوي لم تُقدّم لنا المواقع الآثارية أو النصوص المسمارية ما يُلقي الضوء على هذا النوع من الممارسات الدفنية ودوافعها. وفي القبور العديدة التي اكتُشفت فيها ممارسات الدفن الثانوي لم يكن هناك ما يدل على تقطيع الجثث قبل دفنها، إذ إنّ العظام التي عُثر عليها من هياكل غير كاملة لم تكن تظهر عليها أي آثار للتقطيع أو القشط. ولعلّ التفسير المعقول الذي يمكن للمرء أن يُقدّمه بهذا الصدد يتمثّل في ضيق المساحات المخصّصة للدفن مما يجعلها غير كافية لاستيعاب أموات جدد وهذا ما كان يستدعي جمع الهياكل

السابقة، فرادى أو مجموعات، وإعادة دفنها في مكان جديد لا يستوجب أن يكون واسعاً، لأنّ الدفن فيه كان مقتصراً على عظام متفرّقة من الهياكل.

التجهيزات الجنائزية

اعتاد سكان وادي الرافدين القدماء، منذ أقدم عصورهم، على وضع العديد من الحاجيات واللوازم والحلي والأسلحة مع الموتى عند دفنهم. ولذلك أصبحت القبور القديمة مصدراً مهمّاً للُّقى الآثارية من مختلف العصور. ومثلما تكون القبور القديمة مصدراً للمعلومات التي توضّح لنا المعتقدات القديمة الخاصة بالموت والحياة الأخرى فإنّها ساعدت على حفظ التراث المادي والفني لكل عصر من خلال ما خفي فيها من مواد ما كان مرجّحاً أن تصل إلينا فيما لو بقيت متداولة في المدن القديمة وبيوتها. فمفهوم التجهيزات الجنائزية لم يكن يعني في بلاد الرافدين القديمة عدّة معينة تقضي العقيدة الدينية بدفنها مع الأموات، وإنّما هي كل ما يمكن للإنسان أن يستعمله في الحياة من مواد وثروات منقولة، ومن ضمنها الحيوانات والطيور والأسماك. وقبل شرح الغاية من دفن هذه المواد مع الأموات لابدّ من تقديم عرض ملخّص لما اكتُشف منها من عيّنات من مختلف العصور والمواقع الآثارية، وسيكون هناك عرض إضافي للتجهيزات الجنائزية في الفصلين اللاحقين من هذا الكتاب في سياق مناقشة المواضيع المتعلقة بها.

لقد وضعت التجهيزات الجنائزية مع الموتى منذ أقدم عصور الاستيطان في بلاد الرافدين. فقد عُثر في قبور الطبقة (ب1) من كهف شانيدار على مغرة حمراء وقلادة من خرز صغيرة، وذلك في قبر يعود لأنثى. ووجدت في قبر آخر سكين من حجر الصوان المثبت بالقير في قبضة طويلة من العظم[93]. ووجدت في قبور العصر الحجري الحديث في تل الصوان، الطبقة الأولى، مجموعات من الأواني الحجرية ودمى

من المرمر منحوتة بشكل دقيق فضلاً على مجموعة من الحلي المصنوعة من العقيق والفيروز والنحاس[94]. وفي مقبرة أريدو من دور العبيد كانت التجهيزات الجنائزية من الفخاريات توضع في زاوية من القبر قرب القدم اليمنى وتشمل عموماً جرةً، صحناً، وقدحاً. وفي كثير من الأحيان توجد دلائل على وجود أطعمة، فقد وجدت عظام ذبائح في تراب بعض القبور أو فوقها. وفي إحدى الحالات وجد هيكل صبي في حدود السنة الخامسة عشرة من عمره وقد دفن بصحبة كلب مدد على حضن الصبي ووضعت في فمه عظمة. وعثر في قبر آخر على هيكلين عظميين لكلبين دفنا مع الميت. أما الحليّ التي عثر عليها في قبور تلك المقبرة فتتمثل في عقود طويلة من الخرز المصنوعة من حجر الأوبسيديان في الغالب وتكون عند مواضع الأعناق والمعاصم. وحين تأخذ هذه الخرز شكل أشرطة يستدل منها على وجود الثياب التي استعملت في تزيينها حين ألبس بها الأموات ولكنها تعرضت للتلف[95].

ومن المكتشفات المثيرة للاهتمام في مقبرة أريدو المصغرات الطينية لقوارب شراعية وجدت مع التجهيزات الجنائزية. وفي هذه المصغرات تظهر القاعدة المجوفة التي ينصب فيها الصاري ودمى طينية وجدت إحداها بحالة سليمة. تمثل هذه الدمية رجلاً له رأس يشبه رأس السحلية ويمسك بيده عصا قصيرة[96]. ولم يقتصر اكتشاف مصغرات القوارب في دور العبيد على مقبرة أريدو، وإنما ظهرت أيضاً في قبور موقع العقير[97] وفي قبور أور[98]. وكانت تلك المصغرات تصنع من مواد متنوعة مثل الفخار والفضة والقير. وقد حاول بعض الباحثين تفسير وجود مصغرات القوارب باعتبارها نوعاً من التعاويذ التي تساعد أرواح الموتى في رحلتها إلى العالم السفلي حين يكون عليها أن تعبر النهر الأسطوري الذي يسمى "نهر خبر" واعتُقد أنه يحيط بعالم الأرواح، أو أنها مخصصة لإبعاد الشياطين عن الموتى حين عبورهم نهر خبر بدليل نصوص التعاويذ الخاصة بطرد الشياطين[99]. ولكن من الصعب إثبات صحة

هذه التفسيرات في غياب الدليل الكتابي الواضح على الغاية منها وعدم وجودها في المواقع الأخرى. وهنا نؤكد على قولنا بخصوص عدم وجود مادة معينة أو أداة استمر وجودها ضمن التجهيزات الجنائزية في جميع القبور حتى يمكن اعتبارها جزءاً من العقيدة الدينية أو أن لوجودها مغزى دينياً.

لقد كان واضحاً من التجهيزات الجنائزية المكتشفة في قبور دور العبيد في أور أن الرجال كانوا يدفنون مع أسلحتهم وأدواهم الشخصية، وأن النساء كن يدفنَّ مع حليّهنَّ وأدوات زينتهنَّ ومواد التجميل الخاصة بهنّ. ويصاحب ذلك حاجيات شخصية وأقداح من النحاس أو الحجر وأواني فخارية متنوعة. وكانت هذه التجهيزات تُكَدّس حول الرأس وينتظم بعضها في صف أمام الجثة، وتوضع مجموعة أخرى منها قرب القدمين. وحين يكون الدفن في تابوت كانت التجهيزات الجنائزية توضع في داخله ويوضع بعضها في خارجه ضمن مساحة القبر[100]. وفي مقبرة دور جمدة نصر وبداية عصر فجر السلالات الأول (الثلث الأول من الألف الثالث قبل الميلاد) كانت التجهيزات الجنائزية تشمل الفخار الملون والمواد المعدنية مثل الأقراط الفضية، المرايا النحاسية والبرونزية، الملاعق والدبابيس، وأدوات وأواني متنوعة من النحاس والرصاص[101].

وخلال عصر فجر السلالات كانت التجهيزات الجنائزية المكتشفة في قبور موقع مدينة كيش تدل،في نوعيتها وقيمتها، على مكانة المتوفى ومدى غناه. وكان معظم الموتى يجهزون بحاجياهم الشخصية وبعض اللوازم مثل الجرار، التي يمكن الاستدلال على أنها كانت تحوي الطعام، والقدح الذي يوضع في يد الميت فضلاً على بعض المواد النحاسية. ومما تجدر ملاحظته أنه لم يعثر على أثر للأسلحة في تلك القبور[102]. وفي قبور خفاجي (موقع مدينة توتب القديمة في منطقة ديالى من عصر فجر السلالات) عثر على عدد من الهياكل العظمية لكلاب وأسماك وطيور

وحيوانات صغيرة مختلفة[103]. وهذا ما يذكّر باكتشاف هياكل عظمية للكلاب في مقبرة أريدو التي سبقت الإشارة إليها في الصفحات السابقة. وقد عثر على بعض الدمى الطينية الأنثوية في بعض قبور الأطفال في خفاجي[104]، وهذا ما سبق أن مورس في تل حسونة حيث كشفت التنقيبات الآثارية في طبقات العصر الحجري الحديث في هذا الموقع عن وجود الدمى الطينية الأنثوية في داخل الأواني الفخارية التي دفن فيها الأطفال[105].

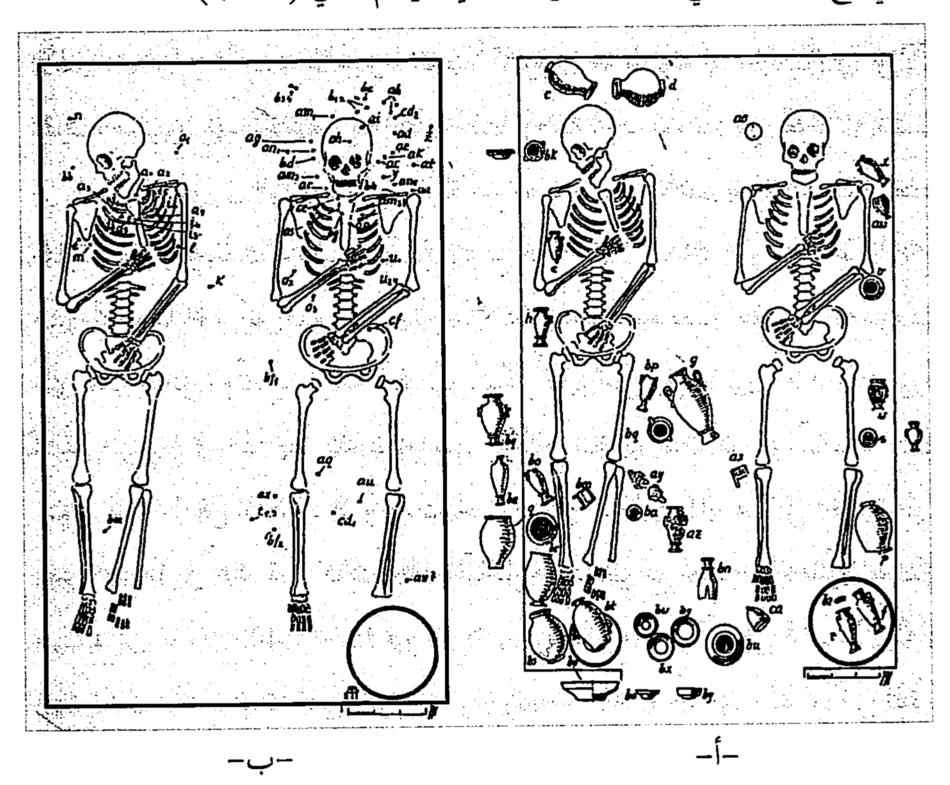
وقدمت لنا القبور المكتشفة في موقع مدينة نفر، من مختلف العصور، مجموعات متنوعة من التجهيزات الجنائزية التي تشمل عقود الخرز والحليّ البرونزية والحديدية والنحاسية وكميات كبيرة من الأحجار الكريمة وشبه الكريمة ومجموعات من الجرار الفخارية. وكذلك وجدت مواد تدل آثارها المتبقية على أنها كانت مصنوعة من الخشب أو الجلد، وهما مادتان قابلتان للتلف[106]. وتجدر الإشارة هنا إلى الأقنعة الفخارية والحجرية التي عثر عليها في قبور نفر. وهذه الأقنعة مثقوبة في مواضع العيون والفم والأنف والأذنين، ويمثل بعضها وجه رجل، وبعضها الآخر مصور بوجه رجل له قرنان وأذنا ثور[107]. لقد استمرت التجهيزات الجنائزية طوال عصور حضارة بلاد الرافدين القديمة مؤلفة من كل ما كان يُستعمل في الحياة اليومية أو يُقتنى لأي غرض كان. وكانت هذه التجهيزات تتوافق مع المستوى المادي والاجتماعي لعائلة المتوفى. وهكذا كانت القبور الملكية، ومن بعدها قبور الشخصيات المهمة والأثرياء، تمتلئ بتجهيزات ثمينة ونفائس من المواد الذهبية والأحجار الكريمة وسواها. وكانت كمية تلك التجهيزات وقيمتها تتناقص كلما تدنت المترلة الاجتماعية والحالة المادية للمتوفى. ومن الواضح أنه لم تكن هناك تحديدات معينة لما يجب أن يدخل في التجهيزات الجنائزية أو ما يحرّم وضعه فيها. ولم يكن هناك أي اختلاف فيما بين المواد التي تدخل في التجهيزات الجنائزية والمواد التي

تستعمل من قبل الأحياء في الحياة اليومية وفي المنازل. وكانت التجهيزات الجنائزية وثيقة الصلة بالمتوفى أو ما كان يملكه أو يستعمله في حياته. ويشمل ذلك الملابس والحليّ والأسلحة والأدوات واللعب والقطع الفنية وغير ذلك. ومن خلال ذلك أصبح بالإمكان، على سبيل المثال، تمييز قبور الرجال عن قبور النساء منذ اللحظات الأولى لاكتشاف القبر ورؤية ما في داخله من تجهيزات جنائزية وحتى قبل فحص الهيكل العظمي.

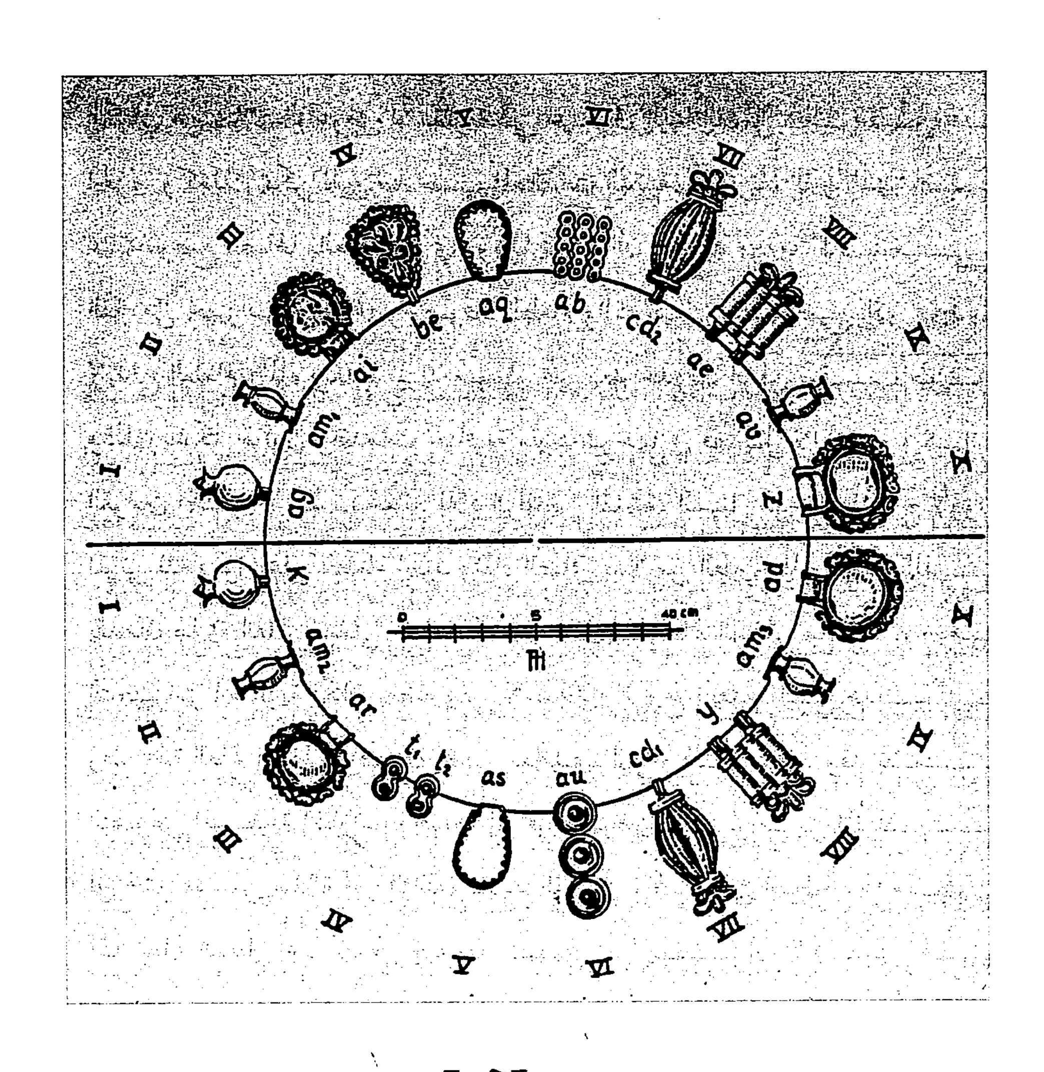
ومن القبور المهمة التي يمكن ذكرها هنا مثالاً على طبيعة التجهيزات الجنائزية وتنوعها القبر رقم (45) الذي اكتشف في أثناء تنقيبات البعثة الآثارية الألمانية في موقع العاصمة الآشورية القديمة آشور (قلعة الشرقاط حالياً) في أوائل القرن العشرين. لقد اكتشف هذا القبر تحت أرضية أحد البيوت التي يعود تاريخها إلى العصر الآشوري الوسيط على مقربة من معبد عشتار الآشورية. إن هذا القبر عبارة عن قبو رصفت أرضيته بالآجر، وتبلغ أبعاده 2.5 م×1.61 م وارتفاعه 1.58 م. وميزة هذا القبر أنه يقدم مثالاً على عدة ممارسات دفنية فضلاً على ما يقدمه من تجهيزات جنائزية ووثّقت طريقة تنظيمها بشكل دقيق من قبل المنقبين. فقد مورس الدفن المزدوج في هذا القبر باحتوائه على هيكلين عظميين دفنا معاً. وشهد القبر نفسه عملية الدفن المتكرر، إذ وجدت تحت هذين الهيكلين بقايا هياكل عظمية قد يصل عددها إلى عشرة. وكانت تلك الهياكل قد دفنت مع تجهيزات جنائزية يعود تاريخها إلى ما بين 1400و1250 قبل الميلاد. أما الدفن الأخير فيمكن تحديد تاريخه في عهد الملك الآشوري توكلتي-ننورتا الأول (1244-1208 ق.م). وقد افترض المنقب الذي اكتشف هذا القبر، وهو فالتر أندريه، أن الهيكلين المدفونين فيه يعودان إلى كاهن وكاهنة مهمين من كهنة معبد عشتار في مدينة آشور[108]. أما التجهيزات الجنائزية التي عُثر عليها في هذا القبر فقد تنوعت ما بين الحلي المصنوعة من الأحجار

الكريمة والذهب والأواني الفخارية مع 22 وعاء من المرمر وأدوات زينة وختم أسطواني ومشطين من العاج ومشابك شعر عاجية وسواها.

ويتضمن الشكل رقم (11) الرسوم التخطيطية للقبر رقم (45)[109]، وفيه ثلاثة رسوم يظهر في الأول (11-أ) الهيكلان العظميان ممددان على الظهر وقد بدت التجهيزات الجنائزية من جرار وأواني وأوعية وأدوات في مواضعها الأصلية. وفي الرسم الثاني (11-ب) يظهر الهيكلان ذاتهما مع إشارات تدل على مواضع مواد الزينة والحليّ التي دفنت معهما. أما الرسم الثالث (11-ج) فيعرض تلك المواد والحليّ مع الحروف التي تشير إلى مواضعها في الرسم الثاني (11-ب).



-ب-   -أ-



-جـ-

الشكل رقم (11): رسوم تخطيطية لقبر من العصر الآشوري الوسيط–مدينة آشور

إن طبيعة التجهيزات الجنائزية تدل على أن الغرض الأول من وضعـــــها في القبر كانت تلبية احتياج روح المتوفى إليها. وهذا يعني وجود اعتقاد بأن بعضاً مــــن التجهيزات الجنائزية ينـــزل مع الروح إلى عالمها الأخير، وهذا ما يؤيـــــده الدليـــل

الكتابي من خلال النصوص المسمارية التي سيتطرق إليها الفصل الثالث من هذا الجزء. وكذلك يمكن للروح، بحسب المعتقدات الدينية، أن ترتاد القبر الذي يصبح بمثابة موضع اتصالها بالعالم العلوي. وبهذا يمكنها أن تستفيد من ما كان يتبقى في القبر من تجهيزات جنائزية، وخصوصاً الطعام والشراب. ولذلك أصبح القبر موضعاً لإيداع الطعام والماء وتقديم المزيد منهما، حتى بعد حدوث الدفن بوقت طويل، وذلك بشكل قرابين وتقدمات جنائزية سيرد شرحها في فصل لاحق. وكانت القرابين الجنائزية، بحسب عقائد بلاد الرافدين القديمة، السبيل الوحيد المتاح لأرواح الموتى للحصول على الطعام الجيد والماء الصافي بدلاً من الطين والماء العكر اللذين يقدمان لها في العالم السفلي. أما ما كان ينزل إلى العالم السفلي مع الروح من التجهيزات الجنائزية فكان بعضه يبقى لاستخدام الروح ويقدم المتبقي هدايا لنيل رضا آلهة العالم السفلي وضمان حسن معاملتهم لروح ذلك المتوفى. وقد تضمنت النصوص المسمارية إشارات واضحة إلى قيام المتوفين، وخصوصاً من الملوك، مثل أور-نمو مؤسس سلالة أور الثالثة، بتقديم القرابين والهدايا التي اصطحبوها معهم إلى آلهة العالم السفلي عند نزولهم إليه بعد دفنهم. وهنا ينبغي أن لا يُهمل الجانب العاطفي من وراء وضع بعض التجهيزات الجنائزية. وهذا الجانب يكون موجوداً في ظل أي عقيدة دينية عن مراسم الدفن والتصورات الخاصة بالموت والحياة الأخرى. ومن قبيل ذلك، الحرص على دفن مقتنيات خاصة وأشياء أحبها المتوفى في حياته، وفي ذلك إرضاء لرغبة عاطفية لدى الأحياء تجاه فقيدهم للتخفيف من "محنته" وهو "يواجه" وحيداً وحشة القبر في بداية رحلته إلى عالم الأرواح. وهذه ممارسة لم تزل معروفة في المجتمعات المعاصرة ولا يستغرب المرء أن يجد جذورها تمتد عميقاً لتصل إلى ممارسة دفن التجهيزات الجنائزية في بلاد الرافدين القديمة، ويكمن بعضها في أمثلةٍ ورد ذكرها على الصفحات السابقة. ومن أوضح تلك الأمثلة ذلك الصبي الذي دُفن

في مقبرة أريدو ومعه كلبه راقداً في حضنه وبفمه عظمة، وفي هذا مشـــهد عـــاطفي يكمّل المشهد الديني لشعائر الدفن ووضع التجهيزات الجنائزية.

شواهد القبور

استعملت شواهد القبور المدونة بالخط المسماري في بلاد الرافدين القديمـــة للدلالة على القبور والإعلام عنها وعن الأشخاص المدفونين فيـــها، أي بمثـــل مـــا تُستعمل له شواهد القبور في يومنا هذا. وفضلاً على ذلك كان يقصد من شــــواهد القبور حماية القبر ومحتوياته من عبث العابثين وتحذيرهم من انتـــهاك حرمـــة القـــبر والهيكل الموجود فيه مع استنـــزال اللعنات على من يتجاهل التحذيرات الواردة على شاهد القبر. لكن ما وصلنا من تلك الشواهد محدود العدد و لايزيد علـــى بضعـــة منها. ويعود السبب في قلة ما وصلنا من الألواح الكتابية التي كانت تستعمل شواهد للقبور إلى طبيعة طرق الدفن التي استُعملت. ففي أكثر الأحيان لم يكن مُتوقعاً وجود حاجة لوضع الشواهد في حالة الدفن تحت أرضيات البيوت أو في الجرار على ســبيل المثال. وهناك سبب آخر وراء قلة ما اكتُشف من هذه الشواهد يتمثـــل في عـــدم اهتمام السكان القدماء بإخفاء قبور موتاهم مما جعلها عرضة للتخريـــب بدوافـــع مختلفة، وكان أول ما يتعرض للتخريب أو الإزالة من القبر شاهده.

وقبل عرض شواهد القبور التي تم اكتشافها حتى الآن تجدر الإشارة إلى مـــا سبق التطرق إليه حول أضرحة الملوك الآشوريين في العاصمة الآشورية القديمة آشور. ذلك أن كتابة أسماء بعض أولئك الملوك على النواويس الحجرية التي كـــانت تضـــم رفاقهم، في داخل الأقبية الموجودة تحت القصر الملكي القديم، مثّلت ممارسة تـــؤدي جانباً من الوظيفة التي تُستعمل الشواهد من أجلها. أما القطع الأثرية الـــتي يمكـــن اعتبارها شواهد قبور مما اكتشف حتى الآن فيوجد منها ثلاث، وهي:

أولاً: قطعة أثرية بشكل مخروط طيني، وُجدت بنسخٍ متعددة، ويبدو أنها جاءت من مواقع مختلفة ووجدت طريقها إلى عدد من المتاحف العالمية. ويدلُّ مضمون النص الأكدي المدون على هذه المخاريط أن الغاية منها الدلالة على موضع القبر[110]. وكما هو واضح من النص فإنه يصلح للدلالة على أي قبر لعدم وجود اسم شخص فيه. وفيما يأتي ترجمة هذا النص:

"للأبد، بتوالي الأيام، على الدوام، في الأيام المقبلة، عسى من يرى هذا القبر أن لا ينتهك حرمته، ولكن يعيده إلى مثل ما كان عليه. إن الشخص الذي يرى هذه (الكتابة) ولا يستخف بها، بل يقول: 'سأعيد هذا القبر إلى مثل ما كان عليه'، عسى أن يعود عليه بالخير العمل الذي يعمله. عسى أن يبجّل اسمه على الأرض، عسى أن تشرب روحه الماء النقي في العالم السفلي"[111].

ثانياً: توجد في المجموعة البابلية في جامعة ييل في الولايات المتحدة أسطوانة طينية دوّن عليها نص يعود تاريخه إلى أواخر العصر الآشوري الحديث، إذ يُذكَر فيه اسم الملك الآشوري آشور-ايطل-ايلاني (626-624 ق.م)، وهو خليفة آشور بانيبال على العرش الآشوري. ويتضح من النص أن هذه الأسطوانة الطينية التي دُوّن عليها ليست إلا شاهد قبر شمش-ابني، أحد رجال الدولة المهمين في عهد آشور-ايطل-ايلاني. وترجمة هذا النص كما يأتي:

"قبر شمش-ابني الداكوري الذي كان آشور-ايطل-ايلاني، ملك بلاد آشور، يعطف عليه، وقد جلبه من بلاد آشور إلى بيت-داكور، موطنه (الأصلي)، واضجعه في قبر في وسط بيت دور-ياكن.

أياً من تكون، مسؤولاً، حاكماً، قاضياً، أم أميراً قائماً في البلاد، لا ترتكب إثماً بحق هذا القبر وعظامه. صُن موضعه وانشر عليه حمايتك الطيبة. وبهذا عسى الإله مردوخ، السيد العظيم، أن يطيل عهدك ويرعاك بحمايته. عساه [أن يحفظ لك] اسمك، ذريتك، وحياتك لأيام طويلة.

أما إذا ذلك الأمير، المسؤول، الحاكم، القاضي، أو الوكيـــل القـــائم في البلاد يرتكب إثماً بحق هذا القبر والعظام، أو يغير موضعها أو ينقلها إلى مكـــان آخر، أو يحرضه شخص ما على الإساءة ويصغي هو إليه، فعسى الإله مـــردوخ، السيد العظيم، أن يمحو اسمه، نسله، ذريته، وأخلافه من أحاديث الناس. وعســى الإله نبو أن يقصر عمره. وعسى الإله نرجال أن يجعل حياتـــه عرضـــة للوبـــاء والكوارث وسفك الدماء"[112].

ثالثاً: اكتشفت في مدينة حران، قرب الحدود السورية-التركية، مســـلتان نقش عليهما نص مسماري بابلي. ويبدو أن الموضع الذي اكتُشفت فيـــه هاتـــان المسلتان كان في داخل معبد الإله-القمر سين في حران، أو على مقربة منه. يتضّـــح من هذا النص المدون على هاتين المسلتين أنهما كانتا شاهد قبر أدد-جـــبي (Adad-guppi)، أم الملك البابلي الأخير نبونائيد (555-539 ق.م). وكما هو معروف مـــن النصوص المسمارية كانت أدد جبي-الكاهنة العليا في معبد الإلـــه ســـين في مدينـــة حران. ولهذا النص أهمية تاريخية ودينية كبيرة إذ يتضمن، في الجزء الأول منه، نبـــذة عن حياة تلك الشخصية البابلية المهمة مروية على لسانها هي. والجزء الثاني من النص عبارة عن تذييل يروي حادثة وفاة أدد-جبي ويصف الشعائر والمراسم الجنائزية الـــتي أقيمت لها. وذلك ما يجعل من نص شاهد القبر هذا مصدراً مهماً للمعلومات الخاصة بالموت والدفن وشعائره. وفيما يأتي الترجمة الكاملة للنص[113] :

" أنا أدد-جبي، أم نبو نائيد، ملك بابل، المنذورة للآلهة سين، ننجـــال، وسادرنونا، آلهتي الذين، منذ طفولتي، ألوذ بألوهيتهم دائماً. فأنا التي في الســـنة السادسة عشرة من عهد نبو بلاصر، ملك بابل، حين غضب الإله سين، ملـــك جميع الآلهة، على مدينة حران ومعبده، وصعد إلى السماوات، وعمّ القنوط المدينـة وناسها، ذهبتُ إلى مزارات الآلهة: سين، ننجال، نسكو وســـادرنونا في المدينـــة

وبقيت منذورة لألوهيتهم. أنا التي تمسكت بأهداب ثوب الإله سين، ملك جميع الآلهة، واتخذت من ألوهيته العظيمة ملاذاً لي في كل صباح ومساء. أنا التي كرست بخشوع حياتي كلها إلى الآلهة سين، شمش، عشتار وأدد في السماوات وفي العالم السفلي. وعلى كل ما وهبوني من ملك ثمين شكرهم بتقديم القرابين صباحاً ومساءً، شهوراً وأعواماً.

تمسكت بأهداب ثوب الإله سين، ملك جميع الآلهة، وتطلعت عيناي إليه صباحاً ومساءً. ركعت أمامه في التضرع والصلوات متوسلة: 'إذا عدت لمدينتك سيتعبد جميع سود الرؤوس لألوهيتك'. من أجل تهدئة إلهي وآلهتي لم أدع جسدي ينعم بأي كساء من الصوف الناعم أو الحلي الذهبية والفضية، ولا بأي رداء جديد أو عطر أو زيت زكي الرائحة. لبست ثوباً بالياً، وحين تركت (بيتي). كان الصمت يخيم عليه. أنا على الدوام ابتهلت إليهم، وكان التسبيح لإلهي وآلهتي في خاطري، وانقطعت إلى خدمتهما، ولم أدع ما هو نفيس إلا وجلبته لهما.

منذ السنة العشرين من عهد آشور-بانيبال، ملك بلاد آشور، حين ولدت، حتى السنة الرابعة والعشرين من عهد آشور بانيبال، السنة الثالثة من عهد ابنه آشور-ايطل-ايلاني، السنة الحادية والعشرين من عهد نبو بلاصر، السنة الثالثة والأربعين من عهد نبوخذ نصر (الثاني)، السنة الثانية من عهد اويل-مردوخ، السنة الرابعة من عهد نرجلسر، خلال هذه السنوات الخمس والتسعين التي واصلت فيها زيارة معبد الألوهية العظيمة لسين، ملك جميع الآلهة في السماوات والعالم السفلي، كان ينظر بعطف إلى أعمالي الورعة، ويصغي لصلواتي ويتقبل نذوري.

وأخيراً هدأ قلبه الغاضب وأصبح راضياً على معبد اي- خلخل، معبد الإله سين في حران، المقام المقدس الذي يبتهج فيه قلبه، وتغير مزاجه. سين، ملك جميع الآلهة، نظر بعطف وسمى نبونائيد، ابني الوحيد الذي أنجبته، للملوكية وعهد إليه ملوكية بلاد سومر وأكد وجميع البلدان، من حدود مصر، على البحر العلوي، إلى البحر السفلي. حينئذٍ رفعت يداي إلى الإله سين، ملك جميع الآلهة وتضرعت إليه بخشوع وإيمان: 'بما أنك سميت للملوكية نبو نائيد، ابني الذي أنجبته، حبيب أمه، وأعليت مكانته، فلتجعل جميع الآلهة الآخرين -بأمرك الإلهي- يساعدونه ويمكنونه من هزم أعدائه، ومن ترميم معبد أي-خلخل وأداء شعائره'. في الرؤيا وضع سين، ملك جميع الآلهة، يده عليَّ قائلاً: 'من أجلك سيعود الآلهة وسأعهد لابنك نبونائيد بالمقام المقدس لحران. سيرمم معبد أي-خلخل وسينجز هذا الواجب، سيجدد حران ويجعلها أحسن من ما كانت عليه من قبل. إنه سيقود الآلهة: سين، ننجال، نسكو وسادرنونا في موكب مهيب إلى معبد أي-خلخل'.

انتبهت للكلمات التي قالها لي الإله سين، ملك جميع الآلهة، ورأيت (تحققها). وأدى نبو نائيد، الابن الوحيد الذي أنجبته، كل الشعائر التي كانت منسية للآلهة سين، ننجال، نسكو وسادرنونا وأتم ترميم معبد أي-خلخل. وقاد الآلهة: سين، ننجال، نسكو وسادرنونا في موكب من بابل، عاصمته، ونصبهم بفرح وسعادة في حران، المقام الذي يبهجهم.

من حبه لي، أنا التي تعبدت له وتمسكت بأهداب ردائه، فإن سين، ملك جميع الآلهة، فعل ما لم يفعله من قبل وما لم يمنحه لشخص آخر، لقد منحني مركزاً سامياً وإسماً مشهوراً في البلاد. لقد أضاف (لحياتي) أياماً عديدة وأعواماً من

السعادة، وحفظني حيةً أرزق من زمن آشور–بانيبال، ملك بلاد آشور، إلى السنة التاسعة من عهد نبونائيد، ملك بابل، الابن الذي أنجبته. (لقد عشت) مائة وأربعة أعوام في تلك التقوى التي غرسها الإله سين، ملك جميع الآلهة، في قلبي. كان نظري جيداً، سمعي ممتازاً، يداي ورجلاي سليمتان، كلماتي منسقة، الطعام والشراب ملائمين لي، صحتي جيدة وبالي مرتاح. لقد شاهدت أحفاد أحفادي حتى الجيل الرابع وأنا بصحة جيدة حتى في شيخوختي.

إني لأعهد إليك، أيها الإله سين، سيدي، بإبني نبونائيد، ملك بابل، (ذلك) أنك نظرت إلي بعطف ووهبتني الحياة الطويلة. إنه لن يرتكب إثماً بحقك طوال ما هو على قيد الحياة. خصّه بالملاكين الحارسين الطيبين شيدو (ēdu ولمسّو (Lamassu) اللذين خصصتني بهما فمكناني من إحراز العمر المديد. لا تغفر له إثمه وذنوبه بحق ألوهيتك العظيمة، وعساه أن يكون خاشعاً لألوهيتك العظيمة.

لقد التزمت بالطاعة من كل قلبي وقمت بواجبي طوال السنوات التي مارس فيها الملوكية كل من نبوبلاصر، ملك بابل، 21 سنة، نبوخذ نصر (الثاني)، ابن نبوبلاصر، 43 سنة، ونرجلسر، ملك بابل، 4 سنوات، (ومجموعها) 68 سنة. لقد جعلت نبونائيد، الابن الذي أنجبته، يخدم نبوخذ نصر (الثاني)، ابن نبوبلاصر، ونرجلسر، ملك بابل، فأدى واجبه تجاههما صباحاً ومساءً وكان يعمل كل ما يرضيهما. وهو قد جعل لي اسماً حسناً أمامهما فمنحاني مركزاً سامياً كما لو كنت ابنتهما الحقيقية....وأنا واصلت تقديم القرابين الجنائزية لهما وهيئة نذور البخور الوافر الزكي الرائحة وتقديمه لهما على الدوام"

(التذييل:)

"رحلت إلى مصيرها في السنة التاسعة من حكم نبونائيد، ملـــك بـــابل. سجى نبونائيد، ملك بابل، الابن الذي أنجبته، جثمانها ليرقد مكتسياً أردية مـــن الصوف الناعم والكتان الأبيض الناصع. أودع جثمانها في ضريح مســـتور مـــع الحلي الوفيرة من الذهب المرصع بالأحجار الجميلة، أحجار ...، عقود من الحجر الثمين، حاويات الزيت المعطر، و... . نحر الخراف السمان وجمـــع في حضرتـــه سكان بابل وبورسبا سوية مع ناس من المقاطعات البعيدة. لقـــد دعـــى ملـــوك، أمراء، وحكام من حدود مصر، على البحر العلوي، إلى البحر السفلي للحـــداد. ... فأقاموا مناحة عظيمة، نثروا الطين على رؤوسهم. وكانوا لسبعة أيام وســـبع ليال يسيرون مطأطأي الرؤوس، معفرين بالتراب، متجرديـــن مـــن ملابســـهم الفخمة. في اليوم السابع ... حلق كل اهل البلاد ونظفوا أنفسهم، نزعوا أثـــواب الحداد... جلبت لهم صناديق من الملابس الفخمة إلى أماكن إقامتهم، قدمت لهـــم الطعام والشراب، جهزهم بسخاء بالزيت الفاخر، نثرت الزيت المعطـــر علـــى رؤوسهم، وجعلتهم في رضى وبمظهر حسن. جهزهم جيداً من أجـــل ســـفرهم الطويل، وعادوا إلى بيوهم.

إنك أيا من تكون، سواء ملكاً، أميراً، أم ... اتخذ من الألوهية العظيمـــة للإله سين، ملك جميع الآلهة، سيد آلهة السماوات والعالم السفلي ملاذاً لك. تعبـــد للآلهة: شمش، أدد وعشتار، أسياد السماوات والعالم السفلي الذين ... . الآلهـــة الذين يقيمون في ايساجلا وايزيدا وتضرّع لهم ... فإن كلمة الإلهين سين وعشتار هي التي تنقذك ... تحفظ نفسك وذريتك سالمين، إلى أبد الآبدين".

هوامش الفصل الأول من الجزء الأول

(1) كوران، آرليت لوروا، "انسان نياندرتال 4 في كهف شانيدار"، في **سومر** 25 (1969)، ترجمة جميل حمودي، ص 275.

(2) Solecki, Ralph S., **Shanidar,** (London, 1972), p. 174.

(3) Ibid., p.154.

(4) باقر، طه، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، جـ1 (بغداد، 1973)، ص 195.

(5) El-Wailly, F. and B. Abu es-Soof, "The excavations at Tell es-Sawwan, first preliminary report-1964" in **Sumer** 21 (1965), p. 23.

(6) Childe, v.Gordon, **New Light on the most Ancient East,** (London, 1952), p. 109.

(7) Ibid., p. 121.

(8) أبو الصوف، بهنام، "التنقيب في تل قاليج آغا في أربيل"، في **سومر**25 (1969)، ص ص 5-6.

(9) McCown, Donald E., in **Nippur** 1, (Chicago, 1967), p.147.

(10) Childe, v.Gordon, **New Light on the Most Ancient East**, p. 148

(11) Watelin, L.Ch., and S. Langdon, **Excavations at Kish** 4 (Paris, 1934), pp.17 f.

(12) Delougaz, Pinhas, **Private Houses and Graves in the Diyala Region**, (Chicago, 1967), p.58.

(13) Heidel, A., **The Gilgamesh Epic and Old Testament Parallels,** (Chicago, 1967), p. 164.

(14) Loc. Cit.

(15) McCown, Donald E., in **Nippur** 1, p. 147.

(16) راجع الفصل الثاني حول القبور المكتشفة من قبل المؤلف في تل السيب وسواها من القبور.

(17) Wolley, C. Leonard, **Abraham,** (London, 1935), p. 208.

(18) Ibid., pp. 211-5.

(19) Ibid., p. 216.
(20) **Chicago Assyrian Dictionary**, 8; kimahu, p. 370.
(21) Ibid., p 371.
(22) King, L.W., **Chronicles Concerning Early Babylonian Kings**, 2 (London, 1907), pp.52-4; Col.II: 3-10.

وحول الملوك المذكورة أسماؤهم في النص ونسبهم وعلاقاتهم ببعضهم، انظر المرجع الآتي:

Frame, Grant, **Rulers of Babylonia from the Second Dynasty of Isin to the End of Assyrian Domination (1157-612 BC)**, (Toronta, 1995), pp. 70ff.

(23) المقصود به الملك سمبر-شِبَك ، مؤسس سلالة القطر البحري الثانية (1024-1007 ق.م).

(24) كان دامق-اليشُ الملك الثالث في سلالة القطر البحري الأولى، وقد ورد ذكره في النص، على ما يبدو، لبيان شرعية حكم سمبر- شِبَك باعتباره ذو صلة بسلالة حاكمة سابقة.

(25) ايا-مُكين-زير (Ea-mukīn-zēri) حكم في عام 1007 ق.م. ويتضح من النص أنه استولى على العرش بقوة السيف وقتل الملك الشرعي سمبر- شِبَك، ولذلك اعتبر ملكاً غير شرعي و لم يسمح بدفنه في القصر الملكي وإنما دفن في منطقة قبيلته في الأهوار.

(26) كشو-نادن-اخي هو الملك الثالث والأخير في سلالة القطر البحري الثانية. حكم لمدة ثلاث سنوات (1006-1004 ق.م). اعتبر ملكاً شرعياً ولذلك دُفن في القصر الملكي بعد وفاته.

(27) أي-اولماش-شاكن-شمي (E-ulmaš-šākin-šumi) (1003-987 ق.م)، مؤسس سلالة بازي (سلالة بابل السادسة).

(28) كانت مدينة كار-مردوخ على ما يبدو المدينة الرئيسة لقبيلة بيت-بازي التي

تأسست منها سلالة بازي. ويتضح من النص أن القصر الملكي كان موجوداً في تلك المدينة ولذلك دفن فيه مؤسس السلالة أي-اولماش-شاكر-شمي. أما موطن قبيلة بيت بازي فيرجح أن يكون عند أحد المصبات القديمة لنهر ديالى في مجرى نهر دجلة القديم إلى الجنوب من بغداد، حول تحديد هذا الموطن، انظر المرجع الآتي:

Frayn, Douglas R., **The Early Dynastic List of Geographical Names**, (New Haven, Connecticut, 1992), p. 45.

(29) Olmstead, A.T., **History of Assyria**, (New York, 1923), pp. 70 f.

(30) Johns, C.H.W., **Babylonian and Assyrian Laws, Contracts and Letters**, (New York, 1940), p.245.

(31) Conteneau, Georges, **Everyday Life in Babylonia and Assyria**, (New York, 1966), p. 296.

(32) Woolley, C.L., **Excavations at Ur**, (London, 1963), p. 150.

(33) Ibid., pp. 150 ff.

(34) Kramer, S.N., **The Sumerians**, (Chicago, 1964), pp.217 f.

(35) باقر، طه، **مقدمة من تاريخ الحضارات القديمة** جـ1، ص 186.

(36) Childe, V. G., **New Light on the Most Ancient East**, p. 112.

(37) Leick, Gwendolyn, **Mesopotamia: The Invention of the City**, (London, 2001), p.12.

(38) Ibid., p.113.

(39) حول تحديد تاريخ المقبرة الملكية في أور ووصف أهم الأضرحة فيها، راجع كتاب المؤلف: **عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة**، (بغداد، 1986)، ص ص 255 وما بعدها.

(40) McCown, Donald E., in **Nippur** 1, p. 147.

(41) سفر، فؤاد، "حفريات مديرية الآثار العامة في اريدو"، **سومر** 3 (1947)، ص 225.

(42) Jeremias, A., **The Old Testament in the Light of the Ancient East** 1, (New York, 1911), P. 139.

(43) **Chicago Assyrian Dictionary**, 8; kimahu, p. 371.

(44) El-Wailly, F. and B. Abu es-Soof, "The excavations at Tell es-

Sawwan, first preliminary report", in **Sumer** 20 (1964), p. 23.

(45) Leick, Gwendolyn, **Mesopotamia: The Invention of the City**,p.12.

(46) Woolley, L., **Ur of the Chaldees,** (New york, 1965), p.37.

(47) Delougaz, P., **Private Houses and Graves in the Diyala Region,** p. 58.

(48) Ibid., p. 107.

(49) Woolley, L., **The Sumerians**, (New York, 1965), p.36

(50) McCown, Donald E., in **Nippur** 1, p. 118.

(51) Delougaz, P., **Private Houses and Graves in the Diyala Region,** p. 67.

(52) Watelin, L.Ch., and S. Langdon, **Excavations at Kish** 4, p. 18.

(53) Woolley, L., **The Sumerians**, p. 36

(54) باقر، طه، **مقدمة من تاريخ الحضارات القديمة** جـ1، ص 227.

(55) Woolley, L., "The cemetery of al-Ubaid", in **Ur Excavations,** 1 (Oxford, 1927), p. 174.

(56) Childe, V.Gordon, **New Light on the most Ancient East,** p. 121.

(57) Watelin, L.Ch., and S. Langdon, **Excavations at Kish** 4, pp. 17 f.

(58) McCown, Donald E., in **Nippur** 1, p. 118.

(59) Haller, Arndt, **Die Grb er und Grf te von Assur**, (Berlin, 1954), Abb. 145.

(60) Langdon, S.H., in **Encyclopedia of Religion and Ethics,** (New York, 1958-9), p. 445.

(61) Reuther, Oscar, **Die Innenstadt von Babylon (Merkes),** (Leipzig, 1968); Abb. 97.

(62) باقر، طه، **مقدمة من تاريخ الحضارات القديمة** جـ1، ص 210.

(63

Ur Excavations, 7 (London, 1976), p. 114.

(64) Haller, Arndt, **Die Grb er und Grf te von Assur**, Abb. 70.

(65) Ibid., Abb. 71.

(66

preliminary reports, No. 1: General introduction and the stratigraphic

Syro-Mesopotamian Studies, 1

(1977), pp. 27-30.

(67 idi: A millenium of Bronze

Annual of the American Schools of Oriental Research, 44 (1977), p. 132.

(68) McCown, D. E., in **Nippur** 1, p. 119.

(69) الصيواني، شاه، "مجموعة قبور تل قاليج اغا في أربيل"، في **سومر** 27 (1971)، ص 46.

(70) Woolley, L., and M.E. Mallowan, in **Ur Excavations**, 7, p. 34.

(71) McCown, D. E., and R.C. Haines, in **Nippur** 1, p. 147.

(72) Haller, Arndt, **Die Grb er und Grf te von Assur**, Abb. 29, 30.

(73) Buccellati, Giorgio and Marilyn Kelly-Buccellati, in **Syro-Mesopotamian Studies**, 1, pp.26-27.

(74) Starr, Richard F.S., **Nuzi** 1, (Harvard University Press, 1937), p.353.

(75) Woolley, L., **Ur Excavations** 8, Fig. 5.

(76) Buccellati, Giorgio and Marilyn Kelly-Buccellati, in **Syro-Mesopotamian Studies**, 2, p. 14.

(77) Haller, Arndt, **Die Grb er und Grf te von Assur**, Abb. 47, 48, 50.

(78 **Mari, capitale fabuleuse**, (Paris, 1974), Fig. 92.

(79) Haller, Arndt, **Die Grb er und Grf te von Assur**, Abb.64, 65.

(80) McCown, D. E., in **Nippur** 1, 174.

(81) Langdon, S., in **Encyclopedia of Religion and Ethics**, p. 445.

(82) McCown, D. E., in **Nippur** 1, p. 119.

(83) Bienkowski, Pitor, and Alan Millard (ed.), **Dictionary of the Ancient Near East**, (London, 2000), p. 77.

(84) Haller, Arndt, **Die Grb er und Grf te von Assur**, Abb. 75, 76.

(85) Heidel, A., **The Gilgamesh Epic and Old Testament Parallels**, p. 160.

(86 **Everyday Life Ancient Times**, (Washington, 1951), p.58.

(87) Heidel, A., **The Gilgamesh Epic and Old Testament Parallels**, p. 161.

(88) Conteneau, Georges, **Everyday Life in Babylonia and Assyria**, pp. 297 f.

(89) Hidel, A., Op. Cit., p. 165.

(90) Legrain, Leon, **Terra-Cottas from Nippur**, (Philadelphia, 1930), p. 34; No. 313.

(91) el-Waily, F., and B. Abu es-soof, in **Sumer** 20, (1964), p. 23.

(92
Arpachiyah, 1933 **Iraq** 2 (1933), pp. 36 f.

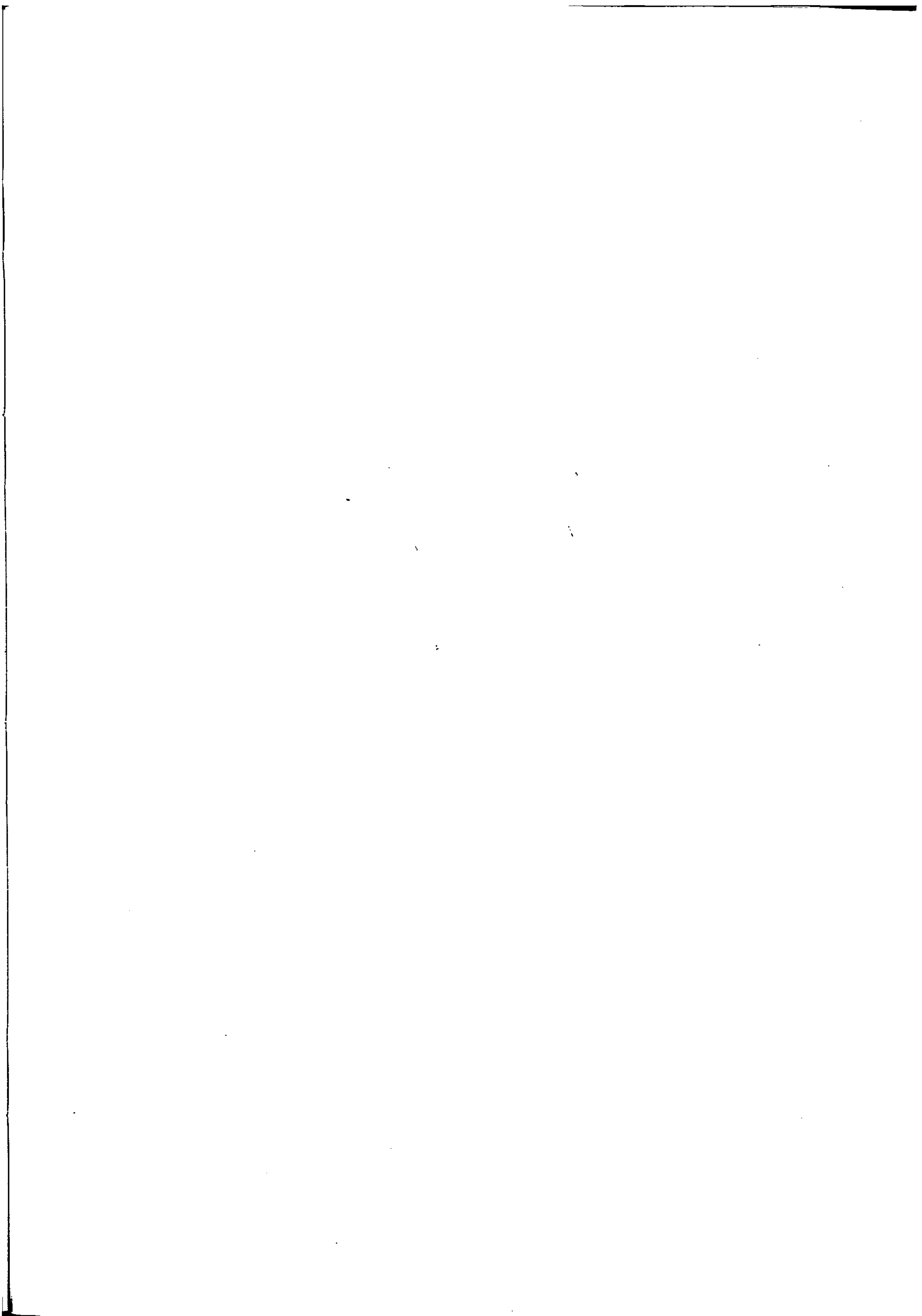
(93) باقر، طه، **مقدمة من تاريخ الحضارات القديمة** جـ1، ص 186.

(94) المصدر نفسه، ص 215.

(95) Leick, Gwendolyn, **Mesopotamia: The Invention of the City**,p.12.
(96) Ibid., p. 13.
(97) Goff, Beatrice L., **Symbols of Prehistoric Mesopotamia**, (New Haven, 1963), p. 43.
(98) Woolley, L., **The Sumerians**, p. 36.
(99) Langdon, S., **Babylonian Menologies and the Semitic Calendars,** (London, 1935), p.38.
(100) Woolley, L., in **Ur Excavations** 1, pp. 173 f.
(101) Leick, Gwendolyn, **Mesopotamia: The Invention of the City**,p. 112.
(102) Watelin, L.Ch., and S. Langdon, **Excavations at Kish** 4, pp. 18-20.
(103) Delougaz, P., **Private Houses and Graves in the Diyala Region**, pp. 86, 114.
(104) Ibid., p. 78.
(105) Saggs, H. W., **The Greatness that was Babylon**, (New York, 1968), p. 34.
(106) McCown, D. E., in **Nippur** 1, pp. 121-23.
(107) Legrain, L., **Terra-Cottas from Nippur**, p. 26.
(108) Haller, Arndt, **Die Grb er und Grf te von Assur**, pp. 125 ff.
(109) Ibid., Abbs. 159-60, 166.
(110) Johns, C.H.W., **Cuneiform Inscriptions: Chaldean, Babylonian and Assyrian Collections Contained in the Library of J. Pierpont Morgan**, (New york, 1908), p. 37.
(111) Heidel, A., **The Gilgamesh Epic and Old Testament Parallels**, p. 154.
(112) Ibid., pp. 154 f.

وبيت -داكورـ في هذا النص اسم قبيلة كلدانية عاشت في جنوب العراق خلال الألف الأول قبل الميلاد. وبيت-ياكين اسم قبيلة كلدانية اقترن بمساحات واسعة من جنوب العراق والمناطق المطلة على الخليج العربي في الألف الأول قبل الميلاد.

(113) Oppenheim, A. Leo, in **Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament**, 3rd ed., (New Jersey, 1969), pp. 560-2.



الجزء الأول-الفصل الثاني

القبور في التنقيبات الآثارية



للقبور أهمية خاصة في التنقيبات الآثارية. وتبذل البعثات الآثارية جهوداً كبيرة في تنقيبها بشكل دقيق للكشف عنها بطريقة تهدف إلى المحافظة على محتوياتها بالشكل الذي بقيت عليه طوال قرون عديدة. وتجتذب القبور، عند اكتشافها في المواقع الآثارية، اهتماماً كبيراً من المنقبين لما يمكنها أن تقدمه من مواد أثرية ومعلومات مهمة لا يتسنّى الحصول عليها ما لم يكن هناك جهد علمي منظم وموثّق من قبلهم.

وتأتي أهمية القبر في التنقيبات الآثارية من كونه وحدة أثرية احتوت موجودات معاصرة لزمن الدفن. وقد حفظت هذه الموجودات، من عظام بشرية أو قطع أثرية، عبر القرون في المكان نفسه الذي وضعت فيه لتشهد على عصرها وتدل عليه وتؤرخ للطبقة التي تعود لها. وهذا كله يتم بإحكام لا يمكن أن يتهيأ في ركام البقايا الأثرية خارج تلك البقعة التي يحتلها القبر.

ولأهمية القبور في علم الآثار ثلاثة أبعاد يتمثل الأول منها في ما يمكن للهيكل العظمي أن يمدنا به من معلومات قد لا يتسنى الحصول عليها من المصادر الآثارية الأخرى. ومن تلك المعلومات معدلات العمر والحالة الصحية لأبناء عصر معين وطبيعة الأمراض التي تعرضوا لها ودرجات تقدم الطب القديم والجراحة فيه ومستوى التكافل الاجتماعي والالتزام بإعانة المصابين أو المعاقين ومدى توفر الفرص لهم للحياة. ومن الأمثلة على ذلك أحد الهياكل العظمية لإنسان النياندرتال التي اكتشفت في كهف شانيدار في شمال العراق. فقد ثبت أن ذلك الهيكل يعود لشخص معوق كان عاجزاً عن استخدام ذراعه، وعلى الرغم من ذلك عاش مع إعاقته في وسط تلك المجموعة البشرية القديمة التي تكافلت معه في مرحلة مبكرة من تاريخ البشرية عاشها آخر نوع بشري سبق الإنسان الحديث الذي ننتمي إليه. وكذلك ما تفصح عنه بعض الجماجم القديمة من وجود ثقب فيها لم ينتج عن إصابة قاتلة وإنما عن عملية فتح للدماغ عاش المريض بعدها بدليل وجود نمو للعظام في محيط الفتحة الموجودة في عظام الجمجمة.

والبعد الثاني لأهمية القبور يتمثل في التجهيزات الجنائزية التي توضع فيها مع الموتى. فهذه التجهيزات عبارة عن العدّة والأواني والأدوات والحليّ والأثاث والملابس نفسها التي كانت تُستعمل عندما حدثت الوفاة وتم الدفن. أي أن هذه التجهيزات تقدم لنا معلومات ثمينة عن الحياة اليومية لمجتمع العصر الذي يعود إليه القبر وتوضح لنا المقدرات الإنتاجية ومدى التقدم التقني والفني والمهارات لذلك المجتمع. وفضلاً على ذلك يستطيع الآثاريون، من خلال التجهيزات الجنائزية، تكوين فكرة واضحة عن المستوى المادي للمجتمع القديم ومدى قدرة أناسه على التخلي عن كمية من المواد، بأي قيمة كانت، لتدفن مع الأموات. ولأن محتويات القبر مستورة عن العيون وبعيدة عن أن تطالها الأيدي فإن التجهيزات الجنائزية تمثل مواد حفظت بشكل جيد لم تحظ بمثله المواد المعاصرة لها التي بقيت في البيوت والأبنية أو في أرجاء الموقع الأخرى.

ونتيجة لبقاء القبور بعيدة عن العبث وصلت إلينا مواد كثيرة من عصور مختلفة ما كان بالإمكان أن تصل إلينا ما لم تكن قد دفنت ضمن التجهيزات الجنائزية. ومما يضفي أهمية خاصة على مواد التجهيزات الجنائزية أنها تكتشف في مواضعها الأصلية التي وضعها فيه السكان القدماء، وهو ما يصطلح الآثاريون على تسميته (in situ). ومثل هذه المواد تكون أكثر أهمية، من الناحية العلمية، من القطع الأثرية المشابهة التي يعثر عليها في ركامات المواقع الأثرية ولا يمكن أن تنسب إلى طبقة معينة، ناهيك عن وجود احتمال في كونها منقولة من موضعها الأصلي. أما القطع الأثرية التي تضاهي قطع التجهيزات الجنائزية، من الناحية العلمية، فهي التي يُعثر عليها باقية على أرضيات السكنى أو في مواضع محددة وليس في الركام المتكدس في المواقع الأثرية.

أما البعد الثالث لأهمية القبور في التنقيبات الآثارية فيتكون من مجمل عملية الدفن وما يجري فيها، من موضع القبر واتجاهه وتكوينه إلى ما يضمه من هياكل عظمية بأوضاع مختلفة وتجهيزات جنائزية. فهذا كله يكون مشهداً يفصح، بطريقة أو بأخرى، عن المعتقدات الدينية الخاصة بالموت والحياة الأخرى بما يكمل المشهد الذي يقدمه لنا الدليل الكتابي المستمد من النصوص القديمة. وفي بعض الأحيان تنفرد القبور وطريقة تنظيمها ومحتوياتها بتقديم معلومات عن عقائد القوم لا تتوفر من خلال النصوص القديمة. فعلى سبيل المثال لم يتوفر، من خلال النصوص المسمارية، أي دليل على أن اتجاه الجثة في القبر أو وضعيتها لا يتوجب أن يخضعا إلى قاعدة محددة، ولكن القبور المكتشفة تثبت ذلك، وهو ما لاحظناه في الفصل السابق من هذا الكتاب.

الكشف عن القبور

إن ممارسة دفن الأموات تحت أرضيات المساكن كانت الأكثر شيوعاً في بلاد الرافدين القديمة. أما الدفن في مقابر خارج مواطن السكنى فقد كانت أقل شيوعاً، وكذلك كان الدفن بين بيوت السكنى سواء في المساحات الفارغة أو في البيوت المهجورة. ومن هنا فإن عملية الكشف عن القبور تبدأ من ملاحظة المنقبين الآثاريين لاختلاف لون التربة ودرجة تماسكها إن كان تنقيبهم يجري في ركام متكدس في الموقع الأثري. ويتم الكشف عن هذا الاختلاف عن طريق القشط باستخدام المر أو المالج (وهو الأداة التي تستعمل في البناء لفرش الطين أو الاسمنت). إن وجود تربة أكثر دكنة أو رطوبة، أو أقل تماسكاً، يدل على وجود حفرة. ومن السهل تتبع محيط هذه البقعة لمعرفة أبعادها قبل البدء بتنقيبها أفقياً وتدريجياً. وحين تكون الأبعاد مناسبة للقبر طولاً وعرضاً، أي حوالي ما بين متر ومترين للطول ونصف متر ومتر للعرض، أو بقطر ما بين متر ومتر ونصف، يصبح الاحتمال أقوى

في أن تكون تلك الحفرة قبراً، مع وجود احتمالات أخرى في كونها مجـــرد حفـــرة استعملت لأغراض أخرى.

ويتم التأكد من وجود القبر إما في حال ظهور جرار فخارية أو بقايا ذبـائح أو عظام بشرية. وفي الحالة الأخيرة تكون الجمجمة أول جزء يظهر مـــن الهيكـــل العظمي، ولذلك يفضل أن يكون تنقيب الحفرة بدءاً من طرفها ثم يتجه الحفر أفقيـــاً مع استعمال القشط أو إزاحة التراب بالفرشاة أو الحفر بمعول صغير جداً وإلى عمـــق قليل فقط. أما إذا كان القبر تحت أرضية المسكن فيمكن ملاحظة وجوده من الكِسَر الموجودة على الأرضية، سواء كانت مرصوفة أم غير مرصوفة. ثم تُلاحـــظ الأبعـــاد والاختلافات المذكورة آنفاً وكذلك تُتَّبع الخطوات أعلاه. وإذا كان القبر بناءاً مـــن الآجر أو اللّبن فيلاحظ وجود هذه المواد إن كانت مرتبّة لتشكل غطاءً على القـبر أو جداراً له. وفي حالة وجود قبو للدفن تحت الأرضية يمكن الاستدلال عليه من وجـود سلم أو منحدر يقود إليه، أو من وجود قوس معقود تحت الأرضية مباشرة. أمـــا إذا كان هناك أي نوع من التوابيت، الحجرية أو الفخارية أو الطينية، مستعملاً في الدفن فتكون عملية الاكتشاف قد بدأت عند العثور على التـــابوت، ثم تبـــدأ خطـــوات التنقيب في داخله.

عندما يتم التأكد من وجود القبر تبدأ عملية التوثيق مع اســـتظهار القـــبر. والخطوة الأولى في التوثيق إعطاء القبر المكتشف رقماً تسلسلياً للدلالة عليه وعلـــى محتوياته، وتسجل الأبعاد بقياسات دقيقة. وفي حالة وجود قطع أثرية، مثل الجـــرار الفخارية أو بقايا القرابين، في الركام الموجود فوق الهيكل وما يوجد معه على أرضية القبر ويتوجب رفعها للوصول إلى الهيكل، يتم ذلك بعد تصويرهـــا في مواضعـــها وقياس المسافات الفاصلة فيما بينها وبين زوايا القبر أو النقاط المركزية فيه، ويقـــاس العمق الذي وجدت عليه من آخر معالم بنائية، إذا كان القبر في الركـــام، أو مـــن

الأرضية إذا كان القبر تحت الأرضية. والفائدة من ذلك كبيرة عند رسم مقطع للقبر لبيان عمقه أو عند رسم المشهد المقطعي له ولمحتوياته.

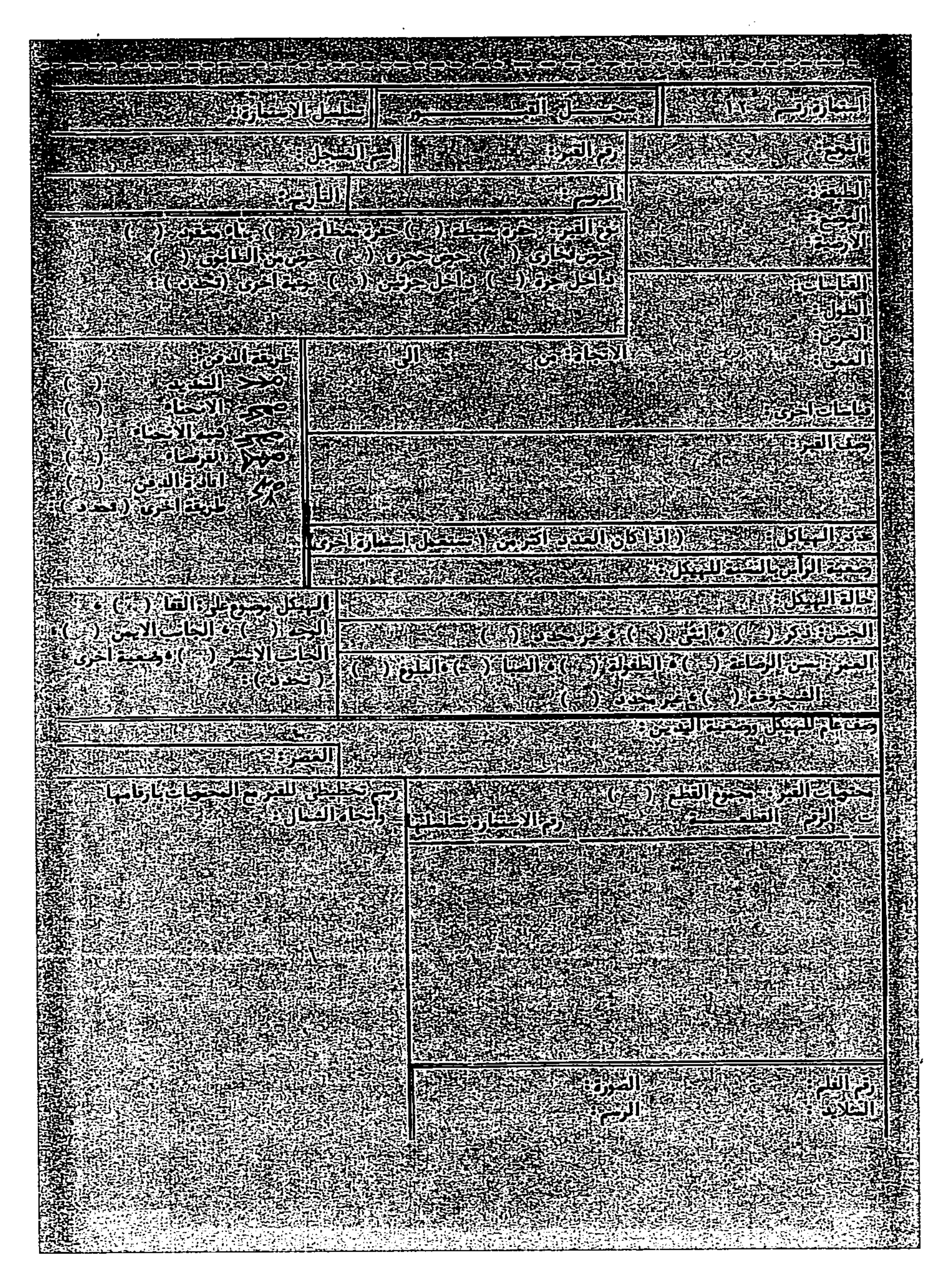
وحين يصل الحفر إلى الهيكل العظمي تتوجب زيادة الدقة والتأني وإزالة الأتربة بسكاكين صغيرة وفرشاة، ويمكن استعمال أنبوب مطاطي رفيع لنفخ الأتربة المتجمعة بين العظام من خلاله، أو استعمال المحقنة الطبية. ويمكن لهذا الغرض أيضاً استعمال الفرشاة ذات الكيس المطاطي التي تستعمل لتنظيف عدسات آلات التصوير. ومن الضروري ألاّ يُفتح القبر ما لم يكن المنقب متهيئاً لإنجاز عملية استظهار الهيكل. وينبغي ألا يستظهر أكثر من قبر في آن واحد، وأن تُصوّر عملية الاستظهار بلقطتين أو ثلاث حتى يصبح الهيكل كله ظاهراً وتصبح قطع التجهيزات الجنائزية المرفقة به مكشوفة تماماً وهي في مواضعها الأصلية. ومن الأمور المهمة التي يلتزم بها الآثاريون في أثناء استظهار الهياكل العظمية المحافظة الشديدة على إبقاء العظام في مواضعها حتى إنجاز العمل كاملاً، وعدم غرز أداة التنقيب، مثل السكين أو المالج، في التراب لتلمس العظام إن كانت موجودة تحته، لأن ذلك يؤدي إلى تهشيمها قبل استظهارها. وحين تستظهر العظام تحمى من ضوء الشمس المباشر لتجنب الجفاف السريع لها وبالتالي تلفها[1].

التوثيق الآثاري للقبور المستكشفة

لا يكون التنقيب في القبور والكشف عن محتوياتها هدفاً نهائياً للآثاريين، وإنما هو وسيلة لاستجلاء تفاصيل تاريخ قديم لم تزل أكثر صفحاته مجهولة بالنسبة إلينا. ولذلك يجب أن يكون الكشف عن كل قبر من العصور القديمة بداية لدراسة علمية بحثية تسعى إلى التعريف بمظاهر حضارة تلك العصور. ومثل هذه الدراسة لا تتحقق ما لم يكن التوثيق الآثاري للقبور المستكشفة كاملاً ودقيقاً وواضحاً. فكثيراً ما خسرنا معلومات لا تعوّض نتيجة لتَعَجُّل بعض المنقبين الآثاريين أو لعدم

اهتمامهم أو لإهمالهم أصول التوثيق العلمي الحقلي الآثاري. إن هذا التوثيق إذا ما أريد منه أن يكون بالشكل الصحيح والمفيد علمياً يجب أن يطبق في أربعة مسلرات، وهي:

أولاً: تدوين المعلومات والملاحظات الخاصة بالقبر موقعياً ومنذ اللحظات الأولى لاكتشافه. ويعتمد عدد كبير من الآثاريين على الملاحظات الوصفية الشخصية التي يدونونها عن القبور التي يكتشفونها. ولكن هناك استمارة خاصة وضعت من قبل مؤلف هذا الكتاب لتساعد منقب الآثار على تثبيت المعلومات المطلوبة بدقة وسرعة في موقع العمل. وهذه الاستمارة وردت ضمن نظام توثيقٍ آثاري شامل قام المؤلف بوضعه في عام 1990م ونُشر في عام 1992م[2]. حملت هذه الاستمارة عنوان "سجل القبور" لأنها تشكل صفحة واحدة من صفحات يطابق عددها عدد القبور التي تكتشف في موقع ما لتؤلف جميعها سجل القبور الخاص بذلك الموقع. وتنقسم الاستمارة إلى اثنين وعشرين حقلاً خصص كل منها لنوع من المعلومات الخاصة بالقبر (انظر الشكل رقم 12)[3]:



استمارة رقم ١٢ | سجل القبور | تسلسل الاستمارة:

الموقع: | رقم القبر: | اسم المسجل:

الطبقة: | الربع: | التاريخ:

المربع:

الارتفاع:

نوع القبر: حفرة بسيطة ( ) حفرة مغطاة ( ) بناء معقود ( )
حوض فخاري ( ) حوض حجري ( ) حوض من الطابوق ( )
داخل جرة ( ) داخل جرتين ( ) جهة أخرى (تحدد):

القياسات:
الطول:
العرض:
العمق:

الاتجاه: من الى

قياسات أخرى:

طريقة الدفن:
ممدد ( )
الانحناء ( )
شبه الانحناء ( )
القرفصاء ( )
اعادة الدفن ( )
طريقة أخرى (تحدد):

وصف القبر:

عدد الهياكل: (اذا كان العدد أكثر من ١ تستعمل استمارة أخرى)

وضعية الرأس بالنسبة للهيكل:

حالة الهيكل:

الجنس: ذكر ( ) ، أنثى ( ) ، غير محدد ( )

العمر: سن الرضاعة ( ) ، الطفولة ( ) ، الصبا ( ) ، البلوغ ( )
الشيخوخة ( ) ، غير محدد ( )

الهيكل موضوع على القفا ( ) ، الوجه ( ) ، الجانب الأيمن ( ) ،
الجانب الأيسر ( ) ، وضعية أخرى (تحدد):

وصف عام للهيكل ووضعية اليدين:

العصر:

محتويات القبر: مجموع القطع ( )
ت الرقم القطعة رقم الاستمارة وتسلسلها

رسم تخطيطي للقبر مع المحتويات بأرقامها واتجاه الشمال:

رقم الفلم: الصورة:
السلايد: الرسم:

الشكل رقم (12): استمارة التوثيق الخاصة بالقبور، عن:

نائل حنون، **نظام التوثيق الآثاري**، (بغداد،1992م)

وهناك استمارة أخرى مختلفة لتوثيق القبور في التنقيب الآثاري أُعـــدت مـــن قبـــل مؤسسة سمثسونيان (Smithsonian Institution) الأمريكية المعروفة، ونعرضها هنـــا مع ترجمتها العربية لإطلاع القارئ العربي (انظر الشكل رقم 13، أ، ب)[4]:

SMITHSONIAN INSTITUTION
RIVER BASIN SURVEYS
BURIAL FORM

Feature No.______ Site No.______
Burial No.______ State______
Reservoir______ County______

1. LOCATION
a. Square______
b. Horizontal______
c. Depth from surface______
d. Depth from datum______

2. BURIAL TYPE
a. Extended______ d. Reburial______
b. Flexed______ e. Cremation______
c. Semiflexed______ f. Part crem.______
g. Other______

3. BURIAL DIMENSIONS
a. Max. length______ Dir.______
b. Max. width______ Dir.______
c. Thickness______

4. DEPOSITION
a. Position______
b. Head to______

5. GRAVE TYPE
a. Surface______ c. Cist______
b. Pit______ d. Other______
e. Shape______

6. GRAVE DIMENSIONS
a. Max. length______ Dir.______
b. Max. width______ Dir.______
c. Depth______

7. STRATIFICATION
a. Inclusive______ c. Precedent______
b. Intrusive______ d. Disturbed______
e.______

8. ASSOCIATIONS
a. Features______
b. Specimens______

9. PRESERVATION
a. Poor______ Fair______ Good______

10. COMPLETENESS
______

11. SEX
a. M______ F______ Indeterminate______

12. AGE
a. Infant______ d. Adult______
b. Child______ e. Mature______
c. Adolescent______ f. Senile______

13. NEG. Nos.______

14. REMARKS______

Recorded by______ Date______

Site No. / Feature No. / Burial No. / Reservoir

الشكل رقم (13–أ): استمارة توثيق القبور أعدهّا مؤسسة سمثسونيان

مؤسسة سمثسونيان
سجلات الأثريات
استمارة المدافن

المنطقة رقم ___ الموقع رقم ___
القبر رقم ___ الولاية ___
المستودع ___ المقاطعة ___

١- الموضع: ٨- التجهيزات:
أ. المربع: ___ أ. المميزات: ___
ب. الطبقة ___
جـ. العمق من السطح ___
د. العمق من الطبقة ___

٢- نوع الدفن:
أ. تمديد ___ جـ. إعادة دفن ___
ب. ثني ___ د. محرق ___
هـ. شبه ثني ___ و. محروق جزئي ___ ٩. العينات:
ز. حالات أخرى ___

٣- الأبعاد:
أ. الطول الكلي ___ الاتجاه ___
ب. العرض الكلي ___ الاتجاه ___
جـ. السمك

٤- الدفن:
أ. الوضعية
ب. الرأس نحو ___ ٩- حالة الحفظ: أ. رديئة ___ متوسطة ___ جيدة

٥- نوع القبر: ١٠- الاكتمال:
أ. سطحي ___ ب. حوض ___
ب. حفرة ___ جـ. نوع آخر ___ ١١- الجنس:
د. الشكل ___ أ. ذكر ___ أنثى ___ مجهول

٦- أبعاد القبر: ١٢- العمر:
أ. الطول الكلي ___ الاتجاه ___ أ. رضيع ___ د. بالغ
ب. العرض الكلي ___ الاتجاه ___ ب. طفل ___ هـ. ناضج
جـ. العمق ___ جـ. مراهق ___ و. كهل

٧- الصلة بالطبقة الثقافية: ١٣- أرقام الصور السالبة:
أ. عالية ___ جـ. متقدم ___ ١٤- الملاحظات
ب. متزامن ___ د. متأخر ___
هـ. ___

المسجل ___ التاريخ ___

نشرت بإذن مؤسسة سمثسونيان

الشكل رقم (13-ب): الترجمة العربية لاستمارة توثيق القبور الخاصة بمؤسسة سمثسونيان

ثانياً: المسار الثاني في توثيق القبور المكتشفة يتمثّل في تصويرها فوتوغرافيـــاً حين يُكشف عنها فوراً. ويفضل استعمال أكثر من وسيلة واحدة للتصويـــر مثـــل التصوير الفوري (بولارويد)، التصوير بالكاميرا الرقميـــة، التســـجيل التصويـــري (الفديو)، الشرائح الملونة (سلايدات)، الصور الملونة، والصور بـــاللونين الأســـود والأبيض. ومن المهم عند التصوير وضع مقياس التصوير المقســـم إلى ســـنتيمترات، سهم يؤشر إلى جهة الشمال، ورقعة معلومات يثبّت فيها اسم الموقع ورقـــم القـــبر وموضعه وطبقته وتاريخ التصوير. ولغرض التنفيذ الصحيح لعملية التصوير وتوثيقـــها مع توثيق اللقطات الخاصة بالقبر أُعدّت استمارة خاصة بالتصوير من قبل المؤلـــف في كتابه "نظام التوثيق الآثاري" (انظر الشكل رقم 14)[5].

ثالثاً: أما المسار الثالث في توثيق عملية استكشاف القبور فيكون في إعـــداد الرسوم التخطيطية للقبر بمقياس رسم مناسب. ومقياس الرسم الذي يلائـــم رســـم القبور واحد إلى عشرة (10/1). وتكون خطوات تنفيذ هذه الرســـوم بتشـــبيك مساحة القبر، حيث يوجد الهيكل العظمـــي والتجـــهيزات الجنائزيـــة، والمقصـــود بالتشبيك تقسيم مساحة القبر إلى مربعات لتسهيل عملية الرسم على الورق. ويمكـــن أن يكون التشبيك باستعمال الخيوط لعمل مربعات فوق محتويـــات القـــبر بأبعـــاد 10×10سم. ثم ينفذ الرسم التخطيطي على ورق بياني بنقل مربعات التشـــبيك إلى المربعات البيانية ذات القياس 1×1سم. وبالإمكان أيضاً استعمال شبكة جاهزة مـــن إطار خشبي أبعاده 100×50سم مقسمة بالخيوط، طولاً وعرضـــاً، إلى مربعـــات قياساتها 10×10سم. وتوضع هذه الشبكة فوق محتويات القبر مباشرة ومن ثم تنقل بالرسم على الورق البياني. والرسم التخطيطي الآخر الذي يمكن تنفيذه للقـــبر هـــو الرسم المقطعي لبيان المشهد العمودي للقبر ومحتوياته، وكذلـــك عمقـــه وصلتـــه بالتكوينات التي تعلوه أو تحيط به.

استمارة رقم ١٤ | سجل التصوير | تسلسل الاستمارة:

الموقع: | رقم الفلم: | تاريخ بدء التصوير: / / ١٩
آلة التصوير | متغيرة العدسة SLR ( ) اتوماتيك A ( ) | تاريخ انتهائه: / / ١٩
الماركة: الرقم: | الاثاري المشرف:
الفلم | سلايد ملون ( ) صور ملونة ( ) نوري ( ) | المصور:
صور سوداء وبيضاء ( ) فديو ( ) سينمائي ( ) | القائم بالطبع:
نوع آخر (يحدد): | ماركة الفلم: وحجمه:
عدد اللقطات: | الحساسية: ASA DIN | تاريخ النفاذ: / / ١٩

ت	الموضوع	جهة اللقطة	الوقت	الضوء	الفتحة	السرعة	التقييم
١							
٢							
٣							
٤							
٥							
٦							
٧							
٨							
٩							
١٠							
١١							
١٢							
١٣							
١٤							
١٥							
١٦							

الشكل رقم (14): استمارة التوثيق الخاصة بالتصوير، عن:

نائل حنون، **نظام التوثيق الآثاري**، (بغداد،1992م)

رابعاً: يتعلق المسار الثالث في عملية التوثيق برفع القطع الأثرية التي تكـــوّن

التجهيزات الجنائزية. فدراسة هذه القطع باعتبارها جزءاً من التجهيزات الجنائزية لا تعني عدم الحاجة لدراستها فرادى مثل بقية القطع الأثرية. وفي هذه الحالة يمكن الاستعانة باستمارات أخرى من نظام التوثيق الآثاري، الذي سبق ذكره، بحسب نوع القطعة الأثرية ومادتها. فهناك استمارات لتسجيل الجرار والأواني الفخارية (الاستمارة رقم 7)، الأختام الأسطوانية (الاستمارة رقم 8)، الدمى (الاستمارة رقم 9)، والمكتشفات المتنوعة (الاستمارة رقم 11).

بعد إنجاز خطوات تنقيب القبر وتوثيقه بشكل كامل ترفع القطع الأثرية التي وجدت فيه. وفي هذه الحالة تستعمل استمارة بطاقات المعاثر (الاستمارة رقم 15) من نظام التوثيق الآثاري. وكل نسخة من هذه الاستمارة تتضمن بطاقتين قسّمت كل منهما إلى نصفين يحملان معلومات متشابهة وذلك لكي يقطع النصف الأيسر من البطاقة، بعد ملئها، ويوضع مع الأثر لحين معالجته وترقيمه، في حين يبقى النصف الثاني ليحفظ في الملف الخاص بهذه الاستمارة لضمان المحافظة على المعلومات (انظر الشكل رقم 15)[6].

ومن المهم جداً لأغراض التوثيق الآثاري والدراسات العلمية أن يتعرّف المنقب الآثاري على جنس صاحب الهيكل العظمي المدفون في القبر ويتوصل إلى تقدير عمره عند حدوث الوفاة. وهذا يتطلب تزود المنقب بمعلومات أساسية عن علم العظام (osteology) ورفد هذه المعلومات بالخبرة المتراكمة من خلال ممارسة التنقيب وفحص الهياكل العظمية التي يكتشفها موقعياً.

استمارة رقم ١٥	بطاقات تسجيل المعاثر
الموقع:	الموسم:
التأريخ: / / ١٩	تسلسل الاستمارة:

الموقع: الطبقة:
الموضع: الارضية:
التأريخ: الحفار:
الاثاري: الاثر:
حالة الاثر حين اكتشافه:
وجد الاثر كاملا ( ) ، ناقصا ( )
عدد الكسر ان وجد مهشما:
المعالجة قبل رفع الاثر:
وصف الاثر:

رقم الحفريات: رقم البطاقة:
ملاحظات اضافية:

الموقع: الطبقة:
الموضع: الارضية:
التأريخ: الحفار:
الاثاري: الاثر:
حالة الاثر حين اكتشافه:
وجد الاثر كاملا ( ) ، ناقصا ( )
عدد الكسر ان وجد مهشما:
المعالجة قبل رفع الاثر:
وصف الاثر:

رقم الحفريات: رقم البطاقة:
ملاحظات اضافية:

الموقع: الطبقة:
الموضع: الارضية:
التأريخ: الحفار:
الاثاري: الاثر:
حالة الاثر حين اكتشافه:
وجد الاثر كاملا ( ) ، ناقصا ( )
عدد الكسر ان وجد مهشما:
المعالجة قبل رفع الاثر:
وصف الاثر:

رقم الحفريات: رقم البطاقة:
ملاحظات اضافية:

الموقع: الطبقة:
الموضع: الارضية:
التأريخ: الحفار:
الاثاري: الاثر:
حالة الاثر حين اكتشافه:
وجد الاثر كاملا ( ) ، ناقصا ( )
عدد الكسر ان وجد مهشما:
المعالجة قبل رفع الاثر:
وصف الاثر:

رقم الحفريات: رقم البطاقة:
ملاحظات اضافية:

الشكل رقم (15): استمارة التوثيق الخاصة بتسجيل معاثر القطع الأثرية، عن:
نائل حنون، **نظام التوثيق الآثاري**، (بغداد، 1992م)

يمكن أن يُميّز جنس الهيكل العظمي من الملاحظة المباشرة عند الكشف عن محتويات القبر. فهناك اختلافات واضحة بين الهيكل العظمي للذكر والهيكل العظمي للأنثى، ومن هذه الاختلافات:

1- صغر جمجمة الأنثى وعظم الفك السفلي قياساً بجمجمة الذكر وعظم فكه الأسفل.

2- العظام في هيكل الأنثى تكون بشكل عام أصغر حجماً من عظام الذكر، ويبرز هذا على وجه الخصوص في عظام الفخذ والذراع. وتكون نهايات العظام عند الأنثى أدق وأصغر مما هي عليه في هيكل الذكر.

3- تبرز أوضح الاختلافات بين الهيكلين العظميين للذكر والأنثى في عظام الحوض، إذ يكون جانبا الحوض عند الذكر أكبر حجماً وأقرب إلى الوضع العمودي بخلاف حوض الأنثى الذي يكون جانباه صغيرين ومائلين للجانب.

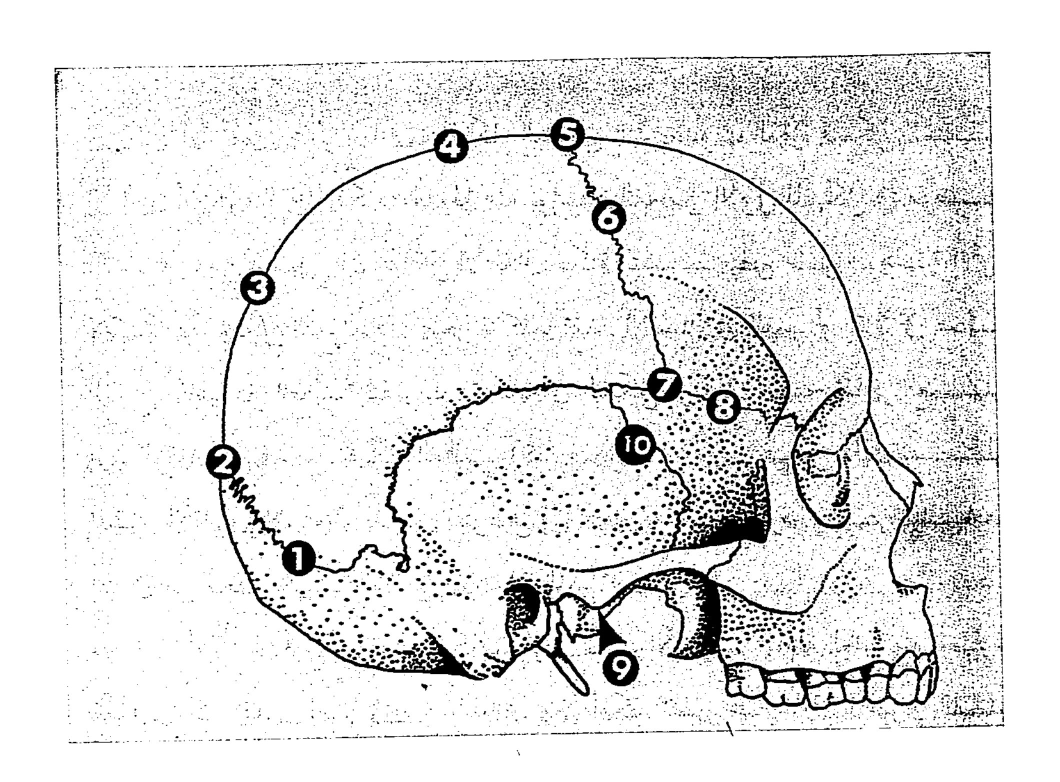
4- يختلف شكل الفقرة العصعصية عند الجنسين، إذ أنها تكون كبيرة وطويلة عند الذكر وقصيرة وعريضة عند الأنثى.

ولابد من الإشارة هنا إلى أن التجهيزات الجنائزية يمكن أن تساعد المنقب الآثاري إلى حد معين في تحديد جنس صاحب القبر. فهناك حلي معينة تقترن بالأنثى، ولكن يجب على الآثاري أن يكون حذراً في الاعتماد عليها ومن الضروري أن يلاحظ كميتها، إذ أن هناك الكثير من الحلي والزينة التي كان كلا الجنسين يستعملانها في العصور القديمة. ولكن اقتران الدليل المستمد من التجهيزات الجنائزية مع خصائص الهيكل العظمي تزيد من رجاحة الرأي الذي يقدمه المنقب الآثاري عن جنس الشخص المدفون.

أما تخمين عمر صاحب الهيكل العظمي عند حدوث الوفاة فيمكن للمنقب الآثاري أن يتوصل إلى فكرة معقولة عنه بواسطة الفحص الأولي للهيكل في موضع اكتشافه. ومن البديهي أن هياكل الأطفال ممكنة التشخيص من الوهلة الأولى لاكتشافها. ولكن الأمر يزداد صعوبة كلما تقدم الإنسان في العمر أو كان في سن البلوغ. فالهياكل العظمية تتقارب وتتشابه في الشكل، ولذلك يصبح تقدير العمر، عند الوفاة، من فحص الهيكل العظمي أكثر صعوبة. وعلى الرغم من ذلك يستطيع المنقب الآثاري الاستعانة بدليلين للتوصل إلى تخمين مقبول لحدود عمر الشخص المتوفى من فحص هيكله العظمي، وهذان الدليلان هما:

أولاً: عدد الأضراس وشكلها، فإذا كانت الأضراس كاملة العدد مع ضرس العقل، يمكن تقدير العمر في سن البلوغ. وقد أمكن تقدير عمر الملك المصري القديم توت عنخ آمون بالاستدلال من وجود ضرس العقل في عظم الفك في مومياءه. وكذلك يمكن ملاحظة أن سطح الأضراس يميل إلى التسطح كلما تقدم الإنسان في العمر بفعل طول استعمالها في المضغ. فعند سن البلوغ تكون التعرجات على سطح الضرس واضحة والأخاديد فيه عميقة، وبمرور الزمن يقل وضوح هذه التعرجات ويقل عمق الأخاديد.

ثانياً: فعالية انغلاق عظام الجمجمة، إذ أثبتت الدراسات الخاصة بعلم العظام[7] أن هناك عشر نقاط في مناطق اتصال أجزاء الجمجمة، أو ما يعرف بخط الاتصال أو الدرز (suture)، تدل على حدود العمر عند حدوث الوفاة. وهذه النقاط العشر (انظر الشكل رقم 16)[8] تظهر درجات متفاوتة من الالتحام تزداد كلما تقدم الإنسان في العمر، ويحدث هذا الالتحام فيما بين عمر 32 و56 سنة. وقد حُددت أربع درجات لالتحام أجزاء الجمجمة في هذه النقاط من الخارج، وهذه الدرجات هي:



الشكل رقم (16): رسم تخطيطي للجمجمة يظهر مواضع النقاط العشر التي تظهر فعاليات واضحة عند خطوط التحام أجزاء الجمجمة، وهذه الفعاليات تقترن بأعمار معينة فيما بين سن 32 و56سنة.

الدرجة الأولى: لا توجد دلائل على الالتحام.

الدرجة الثانية: التحام بسيط، وتعطى هذه الدرجة عند وجود أبسط حالة التحام، بظهور جسر عظمي عبر خط الاتصال، إلى نسبة 50% من الالتحام.

الدرجة الثالثة: التحام واضح، وتعني هذه الدرجة التحام شبه كامل، إذ تتبقى في النقطة بعض الأجزاء الصغيرة غير الملتحمة.

الدرجة الرابعة: الالتحام الكامل.

وهناك صعوبة في استعمال هذه الطريقة تأتي من التفاوت الذي تظهره النقاط العشر في درجة الالتحام. إذ أن هذه النقاط تشترك في بيان تدرج العمر عند الوفاة مع تزايد درجة الالتحام، ولكنها تتفاوت في إظهار درجة الالتحام وبالتالي قد تسبق أحدها الأخرى فيحدث فرق في دلالة كل منها. ولتوضيح ذلك نورد مثالاً عن النقطة رقم (1) فإنها تدل على العمر (32) في الدرجة الأولى و(40) في الدرجة الثانية و(47) في الدرجة الثالثة و(53) في الدرجة الرابعة، ولكن النقطة رقم (2) تدل في الدرجات نفسها على الأعمار 31، 39، 45، و50 سنة. وهكذا نلاحظ أن النقطتين اتفقتا على تقدم السن مع تقدم درجة الالتحام، ولكنهما اختلفتا في العمر الذي تدلان عليه في كل درجة من درجات الالتحام. ولتجاوز هذه الصعوبة على المنقب الآثاري أن يعتمد على ترافق أكثر من قراءة لنقطة واحدة لتكون حدود العمر المتفق عليها في أكثر القراءات هي الأقرب للتقدير الصحيح. وللمساعدة على التوصل إلى ذلك يمكن للمنقب الآثاري الاستعانة بالجدول الآتي الذي يبين العمر المخمن بحسب كل درجة من درجات الالتحام الأربع في كل نقطة:

رقم النقطة	الدرجة الأولى	الدرجة الثانية	الدرجة الثالثة	الدرجة الرابعة
1	32	40	47	53
2	31	39	45	50
3	28	36	38	45
4	31	41	46	47
5	34	44	47	49
6	34	43	47	51
7	29	36	40	49
8	35	39	46	51
9	38	46	52	55
10	39	53	53	56

إن التقديرات المتقاربة التي تتفق عليها النقاط الأكثر عدداً، في هذا الجدول، تمثل حدود العمر التي يمكن تقديرها عند وفاة صاحب الهيكل العظمي. ذلك أنه ستكون هناك قراءة واحدة لكل نقطة بحسب درجة الالتحام. وبملاحظة النقاط العشرة على الجمجمة كلها ستكون هناك عشر قراءات متفاوتة. هنا يكون تقدير العمر بحسب القراءات المتقاربة الأكثر عدداً، أي القراءات التي يتفق على تقاربها أكبر عدد من النقاط العشر. ولتوضيح ذلك نفترض أن جمجمةً أظهرت النقاط العشر فيها درجات الالتحام الآتية:

النقطة	درجة الالتحام	العمر الذي تدل عليه
1	الثانية	40
2	الثالثة	45
3	الثانية	36
4	الثانية	41
5	الثالثة	47
6	الثالثة	47
7	الرابعة	49
8	الثالثة	46
9	الثانية	46
10	الأولى	39

فهذه القراءات تدل بشكل عام على عمر في حوالي منتصف العقد الخامس.

وبملاحظة القراءات المتوافقة نجد أن النقاط 5، 6، 8، و9 ترجح عمراً بحدود 46-47 سنة.

وبعد أن أوضحنا طريقة تقدير العمر عند الوفاة للهياكل العظمية القديمة نأتي على توضيح كيفية تقدير العمر الأثري للهيكل العظمي. والمقصود بالعمر

الأثري الزمن الذي مرَّ على الهيكل العظمي منذ حدوث الوفاة حتى الوقت الحاضر. ويمكن للمنقب الآثاري أن يقدر العمر الأثري للهيكل العظمي استناداً إلى تاريخ الطبقة الأثرية التي يعود لها القبر المكتشف أو من محتويات القبر فيما إذا كان يحتوي على تجهيزات جنائزية. فالمنقب الآثاري يستطيع أن يحدد تاريخ المواد الأثرية التي يحتويها القبر، وفي ضوء ذلك يحدد العمر الأثري للهيكل المدفون معها. ولكن الأمر يزداد صعوبة حين لا تكون هناك تجهيزات جنائزية ذات تأريخ واضح ولا طبقة أثرية مؤرخة يُستَدلّ بها في تحديد تأريخ القبر. وهذا ما يحدث حينما يكون الهيكل العظمي موغلاً في القدم وعائداً إلى عصور ما قبل التأريخ. ففي هذه الحالة يستعين المنقب الآثاري بالعلوم المساعدة لعلم الآثار لغرض التوصل إلى تحديد الزمن الذي مر على العظام البشرية منذ موت صاحبها. وهنا يستعان بالمختبرات المتطورة والأساليب العلمية الحديثة، وهو ما لا يمكن إنجازه ميدانياً.

إن البقايا البشرية من عصور ما قبل التأريخ قد لا تزيد على عظام متفرقة أو أجزاء من عظام، وقد لا تكون هناك مواقع أثرية واضحة المعالم مقترنة بها. ومن الممكن أن تختلط عظام من أزمنة مختلفة، ويحدث هذا خصوصاً في أثناء قيام الآثاريين بمسوحات أثرية لمناطق واسعة. ولذلك توجد حاجة لتمييز العظام القديمة عن العظام الأحدث منها، ويتم ذلك مختبرياً بواسطة قياس كميات الفلورين، النيتروجين، واليورانيوم في العظام الملتقطة من موقع معين. فالعظام الأقدم تزداد فيها كمية الفلورين واليورانيوم وتنخفض نسبة النيتروجين، وكلما كانت العظام أحدث عمراً كانت نسبة النيتروجين فيها أكثر ونسبة الفلورين واليورانيوم أقل. ولأنه لا توجد نسب ثابتة لهذه العناصر من جهة، ولتفاوت نسب الزيادة والنقصان فيها من موقع إلى آخر من جهة أخرى، فإنه لا يعتمد على هذه النسب في تقدير العمر الأثري للعظام، وإنما تستعمل فقط لتصنيف العظام، من موقع معين، بحسب قدمها.

أما الطريقة التي يعتمد عليها في التحديد الدقيق للعمـر الأثـري للعظـام، ولباقي المواد العضوية أيضاً، فتعتمد على قياس كميـة كـاربون 14 فيـها. وكاربون 14 هو شكل مشع من الكاربون الاعتيادي ويبلغ وزنه الـذري 14، في حين أن الوزن للكاربون الاعتيادي 12. لقد بدأ استعمال هذه الطريقة منذ أواخـر الأربعينيات في القرن الماضي وطُوّرت بدرجة كبيرة في سبعينيات القرن نفسه. ومنـذ ذلك الحين أثبتت هذه الطريقة دقتها وأهميتها وكذلك صلاحيتها للتطبيق علـى أي مادة عضوية من أي موقع في العالم. وبموجب هذه الطريقة أصبح بالإمكان تحديـد عمر العظام لغاية مائة ألف عام من خلال فحص عينات صغيرة جداً ولمدة قصـيرة جداً تتراوح ما بين 15 و45 دقيقة في المختبرات الحديثة المتقدمة.

ونظراً لأهمية هذه الطريقة في علم الآثار وتحديد عمر المواد العضوية القديمـة التي تكتشف في التنقيبات الآثارية نشرحها هنا باختصار. يتكون كاربون 14 حينما تلامس الأشعة الكونية ذرات نتروجين 14 في الطبقات العليا من الغلاف الجـوي للأرض. ويدخل كاربون 14 مع الكاربون الاعتيادي في تركيب ثـاني أوكسـيد الكاربون وبنسبة ثابتة تقدر بنحو واحد من كاربون 14 لكل مليار من الكـاربون الاعتيادي. وفي عملية التركيب الضوئي يدخل كاربون 14 مـع ثـاني أوكسـيد الكاربون إلى النبات. وحين يتناول الكائن الحي النبات في طعامه ينتقل هذا العنصـر المشع إلى جسمه الذي سرعان ما يفقد بالتحلل من كمية كاربون 14 الموجودة فيـه بقدر ما يدخل إليه منه. وبذلك يبقى مستوى هذا العنصر في الجسم ثابتاً تقريباً.

وحين يموت الكائن الحي يتوقف عن أخذ كاربون 14، ولكن الموجود منـه في جسمه، ونسبته ثابتة كما سبق ذكره، يستمر بالتحلل والتناقص. ولما كان معـدل ما يسمى بدورة نصف العمر (Half-life cycle) لكاربون 14 معروفاً، وهو بحـدود 5750 سنة، أي أنه يفقد نصف كميته في كل دورة، فإن قياس الكمية المتبقية منـه يعلمنا بالمدة الزمنية التي مضت على موت ذلك الكائن.

وبما أنّ طريقة قياس كمية كاربون 14 تحدد العمر الأثري للعظام، وللمواد العضوية عموماً، لغاية مائة ألف سنة، فإن الآثاريين يلجأون إلى طرق أخرى أكثر تعقيداً لتحديد عمر المواد التي تتجاوز ذلك المدى الزمني. ومن هذه الطرق التأريخ بواسطة قياس مسارات انشطار العناصر المشعة في الصخور والفخار والزجاج. وعلى الرغم من أن هذه الطريقة لا تعتمد على التعامل مع العظام نفسها يمكن استعمالها لتحديد عمر تلك المواد المقترنة بالعظام المكتشفة. ومن المهم أن نشير إلى أن استعمال هذه الطريقة يُمكّن الآثاريين من تحديد العمر الأثري للمواد لمدى زمني يصل إلى عشرة ملايين سنة. وهناك طريقة أخرى تعتمد على فحص الصخور المقترنة بالعظام المكتشفة بواسطة قياس البوتاسيوم/الأرغون. وتتلخص هذه الطريقة في أنها تستند على قياس كميات عنصر البوتاسيوم المشع، ذي الوزن الذري 40، في الصخور ومعرفة ما يتحول منه بالإشعاع إلى أرغون، وكلما كانت الصخور أقدم كانت كمية الأرغون فيها أكثر وكمية البوتاسيوم أقل. وبهذه الطريقة يمكن تحديد تاريخ مواد يتراوح عمرها الأثري فيما بين مليون وعشرة ملايين سنة. ويعود اختلاف المدى الزمني الذي يؤرخ بهذه الطريقة عن المدى الزمني لطريقة قياس كاربون 14 إلى أن دورة نصف العمر لبوتاسيوم 40 أطول بكثير من دورة كاربون 14.

إن الهياكل القديمة تمد الآثاريين، عند اكتشافها، بمعلومات مهمة قد لا يمكن التوصل إليها، كما سبقت الإشارة، من خلال الدليل الكتابي أو الأثري. وتساعد العلوم المساعدة الآثاريين على الوصول إلى نتائج لم يكن متوقعاً الوصول إليها من قبل. فعلى سبيل المثال تقود ملاحظة زيادة سمك العظام عند أطرافها القريبة من المفاصل إلى التعرف على الإصابة بداء التهاب المفاصل. ومن الجدير بالذكر الإشارة هنا أنّه يمكن إعادة بناء وجوه القدماء من معالجة جماجمهم، وهذا ما تم تحقيقه عند اكتشاف ضريح الملك فيليب، والد الإسكندر المقدوني، في عام 1977م. وكان

هذا الضريح تحت تل ترابي في فرجينا بمقدونيا، ووجد خالياً من أي نص كتابي. ومع الكنوز الذهبية التي احتواها الضريح وجد صندوقان ذهبيان يحتويان بقايا جثتين محروقتين. وبإعادة تركيب بقايا إحدى الجمجمتين، باستعمال أساليب الطب الشرعي، أمكن تشكيل وجه اتضح أنه مطابق تقريباً لوجه محفور على العاج يبلغ طوله 1.9سم، وقد عثر عليه في داخل الضريح نفسه. ومن الجدير بالذكر أن جمجمة الملك فيليب أظهرت آثار جرح فوق محجر العين اليمنى، وهذا ما يطابق المعلومة التاريخية عن فقدانه لعينه اليمنى.

وفي الحالات التي استعمل فيها تحنيط الأموات في العصور القديمة، أو حافظت فيها الطبيعة على الجثة في ظروف معينة، مثل التجمد أو الجفاف أو الانغلاق المحكم، تكون هناك فرص لتحقيق اكتشافات مهمة عن حياة الناس في العصور القديمة. ومن الأمثلة على ذلك ما اكتشف من خلال فحص المومياءات المكتشفة في المقابر المصرية القديمة من آثار الجلطات الدماغية القاتلة في بقايا أدمغة الموتى، ووجود بقايا الديدان المعوية ودلائل التلوث في بقايا الرئة لعدد من المومياءات. وحتى أمكن تحديد أصناف الدم للمصريين القدماء من خلال فحص اللحم المتيبس والنخاع العظمي في مومياءاتهم.

والخطوة الأخيرة في عملية الكشف عن القبور القديمة هي نقل الهيكل العظمي إلى المختبر أو إلى مركز الحفظ. وفي عملية النقل تراعى الأمور الآتية:

1- تُهيأ أكياس، أو حقائب، من الورق السميك بعدد ثلاثة أكياس لكل هيكل عظمي واحد. يُخصّص الكيس الأول للجمجمة وعظام الفك، والثاني للعظام الطويلة مثل عظام الفخذين والساقين والذراعين، ويُخصّص الكيس الثالث لبقية عظام الهيكل مثل الأضلاع والفقرات وعظام الحوض.

2-تبدأ عملية رفع العظام بعناية شديدة، وتُزال عنها الأتربة باستعمال فرشاة ناعمة صغيرة. ويتم التأكيد على تجفيف العظام الرطبة في الظل لبضع ساعات قبل نقلها لتجنب تكسرها في أثناء نقلها رطبة. ولا يجوز تجفيف العظام تحت أشعة الشمس لأن ذلك يتسبب في تشققها. ويجب تفريغ الجمجمة من الأتربة المتجمعة في داخلها لأنها حين تترك لتجف تكون على درجة من الصلابة بحيث تؤدي إلى تهشم الجمجمة. وعند رفع الهيكل العظمي لا تترك أي قطعة عظم حتى وإن لم يعرف موضعها في الهيكل، إذ من المحتمل أن تكون مفيدة في عملية إعادة تركيب الهيكل لاحقاً في المختبر، وبالتالي تكون دراسة الهيكل العظمي أكثر اكتمالاً.

3- توضع أجزاء الهيكل العظمي في الأكياس الثلاثة التي ذكرت في الفقرة (1) في أعلاه. وتوضع بطاقة تسجيل المعاثر، المعروضة في الشكل رقم (15)، في داخل كل كيس. وفضلاً على ذلك تدون المعلومات الواردة في البطاقات على الأكياس نفسها بالحبر الجاف، أو أي حبر مقاوم للرطوبة، مع الحرص على ذكر رقم القبر.

4- عند نقل الهياكل العظمية توضع الأكياس الثلاثة الخاصة بكل هيكل في علبة واحدة من الكارتون، على أن تكون فتحة كل كيس في الجهة المغايرة لفتحة الكيس الآخر. وتنظم الأكياس بطريقة لا تترك مجالاً لارتجاج محتوياتها بسبب حركة النقل. وتغلق الصناديق بإحكام وتنقل بتؤدة حتى لا تتعرض إلى التلف في أثناء عملية النقل.

5-تجري عملية تنظيف دقيقة للعظام في المختبر أو موضع الدراسة لتهيئتها للفحص والدراسة. فإذا كانت العظام بحالة جيدة وصلبة ومتماسكة يمكن غسلها بالماء مع تنظيفها بفرشاة ناعمة. وإذا كانت العظام هشة وبحالة سيئة تنظف بتيار هوائي خفيف باستعمال ضاغطة بلاستيكية، وتزال الأتربة من سطحها بفرشاة ناعمة طويلة الشعر.

6- يسجل اسم الموقع ورقم القبر والموسم على العِظام المنظفة الجافة ويستعمل حبر لا يتأثر بالماء من أجل ذلك. ويمكن كتابة هذه المعلومات وطلائها بطبقة خفيفة من الصمغ الشفاف الذي يحفظ المعلومات واضحة على العظم من دون تأثرها بالرطوبة.

7- من المهم جداً عدم تنظيف عظام أكثر من هيكل عظمي واحد في كل مرة، وذلك حتى لاتختلط عظام أكثر من هيكل واحد مع بعضها.

8- وفي حالة ترميم العظام تُلصق أجزاؤها المكسورة ببعضها حينما تكون جافة، وتستعمل مادة لاصقة (مثل السيكوتين) لهذا الغرض مع تجنب استعمال صمغ يتأثر بالماء، لأن ذلك يؤدي إلى تفكك الأجزاء حينما يمتص هذا الصمغ كمية من الرطوبة من الهواء.

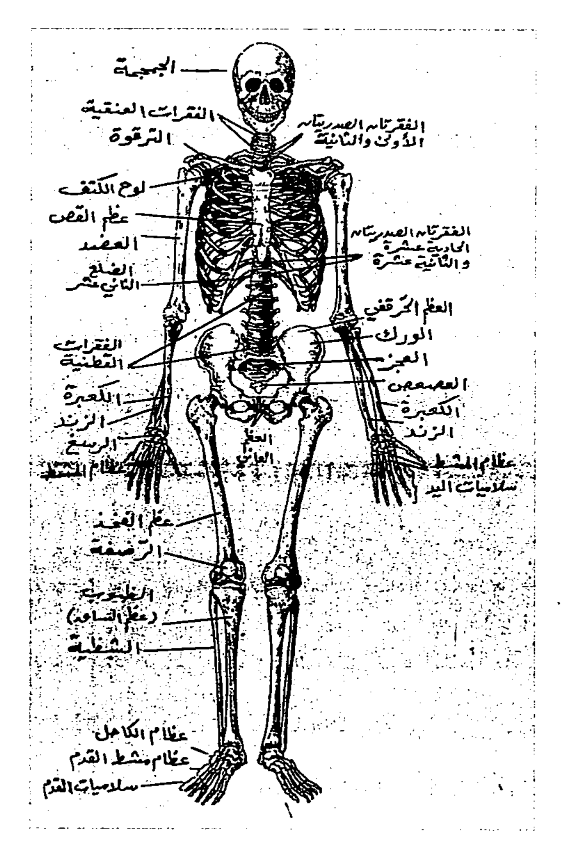
9- في أثناء لصق أجزاء العظام ببعضها يستعمل حوض ممتلئ بالرمل الناعم ليسند هذا الرمل كل جزئين ملصقين ببعضهما بشكل ثابت لحين يجف الصمغ. ويمكن استعمال سلك رفيع لشد الأجزاء ببعضها، حينما يكون ذلك ضرورياً، أو إسناد القطع الملصقة بالطين الاصطناعي لحين جفاف الصمغ.

10- في عملية ترميم العظام المتكسرة إلى عدة قطع تكون طريقة الترميم بلصق الجزء الصغير بالجزء الأكبر، ثم تلصق الأجزاء الكبيرة ببعضها.

11- لا يجوز استعمال مادة مثل الجبس لترميم العظام عن طريق تعويض الأجزاء المفقودة بها، وذلك لأن مثل هذه المواد يمكن أن تغطي أدلة على العظم تفصح عن معلومات مهمة. وكذلك لا يجوز لصق حافات أجزاء العظام غير المنظفة ببعضها.

12- من الضروري أن تمسك العظام بعناية حين دراستها أو فحصها، وفي حالة الجمجمة تمسك بكلتا اليدين. فلا يجوز، على سبيل المثال، أن ترفع الجمجمة عن طريق مسكها من محجري العينين.

ومن أجل المساعدة في التعرف، موقعياً ومخبرياً، على كل عظم من عظـــام الهيكل البشري نورد في الشكل رقم (17)[9] رسماً توضيحياً لهيكل عظمي بشـــري مع أسماء العظام التي يتكون منها:



الشكل رقم (17):
الهيكل العظمي البشري
والعظام التي يتكون منها.

لقد قام المؤلف، في أثناء قيامه بالتنقيبات الآثارية، باكتشاف عدد من القبور في مواقع آثارية مختلفة في بلاد الرافدين. ونأتي في هذا الفصل على تقـــديم عـــرض لمجموعتين من هذه القبور مما لم ينشر سابقاً. اكتُشفت المجموعة الأولى في تل السيب، وهو موقع مدينة ميتورناة القديمة في حوض حمرين بمنطقة ديـــالى حاليـــاً في شـــرق العراق، ويعود تأريخ هذه المجموعة إلى العصر البابلي القديم (أوائل الألف الثاني قبـــل

الميلاد). أما المجموعة الثانية فقد تم اكتشافها في التل الشرقي من موقع مدينة بـــابل الأثرية، وهذا التل يقع على امتداد شارع الموكب إلى الشرق من السور الداخلــي في بابل. ويعود تأريخ قبور هذه المجموعة إلى العصور الهلنستية في بلاد الرافدين (النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد). وفضلاً على هاتين المجموعتـــين يتضمـــن هـــذا الفصل عرضاً لقصة اكتشاف مواضع القبور الملكية التي دفنت فيها أمـــيرات مـــن العائلة المالكة الآشورية في قصر آشور ناصر بال الثاني في نمرود، موقـــع العاصمـــة الآشورية كَلَخ، وذلك في العصر الآشوري الحديث.

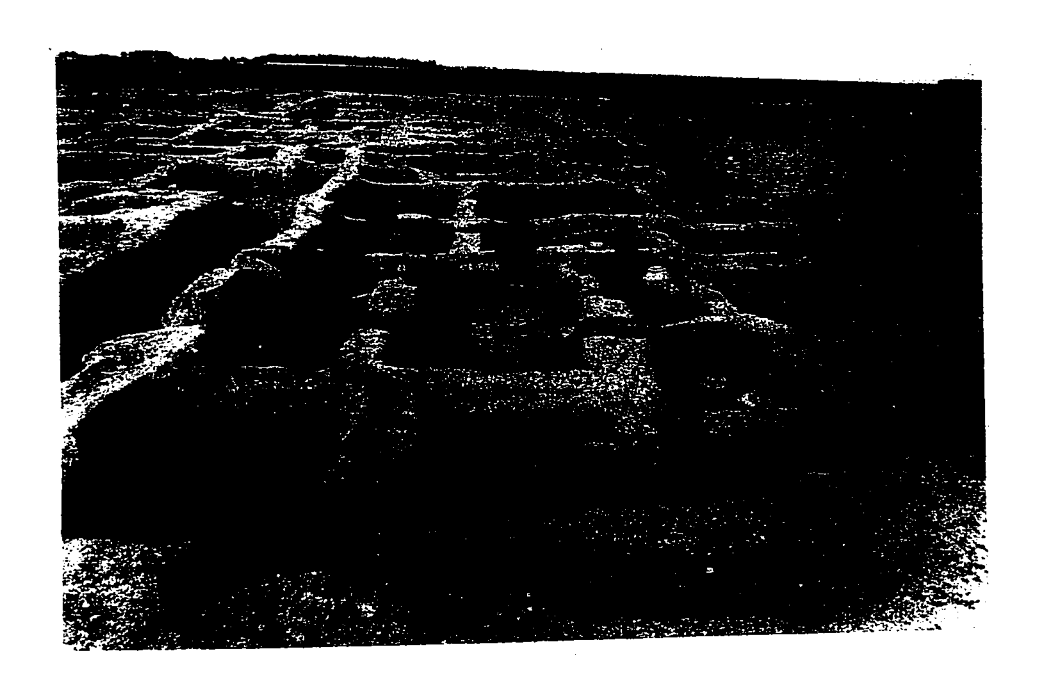
قبور من مدينة ميتورناة (تل السيب)

كانت ميتورناة (M -turnàt) المدينة الرئيسة على نهر ديالى خلال العصـــر البابلي القديم. ويدخل الاسم القديم لنهر ديالى (ترناة) في اسم هذه المدينـــة الـــذي يطابق المقطع الأول منه كلمة "مياه" العربية. وبذلك يكون معنى اســـم ميتورنـــاة "مدينة مياه نهر ترناة". ويرد اسم هذه المدينة بصيغة ميتورّان في نصوص الألف الثـلني قبل الميلاد. يتكون موقع هذه المدينة من تلّين متجاورين يحملان التسميتين المحليتـــين تل السيب وتل حداد. وقد قام مؤلف هذا الكتاب بالتنقيب في هذين التلين من عـــام 1978م لغاية شهر كانون الثاني من عام 1981م. وتحقق خلال تلك التنقيبـــات اكتشاف موقع مدينة ميتورناة الذي بقي مجهولاً لعشرات القرون.

لقد وُجدَت في تل السيب ثلاث طبقات تعرضت الأولى منها للخـــراب، وقد اكتُشف منها قبران من نوع الحوض الفخاري يعود تأريخهما إلى العصر الفرثـــي في العراق (126 ق.م-227م). أما الطبقة الثانية فيعود تأريخها إلى أواسط الألـــف الثاني قبل الميلاد، ووجدت منها بقايا بنائية قليلة بحالة رديئة بسبب أعمال الزراعـــة التي مورست على سطح التل وإزالة الأجزاء العليا منه. وكانت الطبقة الثالثة أفضـــل

حالاً وأكثر أهمية من الطبقتين العلويتين، ويعود تأريخها إلى العصر البـــابلي القـــديم وعلى وجه التحديد إلى القرون الأولى من الألف الثاني قبـــل الميـــلاد. ويظـــهر في الصورة رقم -1- مشهد عام للجزء الأكبر من الطبقة الثالثة في تل السيب حيـــث بقايا البيوت السكنية من العصر البابلي القديم ومخازن الحبوب فيها والجرار الكبـــيرة التي وجدت ممتلئة بالحبوب، وفي وسط مقدمة المشهد تظهر الغرفة رقـــم 76 الـــتي ضمت القبر رقم 32 الملاصق للجدار الشمالي-الشرقي للغرفة وتبدو منـــه عظـــام رجلي الهيكل المدفون فيه وقد رفعت الركبتان إلى الأعلى، وهو مـــا ســـنأتي علـــى شرحه لاحقاً. ومن المرجح أن تأسيس مدينة ميتورناة يعود إلى بداية العصر البـــابلي القديم، إذ لم يعثر على طبقات أقدم من الطبقة الثالثة التي قامت على الأرض البكر.

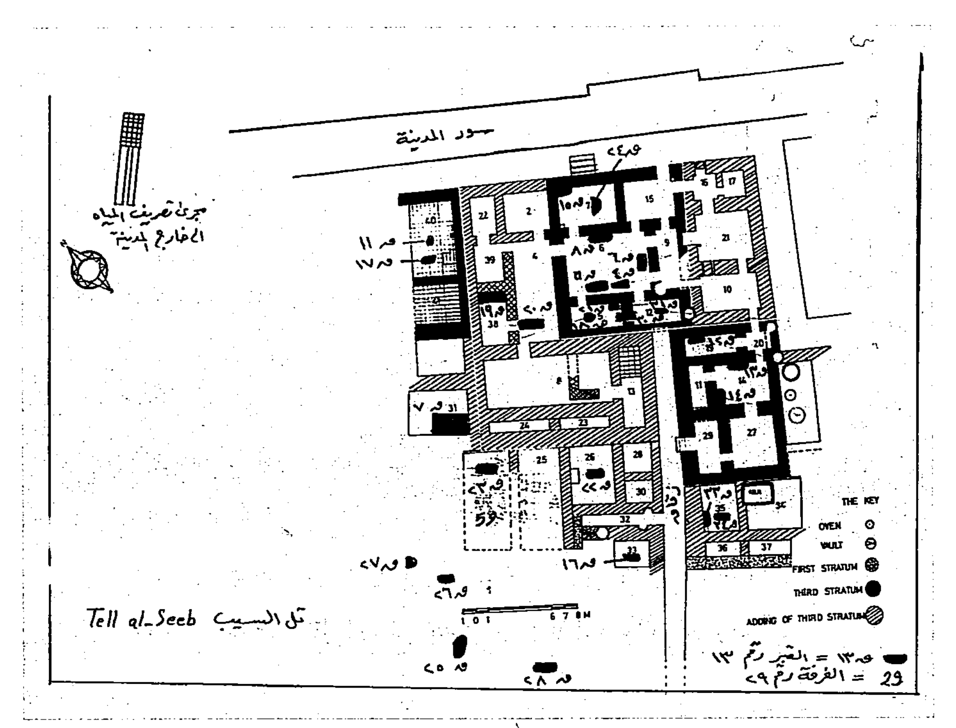
وفي تل حداد المجاور، الذي ضمَّ المنشآت الدينية في مدينة ميتورناة، اكتشف في الطبقة العليا التي تأتي فوق البقايا البابلية القديمة، معبدٌ للأله نرجال، إلـــه المـــوت وحاكم العالم السفلي (عالم الأرواح). ويعود تأريخ بناء هـــذا المعبـــد إلى العصـــر الآشوري الحديث، وعلى وجه التحديد إلى عهد آشور بانيبال (668-626ق.م). وقد ذكر في نص لهذا الملك، وجد منقوشاً على عدد من الآجرات التي رصفت بهـــا أرضية المعبد، الاسم الذي أطلقه الآشوريون على مدينة ميتورناة من بعد اســـتيلائهم عليها، وهو سيرارا[10].



الصورة رقم -1-: منظر عام للطبقة الثالثة في تل السيب (موقع مدينة ميتورناة القديمة) وتظهر فيه بقايا بيوت من العصر البابلي القديم وفي مقدمة المنظر الغرفة رقم 76 وفيها القبر رقم (32).

اشتملت الطبقة الثالثة في تل السيب على بقايا عدد من البيوت التي اكتشفت فيها مجموعة كبيرة من القطع الأثرية ومجموعة من الرقم الطينية، أو كسر الرقم، مدونة بنصوص مسمارية بابلية قديمة زاد عددها على الألف. وفيما يخص موضوع هذا الكتاب، تم اكتشاف أربعة وثلاثين قبراً في داخل غرف البيوت وساحاتها. ويوضح المخطط في الشكل رقم (18) مواضع هذه القبور وأرقامها التسلسلية. وقد احتوت هذه القبور على عدد كبير من القطع الأثرية التي كونت الأثاث الجنائزي الذي دفن مع الأموات من سكان المدينة. ووصل عدد القطع الأثرية

التي استخرجت من تلك القبور إلى أكثر من مئة وخمسين قطعة. ومن بين هذه القبور، التي لم يسبق أن نشر عنها، نعرض فيما يأتي وصفاً لثلاثة عشر قبراً منها، وقد اختيرت هنا لكونها الأفضل حفظاً، أو الأكثر أهمية، بحسب طريقة الدفن المتبعة فيها أو بحسب محتوياتها:



الشكل رقم (18) المخطط الأرضي للطبقة الثالثة في تل السيب (ميتورناة القديمة) وقد حددت فيه مواضع القبور المكتشفة.

القبر رقم 7: شيد هذا القبر بالآجر في الزاوية الجنوبية من الغرفة رقم 31، الصورة رقم 2. يرتفع الجداران الجنوبي-الغربي والشمالي-الشرقي للقبر إلى نصف متر، ثم يبدأ القبو المعقود الذي يسقف القبر. وفي الطرف الجنوبي-الشرقي يوجد



الصورة رقم -2- تل السيب (مدينة ميتورناة القديمة)، القبر رقم 7.

مدخل القبر الذي كان مغلقاً بالآجر. أما في الطرف الشمالي-الغربي فـــإن جدار القبر يستمر في الارتفاع حتى يُغلق فتحة القبو في ذلك الطرف. ويلاحـــظ في هذا الجدار وجود فتحة صغيرة في أعلى الوسط تنفذ إلى داخل القبر ويتقدّمها مجـــرى استُحدث بين أعلى آجرتين في الجدار. وقد توضّحت وظيفة هذه الفتحـــــة حـــين اكتشفت في داخل القبر جرة فخارية بشكل "الزمزمية"، أو قربة الماء، لها بدنٌ قرصي الشكل وفوهة دائرية. كانت هذه الجرة موضوعة على أرضية القبر المرصوفة بـــالآجر عند وسط الضلع الشمالية-الغربية للقبر، وقد أُسندت إليه لتكون منتصبة وفوهتـــها

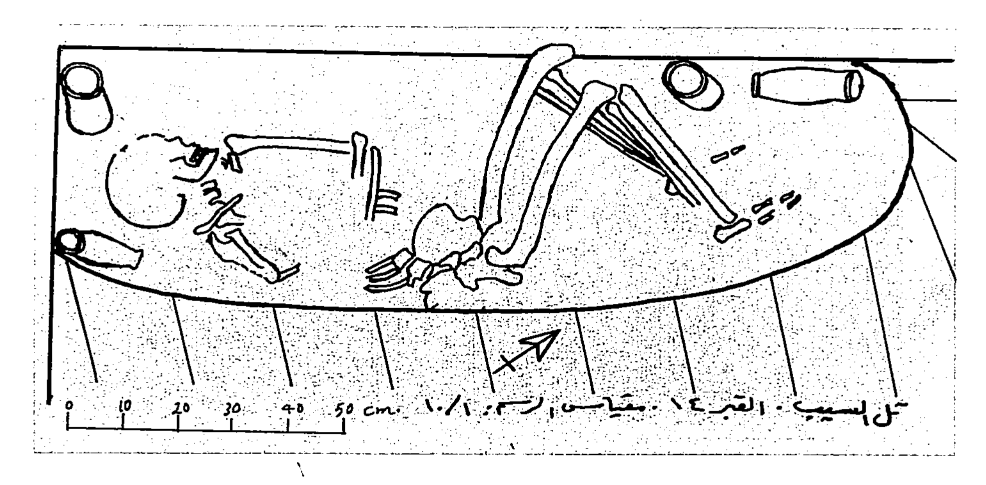
تحت الفتحة الموجودة في أعلى ذلك الضلع مباشرة، وهو ماتبينه الصورة رقـم -3-.
وكان واضحاً أن الماء الذي يسكب من خارج القبر، عبر تلك الفتحة، يترل ليصـب في فوهة الجرة ويملأها من دون أن تكون هناك حاجة إلى فتح القبر وإعادة ملء الجرة المخصصة لذلك. إن اكتشاف هذه الجرة بموضعها الأصلي، المقترن بالفتحة في أعلـى جدار القبر، مكّننا من تفسير وجود الفتحة باعتبارها وسيلة لتزويد الميت المدفـون في القبر بالماء ضمن الشعائر الجنائزية بحسب ما تمليه معتقدات ما بعد الموت القديمة عـن حاجة أرواح الموتى للتزود بالماء النقي حتى لا تضطر إلى الاعتماد على الماء العكـر الذي لا يتوفر لها سواه في العالم السفلي، وهذا ما سيأتي الحديث عنـه في الفصـل الثالث من هذا الجزء. إن ما كشف عنه هذا القبر من صلة للفتحة الموجودة في أعلـى جداره بشعائر سكب الماء لأرواح الموتى يفسر وجود فتحات أخرى اكتشـفت في مواقع مختلفة في بلاد الرافدين. فعلى سبيل المثال وجدت مثل هذه الفتحة في قبـور اكتشفت في موقع مدينة آشور (قلعة الشرقاط). وقد وجدت فتحة صغيرة أيضـاً في أحد النواويس الحجرية في المقبرة الملكية الآشورية في القصر القديم في الموقع نفسـه.
وكان هناك تفسير سابق ذهب إليه الآثاريون الغربيون من أن تلك الفتحات وضعـت لتكون منفذاً للروح حين خروجها من القبر. وهذا تفسير غير مقبول لأن القبر كـان أصلاً منفذاً للروح لتترل من خلاله إلى العالم السفلي، ولا تحتاج إلى فتحة للخـروج منه إلى العالم العلوي. وجدت في القبر رقم (7) أربع جرار فخارية إحداها كبـيرة الحجم كروية البدن (انظر الصورة رقم -3-)، وتدل محتوياتها على أنها كانت ممتلئـة بقطع من لحوم الذبائح، إذ وجدت بقايا عظام حيوانية في داخلها. وتقدم لنا



الصورة رقم -3- منظر للقبر رقم (7) يظهر فيه الجدار الشمالي-الغربي للقبر من الداخل وقد أسندت إليه "الزمزمية" الفخارية مع وضع فوهتها تحت فتحة صب الماء الموجودة في وسط أعلى ذلك الجدار. وفي مقدمة الصورة تظهر جرة فخارية كبيرة كانت ممتلئة بالطعام واللحوم.

محتويات هذا دليلاً على الاهتمام بتزويد المتوفى بالطعام والشراب اللذين تحتاجـــهما روحه في العالم السفلي. لقد تكرر استعمال هذا القبر في الدفن، إذ اكتشـــفت فيـــه بقايا هيكلين وجدا بحالة مشوشة. ذلك أن الهيكل الأقدم أزيح عن مكانه لإفســـاح المجال لوضع الهيكل الثاني الذي عملت الجرار الفخارية الثقيلة وبعض الآجر المتساقط من السقف المعقود للقبر على سحق عظامه. ومما يمكن قوله عن هذين الهيكلـــين أن أحدهما كان لامرأة على ما يرجح.

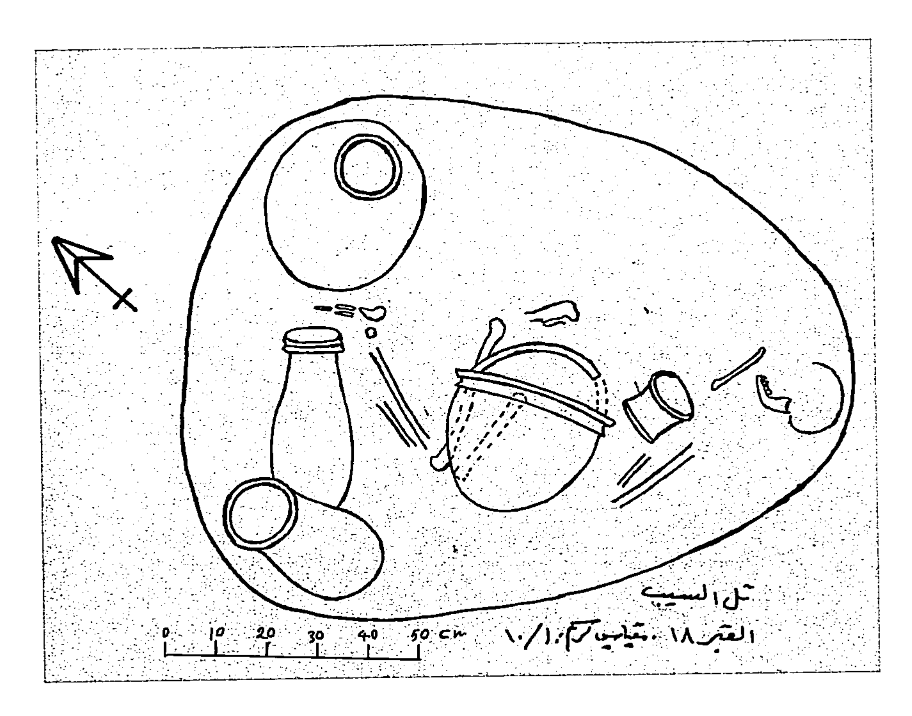
القبر رقم 14: حفرة شبه مستطيلة أبعادها 155×55سم عنـــد الزاويـــة الغربية للغرفة رقم 14 تحت مستوى الأرضية الخامسة من الطبقة الثالثة. اتجاه الدفــن من الجنوب- الغربي إلى الشمال-الشرقي. اكتشف في هذا القبر هيكل عظمي لرجل مُدد على جنبه الأيسر والوجه نحو الشمال-الغربي، اليد اليسرى مثنية بزاوية قائمـــة على الصدر، الشكل رقم (19). عظام اليد اليمنى والفقـــرات الصدريـــة ومعظـــم الأضلاع مفقودة بسبب وجود كسرة في القبر. الرجلان مثنيتان وقد وضعت عندهما جرتان فخاريتان كبيرتان، وهناك جرتان مماثلتان عند الرأس.



الشكل رقم (19): رسم للقبر رقم 14.

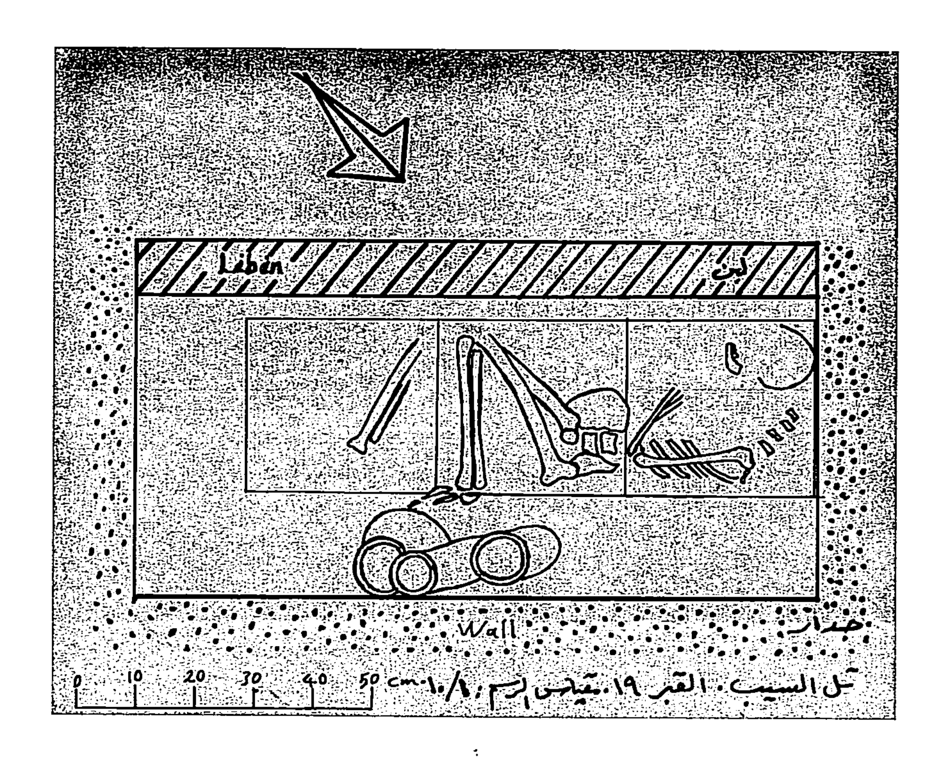
القبر رقم 18: حفرة بشكل بيضوي أبعادها 130×106سم، في وســـط الغرفة رقم 5، تحت مستوى الأرضية الرابعة من الطبقة الثالثة. اتجـــاه الدفـــن مـــن الجنوب-الشرقي إلى الشمال-الغربي، الشكل رقم (20). وُجد الهيكل بحالة ســـيئة ومعظم العظام مفقودة، وعلى الأرجح أنه يعود إلى أنثى بالغة دفنت علـــى جنبـــها الأيسر مع ثني الرجلين. اليدان مرفوعتان باتجاه الرأس الذي استقر على جانبه الأيمن. القبر غني بالأثاث الجنائزي الذي وضع بعضه فوق الجثة، ويشتمل على ثلاث جـــرار

فخارية كبيرة وضعت عند القدمين واحتوت اثنتان منها على جرتين فخاريتين أصغر حجماً. وفوق الورك وضع وعاء فخاري كبير الحجم وفي داخله صحن فخاري كبير. وعلى الصدر وضعت آنية برونزية بشكل أسطواني مخصر من الوسط. ووجدت في هذا القبر أيضاً حلية ذهبية صغيرة.



الشكل رقم (20): رسم للقبر رقم 18.

<u>القبر رقم 19</u>: قبر مشيد باللبن في الجهة الجنوبية-الغربية ومحدد بجدران الغرفة رقم 38 في الجهات الثلاث الأخرى. تبلغ أبعاد هذا القبر 115×55 سم. اتجاه الهيكل من الشمال-الغربي إلى الجنوب-الشرقي، الشكل رقم (21)، وقد مدد على جنبه الأيمن فوق ثلاث آجرات رصفت بها أرضية القبر، وتبلغ أبعاد كل آجرة 33×33×8 سم. الهيكل يعود إلى ذكر بالغ على الأرجح، وقد أُثنيت الرجلان ورفعت اليدان باتجاه الوجه. يتكون الأثاث الجنائزي في القبر من ثلاث جرار فخارية وضعت متلاصقة عند القدمين.



الشكل رقم (21): رسم للقبر رقم 19

<u>القبر رقم 20</u>: اكتشف هذا القبر في الطرف الجنوبي-الغربي من الساحة رقم 4، ويعود إلى دور مبكر من الطبقة الثالثة.

استُعمل القبر مرتين على ما يبدو، وفي كل مرة كان الدفن فيه ثنائياً، ولذلك فإنه يتضمن أربعة هياكل عظمية، الصورة رقم -4-. ويتميز هذا القبر بغناه بالأثاث الجنائزي الذي يتألف من 18 قطعة أثرية. اتجاه الدفن في هذا القبر من الجنوب-الشرقي إلى الشمال-الغربي. والقبر بشكل حفرة مستطيلة تبلغ أبعادها 170×50سم. ويبدو أن القبر استعمل في الدفن الأول لامرأة مع طفلها الرضيع،



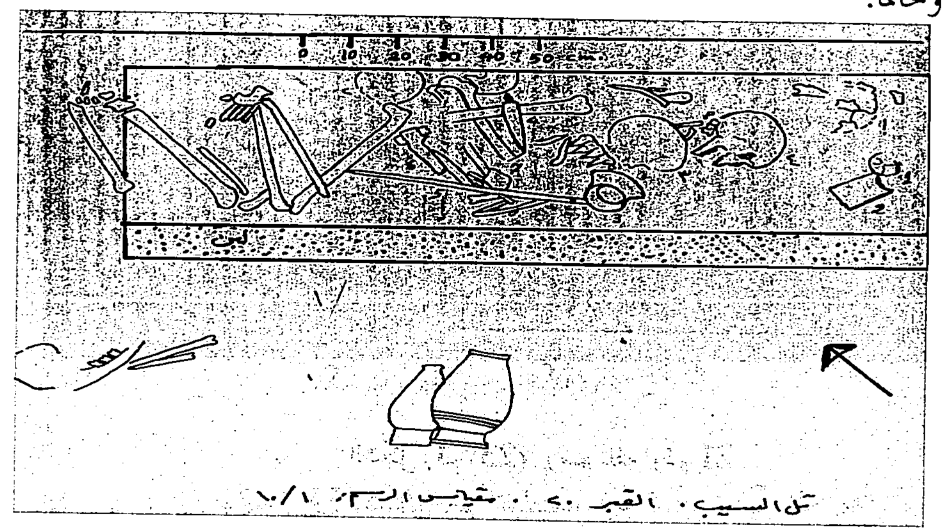
الصورة رقم-4-: القبر رقم20.

إذ وُجدت جمجمة (رقم 1 في الشكل رقم 22) عند الزاوية الشرقية للقبر وهي بحالة سيئة وتحمل آثار جبس كان يغطيها. وعلى الأرجح أن هيكل هذه الجمجمة قد أُزيح من مكانه حين استعمل القبر نفسه في الدفن الثاني، إذ لم يتبق من هيكلها سوى هذه الجمجمة المهشمة. أما الهيكل الثاني (الجمجمة رقم 2) فموضعها خلف الهيكلين الأخيرين عند الحافة الشمالية-الشرقية للقبر. واتجاه الهيكل، الذي يعود لطفل رضيع، من الشمال-الغربي إلى الجنوب-الشرقي، أي بعكس اتجاه بقية الهياكل. ويمكن الافتراض أن الهيكلين الثالث والرابع (الجمجمتان 3 و4)، اللذين يعودان لذكرين بالغين، دفنا معاً وربما كانا محاربين لقيا حتفهما سوية وذلك بدليل

الأسلحة البرونزية التي دُفنت معهما. وهذان الهيكلان ممدّدان على جنبيهما الأيسـرين وأرجلهما مثنية. وفي أعلى القبر وجدت بقايا ذبيحة من المحتمل أن تكون لعجــل أو بقرة، وعلى مقربة منها جرتان فخاريتان. وقد وجدت بعض عظام تلك الذبيحــة في داخل القبر فوق عظام الهيكلين الثالث والرابع.

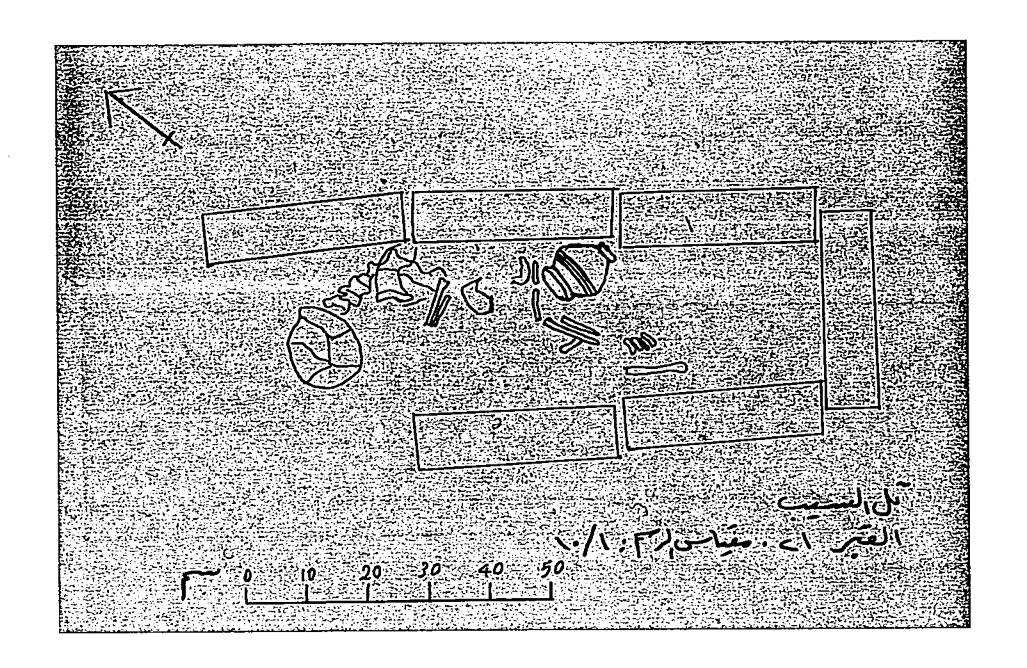
ضمّ الأثاث الجنائزي في القبر رقم 20 أربعة جرار فخارية، كانت ثلاثـــــةٌ منها مهشمة وغير كاملة، وثماني قطع برونزية، مؤشرة في الرسم بالأرقام العربيـــــة، تشمل أربعة أواني، بلطة طويلة النصل بمقبض خشبي لم تزل بقاياه في فوهة النصـــل، خنجر، حربة طويلة، ومرود.

وتضمّن الأثاث الجنائزي أيضاً قطع عظمية تحمل أشكالاً هندسية، شـــريطاً ذهبياً، قلادة صغيرة من الخرز المتنوع وثلاث قطع فضية تشمل شريطاً للزينة، حليّـــة وخاتماً.



الشكل رقم (22): رسم للقبر رقم 20.

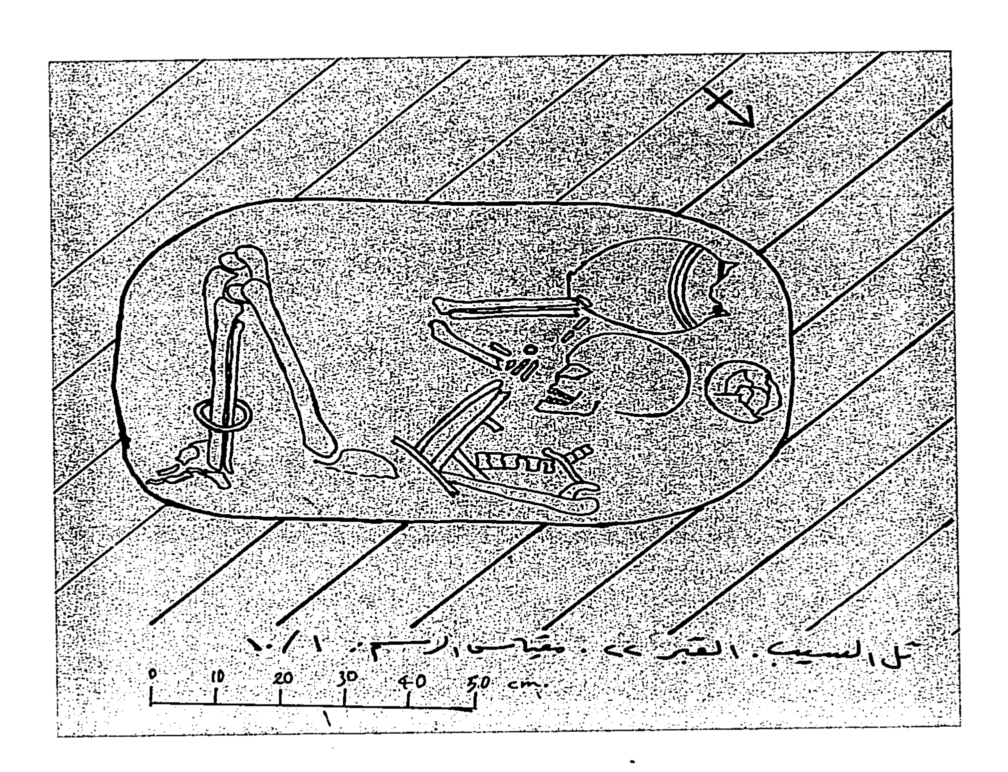
القبر رقم 21: مشيد بآجر قياساته 33×33×8 سم. وقد شُكّلت أضلاع القبر من الآجر الموضوع بشكل عمودي، وغُطّي بآجر من الحجم نفسه. قياسات القبر 103×43سم، ويعود الهيكل المدفون فيه إلى طفل صغير وقد وُجد بحالة سيئة والعظام مشوشة –الشكل رقم (23)-. وموضع هذا القبر في الزاوية الشرقية للغرفة رقم 5 تحت مستوى الأرضية الرابعة من الطبقة الثالثة. احتوى هذا القبر على ثلاث جرار فخارية وجدت اثنتان منها مهشمتان.



الشكل رقم (23): رسم للقبر رقم 21

القبر رقم 22: عبارة عن حفرة مستطيلة الشكل تقريباً قياساتها 100×60سم. الاتجاه من الشمال-الغربي إلى الجنوب-الشرقي. اكتُشف القبر في وسط الغرفة رقم 26 وفيه هيكلٌ يعود لأنثى مُدّدت على جنبها الأيمن وأُثنيت

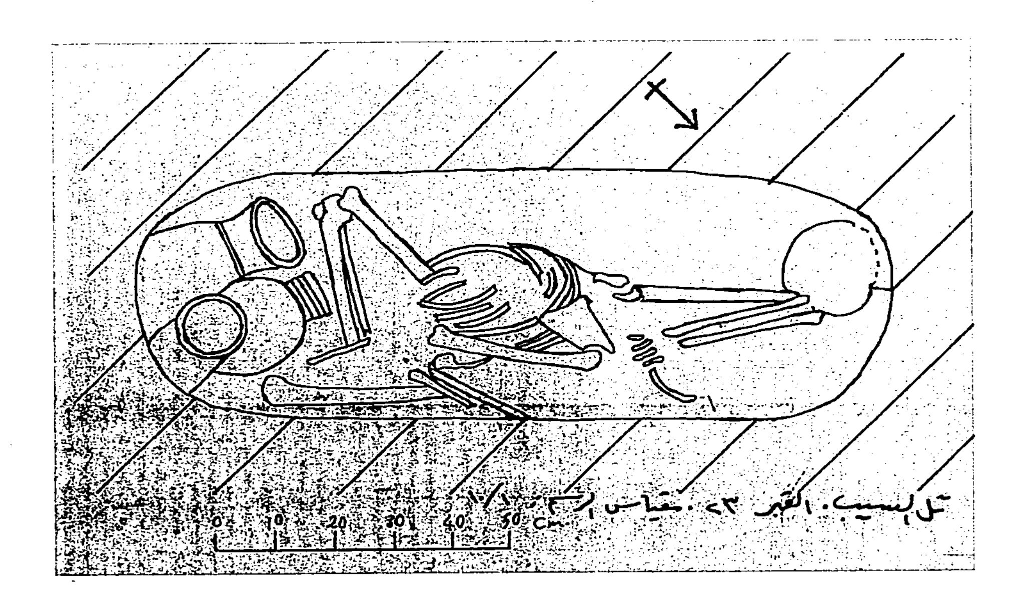
رجلاها بزاوية حادة –الشكل رقم (24)–، وقد وُضعت اليد اليمنى تحت الحنك واليسرى أمام الوجه. وُجد حجل برونزي لم يزل في موضعه بالرجل اليسرى وخاتم برونزي عند أصابع اليد اليمنى. وعند الرأس دفنت جرتان فخاريتان وجدتا بحالة تهشم.



الشكل رقم (24): رسم للقبر رقم 22.

القبر رقم 23: حفرة شبه مستطيلة تبلغ قياساتها 135×45سم. الاتجاه من الشمال–الغربي إلى الجنوب–الشرقي، وموضع القبر في القسم الشمالي–الشرقي من الغرفة رقم 59 ويعود إلى الطبقة الثالثة. وجد الهيكل العظمي بحالة غريبة في هذا القبر –الشكل رقم (25)–، إذ أن الرأس وعظام أحد الساعدين مفصولة عن

بقية عظام الهيكل. والجزء الأوسط من الهيكل منكفئ على الصدر، والرجلان مثنيتان بشكل غير منتظم. والأثاث الجنائزي في هذا القبر تألف من ثلاث جرار فخارية وضعت عند القدمين.

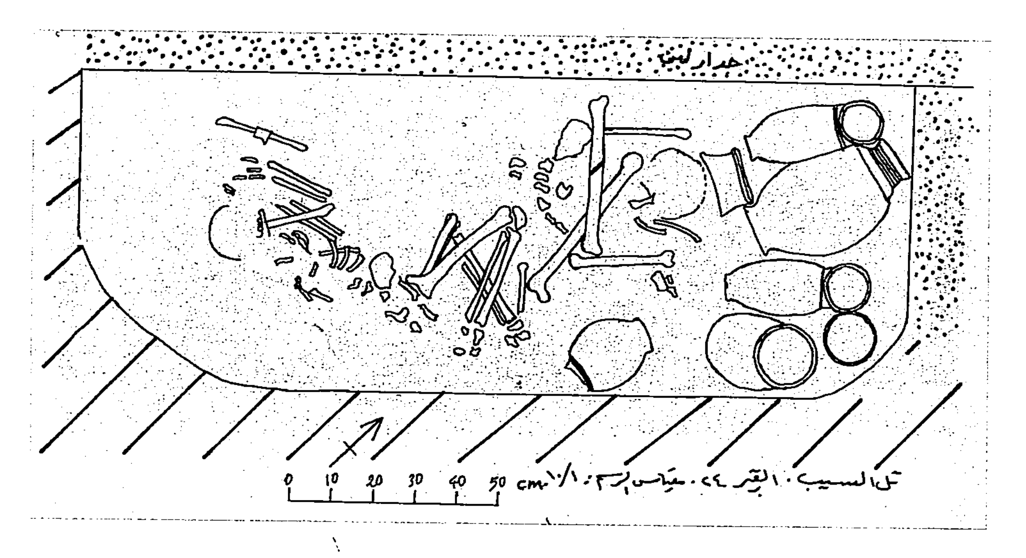


الشكل رقم (25): رسم للقبر رقم 23.

<u>القبر رقم 24:</u> حفرة كبيرة مستطيلة الشكل تقريباً تبلغ أبعادها 200×75سم. وُجد هذا القبر في وسط الغرفة رقم 7 ويعود إلى دور مبكر من الطبقة الثالثة. اتجاه القبر من الشمال-الشرقي إلى الجنوب-الغربي. استُعمل هذا القبر للدفن المتكرر، إذ وُجد بداخله هيكلان عظميان -الشكل رقم (26)- كان الأقدم منهما بحالةٍ سيئةٍ وقد أُزيحت عظامه إلى الطرف الشمالي-الشرقي من القبر حيث توجد الجمجمة. ويلاحظ أن عظم الساعد التابع لهذا الهيكل تُرك في موضعه عند الطرف الجنوبي-الغربي من القبر قرب جمجمة الهيكل الثاني. والهيكل الثاني

كان قد دُفن في وقت متأخر بعد أن أُزيحت عظام الهيكل الأول. واتجاه الهيكل الثاني من الجنوب-الغربي إلى الشمال-الشرقي، وقد مُدّد على جنبه الأيسر ويداه مرفوعتان أمام الوجه والرجلان مثنيتان.

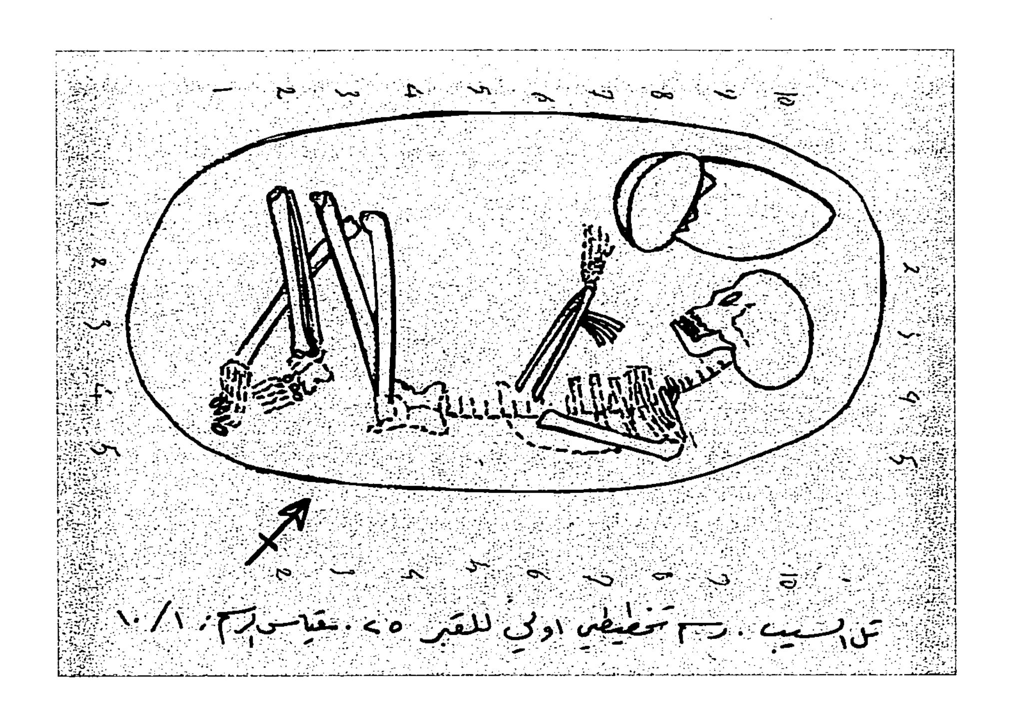
اشتمل الأثاث الجنائزي في هذا القبر على سبع جرار فخارية، وُجدت اثنتان منها بحالة تهشم، وإناء برونزي. وجميع هذه القطع متجمعة في الطرف الشمالي-الشرقي من القبر. وقد عُثر على بقايا سوار فضي عريض يلتف حول عظم الساعد للهيكل الأول الذي بقي في موضعه الأصلي عند الطرف الجنوبي-الغربي من القبر.



الشكل رقم (26): رسم للقبر رقم 24

القبر رقم 25: حفرة شبه مستطيلة أبعادها 120×60سم. الاتجاه من الشمال-الشرقي إلى الجنوب-الغربي. اكتُشف هذا القبر في امتداد الطبقة الثالثة عند الطرف الجنوبي-الغربي من التل. الهيكل يعود لأنثى بالغة على الأرجح وقد مُددت على جنبها الأيمن. اليدان أمام الوجه والرجلان مثنيتان بشدّة-الشكل رقم (27)-.

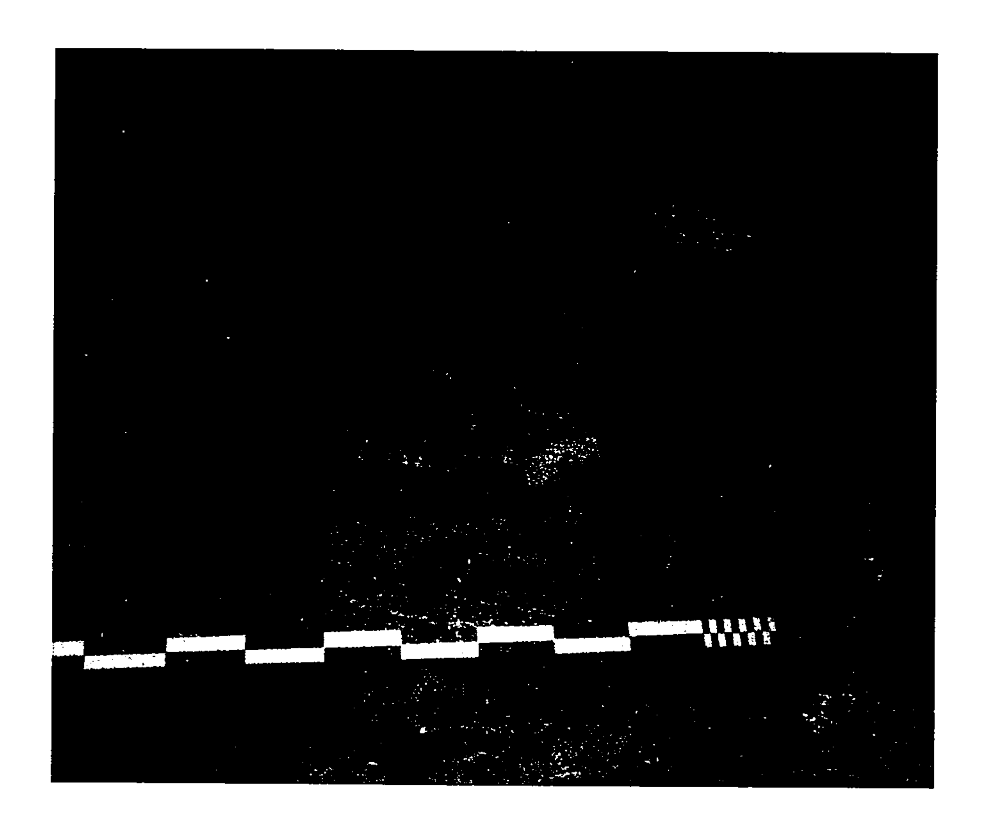
الأثاث الجنائزي تألّف من جرّة فخاريّة وُجدت مهشمةً وإناء برونزي. وتحت هـــذا الإناء وُجدت قطع مزخرفة من العظم. وعند أصابع القدمين وُجد خاتم برونزي.



الشكل رقم (27): رسم تخطيطي أوّلي للقبر رقم 25.

<u>القبر رقم 30:</u> حفرة شبه مستطيلة أبعادها 140×50سم. الاتجـــاه مـــن الجنوب-الشرقي إلى الشمال-الغربي. وُجد هذا القبر تحت الجدار الجنوبي-الشـــرقي للغرفة رقم5. الهيكل يعود إلى رجل دفن على جنبه الأيسر. اليدان مرفوعتان أمـــام الوجه حيث وضع قدح فخاري والرجلان مثنيتان —الصورة رقم 5-. لم يُعثر علـــى

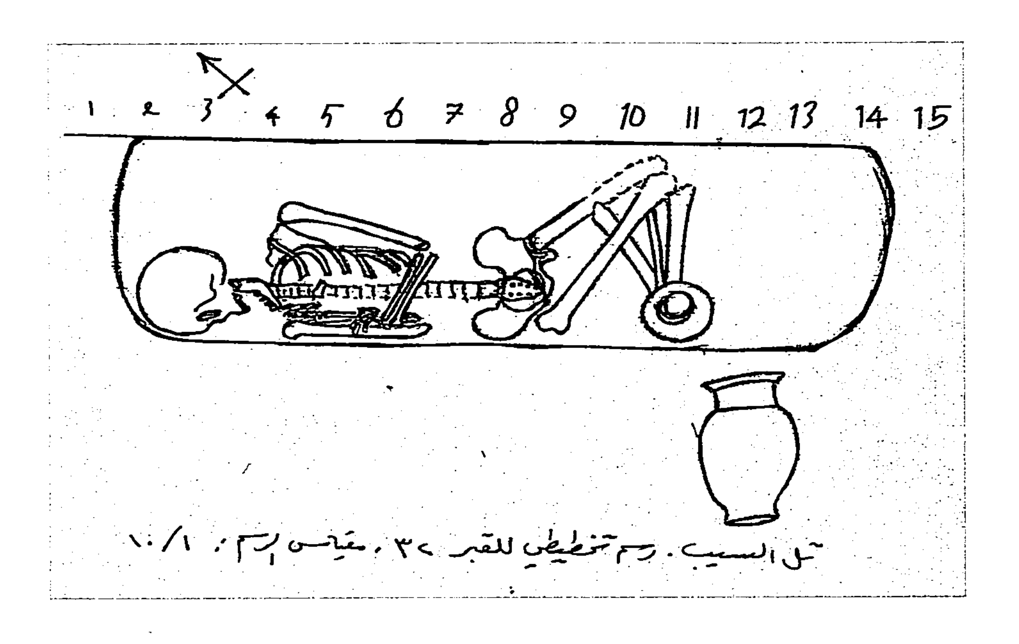
أثاث جنائزي سوى القدح الفخاري.



الصورة رقم -5-: القبر رقم 30

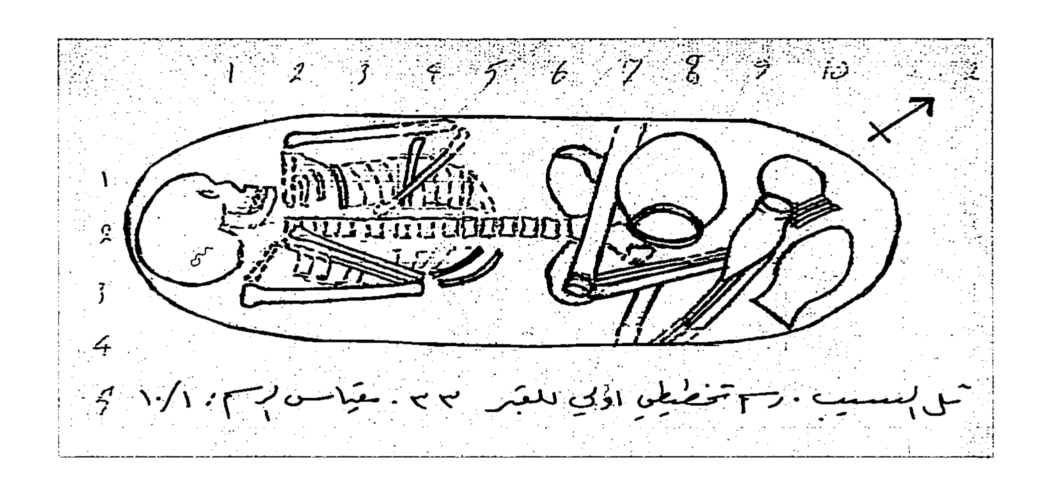
القبر رقم 32: حفرة مستطيلة الشكل تقريباً أبعادها 130×40سم. القبر مُمتّد لصق الجدار الشمالي-الشرقي للغرفة رقم 76 الكائنة في الامتداد الجنوبي-الغربي للتل (انظر الصورة رقم -1-). الهيكل المدفون في هذا القبر يعود إلى رجل مُدّد على ظهره واتجاهه من الشمال-الغربي إلى الجنوب-الشرقي، والرأس مستقر على الجانب الأيمن. اليد اليسرى مثنية بزاوية قائمة وموضوعة فوق الصدر، أما اليد اليمنى فقد وُضعت تحت الحنك. الرجلان مثنيّتان والركبتان إلى الأعلى –الشكل

رقم (28)-. الأثاث الجنائزي يشمل جرّتين إحداهما في داخل القبر عند القدمين والأخرى في خارجه. وقد وُجدت تحت الجرة الثانية بقايا ذبيحة يُرجّح أنها كانت خروفاً.



الشكل رقم (28): رسم تخطيطي أولي للقبر رقم 32.

<u>القبر رقم 33:</u> حفرة بشكل بيضوي، أبعادها 115×40سم. وُجد هذا القبر لصق الجدار الشمالي-الغربي للغرفة رقم 35 قرب الزاوية الغربية وذلك تحت مستوى الأرضية الثانية المكتشفة في هذه الغرفة. اتجاه الدفن من الجنوب-الغربي إلى الشمال-الشرقي. الهيكل يعود إلى رجل مُمدّد على ظهره والرأس مستقر على الجانب الأيسر، في حين أن الرجلين مثنيتين ومائلتين على الجانب الأيمن. اليدان موضوعتان بشكل متقاطع على الصدر –الشكل رقم (29). تألّف الأثاث الجنائزي في هذا القبر من أربع جرار فخارية مختلفة الأشكال والأحجام.



الشكل رقم (29): رسم تخطيطي أولي للقبر رقم 33

في ختام هذا الحديث عن القبور المكتشفة في تل السيب تجدر الإشـــارة إلى أن القبر رقم (8)، الذي اكتُشف لصق الجدار الشمالي-الشرقي للساحة رقـــم 6 في الطبقة الثالثة، لم يكن قبراً لبشر وإنما لحمار دُفن بالطريقة نفسها التي كان يُدفن بهـــا المتوفون من البشر. وقد مُدد هذا الحمار على جنبه الأيمن وأُثنيت أرجله ودُفن مـــع أثاث جنائزي متميز يشتمل على وعاءٍ برونزي مع عدّة للحيوان من البرونز والحبـــل وبقيت آثارها في صدأ البرونز، الصورة رقم -6-. ويمثل هذا القبر مثالاً ربما يكـــون فريداً في بلاد الرافدين. ولعل الدافع لدفن ذلك الحمار بهذه الطريقة، المشابهة لطريقـــة دفن الموتى من البشر، عاطفي أكثر من كونه ديني، أو أنه كان نتيجة للرغبة في نزول الحمار مع روح صاحبه، الذي لا بد أن يكون هو صـــاحب البيـــت، إلى العـــالم السفلي.



الصورة رقم -6-: هيكل الحمار المدفون في القبر رقم 8 في تل السيب.

قبور من بابل

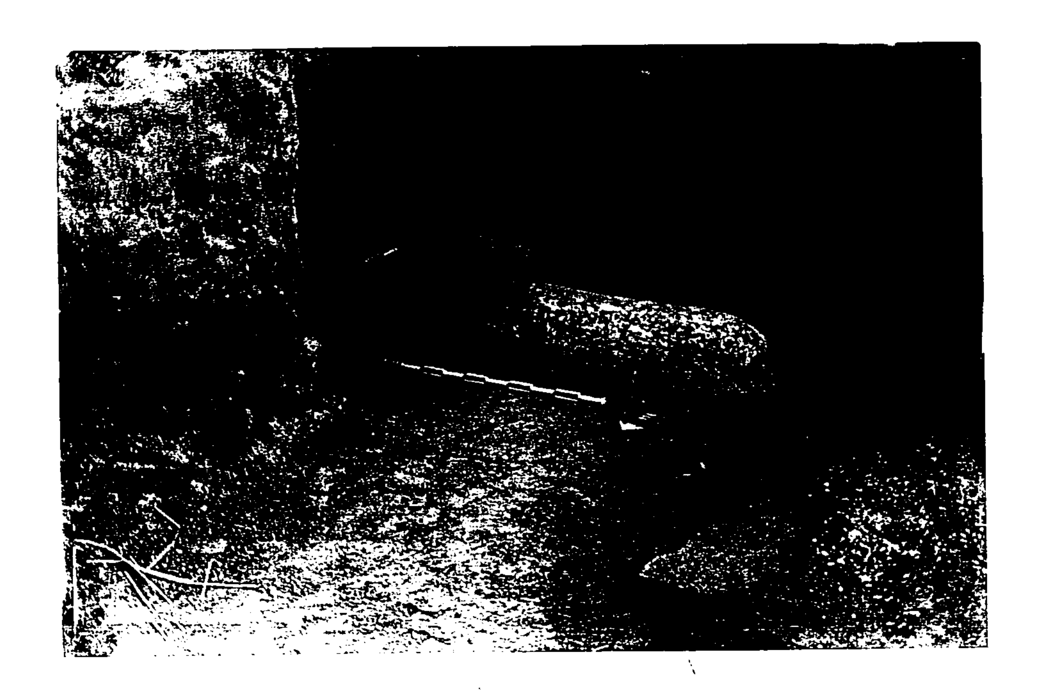
في أثناء عمل المؤلف في التنقيب الآثاري في موقع مدينة بابل خلال العام 1978م اكتَشف جملةَ قبورٍ من العصور المتأخرة، يعود تأريخها إلى النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد، في التل الشرقي الذي يمتد في خارج السور الداخلي لبابل حيث توجد بوابة عشتار، وذلك على مسار شارع الموكب المؤدي إلى معبد بيت آكيتو. وهذا المعبد كان الموضع المقدس لإقامة شعائر الاحتفال برأس السنة البابلية. لقد تم التنقيب في ثلاثة مواضع من التل الشرقي أُشير إليها بالحارات الأولى، الثانية والثالثة. والحارة الثالثة تأتي بعد السور الداخلي مباشرة، وكانت معظم القبور قد اكتُشفت في هذا الموضع.

لقد كُشفَ في الحارة الثالثة عن ثلاث طبقات يمكن تحديد تاريخ أحدثها. وهي الطبقة الأولى، في العهد الفرثي. أما الطبقة الثانية فتعود إلى العهد السلوقي في العراق، وتسبقها زمنياً الطبقة الثالثة التي تأتي تحتها. كان أحد القبور المكتشفة في الطبقة الأولى عبارة عن حفرة بسيطة غُطّيت بآجرّ مختلف الأحجام، الصورة رقم -7-.

وهناك قبر آخر من الطبقة نفسها تم الدفن فيه بتابوت فخاري بشكل المسرجة، الصورة رقم -8-، اتجاهه من الشرق إلى الغرب والهيكل فيه ممدد على ظهره. ويبدو أن الرجلين أدخلتا أولاً من الفوهة الكبيرة وسحبتا بحبلٍ من خلال الفتحة الصغيرة الموجودة في الطرف الأمامي للتابوت. وبعد أن مُددت الجثة، غُطيت الفوهة البيضوية الكبيرة للتابوت، حيث يوجد رأس الهيكل، بقطع من الآجر.

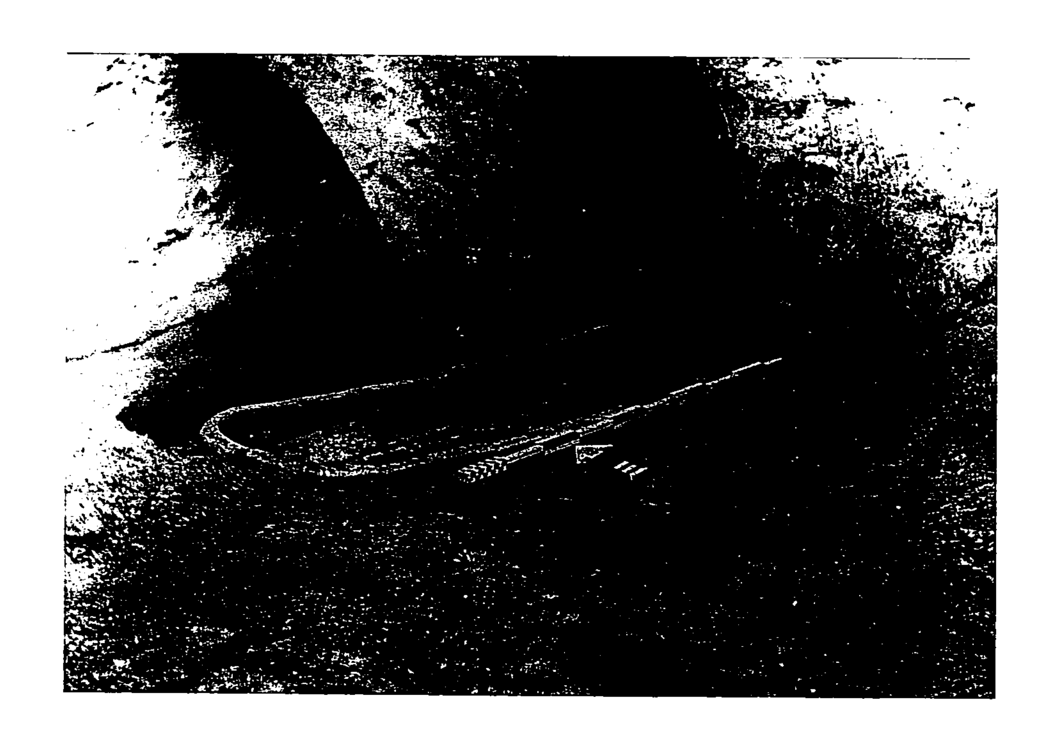


الصورة رقم -7-: قبر من الحارة الثالثة، الطبقة الأولى في التل الشرقي، بابل



الصورة رقم -8-: تابوت فخاري بشكل المسرجة، الحارة الثالثة، الطبقة الأولى، التل الشرقي، بابل.

وفي الطبقة الثانية في الحارة الثالثة وُجد قبر تم الدفن فيه داخل تابوت فخاري طويل يشبه حوض الاستحمام وله زوايا دائرية. وللتابوت غطاء فخاري أيضاً يتألف من قطعتين. اتجاه الدفن من الشرق إلى الغرب. وقد وضعت عند الرأس، في خارج التابوت، جرة فخارية وجدت مهشمة، الصورة رقم -9-.

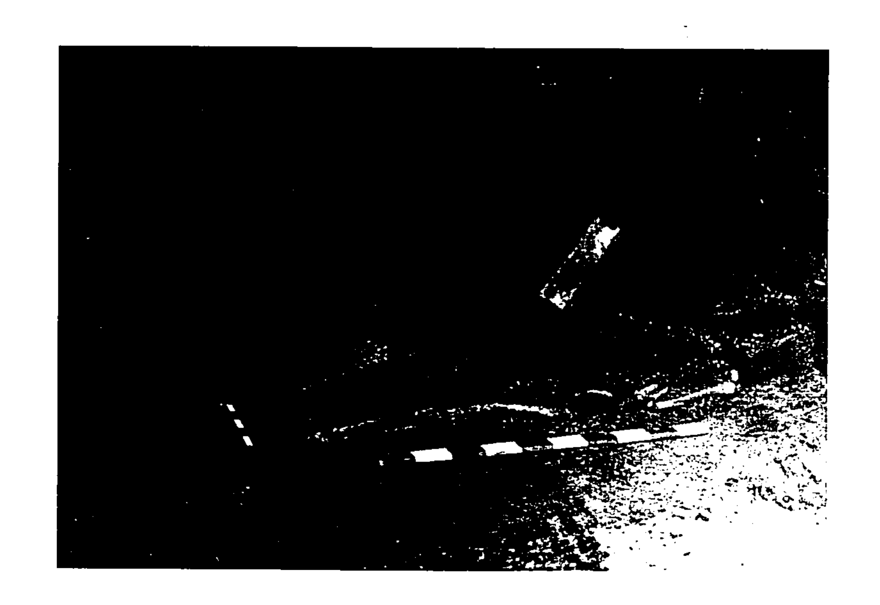


الصورة رقم -9-: تابوت فخاري، الطبقة الثانية، الحارة الثالثة، التل الشرقي، بابل

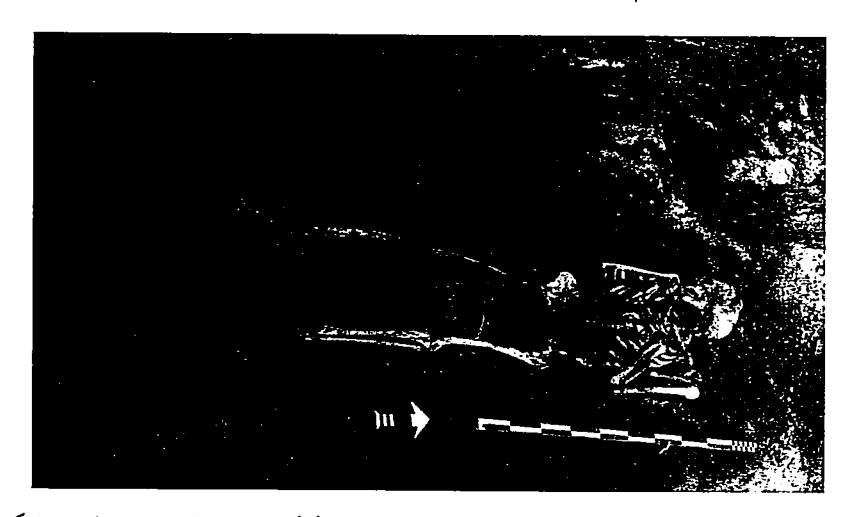
وبعد رفع الغطاء وتنظيف التابوت ظهر الهيكل العظمي الذي يعود إلى رجل ممدّد على ظهره. الرأس مائلٌ على الجانب الأيمن واليدان متقاطعتان على الصدر، الصورة رقم -10-. وإلى الطبقة نفسها يعود أيضاً قبرٌ وُجد مغطى بالآجر، الصورة رقم -11-، وبعد أن رُفع الآجر ونُظّف القبر ظهر فيه هيكلٌ عظمي ممدّد على ظهره باتجاهٍ شمالي-جنوبي والرأس مائل على الجانب الأيمن واليدان متقاطعتان على الصدر، الصورة رقم -12-. ولم يُعثر على أثاث جنائزي في هذا القبر.



الصورة رقم -10-: التابوت الفخاري الذي ظهر في الصورة رقم -9- وقد كشف عن الهيكل العظمي المدفون فيه.

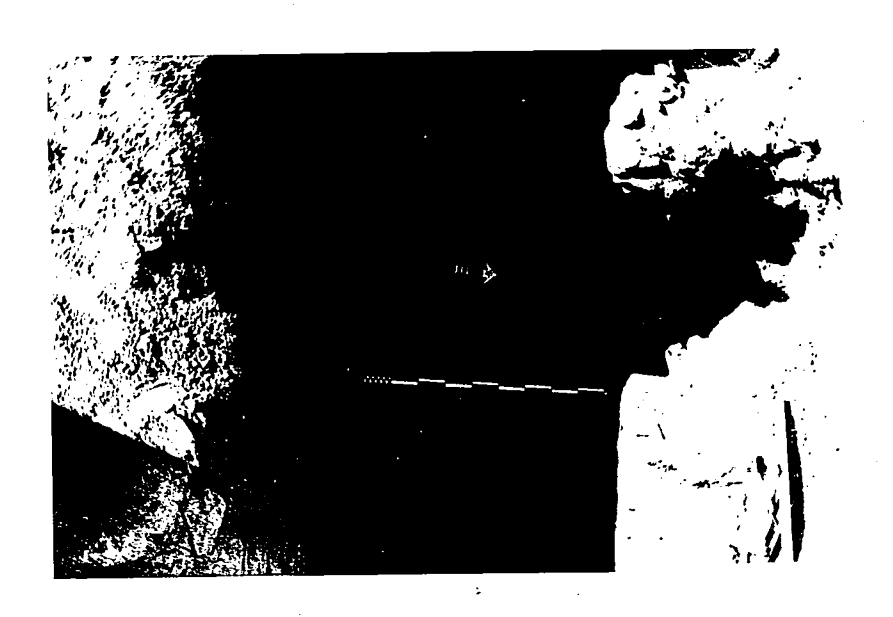


الصورة رقم -11-: قبر من الطبقة الثانية، الحارة الثالثة، التل الشرقي، بابل



الصورة رقم -12-: القبر الذي ظهر في الصورة رقم -11- بعد تنظيفه واستظهار الهيكل المدفون فيه.

وفي الطبقة الثالثة اكتُشف قبرٌ يضمّ هيكلاً عظمياً ممداً على ظهره والــــرأس مائلٌ على الجانب الأيمن واليدان موضوعتان على الصدر، الصورة رقــم -13-. ولم يُعثر على أثاث جنائزي في هذا القبر.

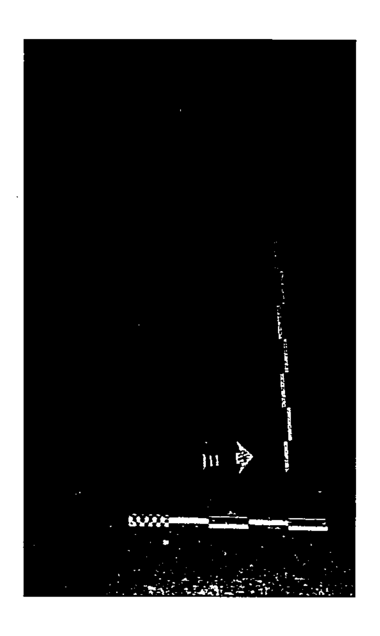


الصورة رقم -13-: قبر من الطبقة الثالثة، الحارة الثالثة، التل الشرقي، بابل.

ومن العهد السلوقي في العراق (311-126ق.م) اكتُشف في الحارة الثالثة أيضاً مدفنٌ مُشيّدٌ بالآجر. وهذا المدفن من نوع سراديب الدفن (Catacomb) يُـــترل إليه بسلّمٍ يُوصِل إلى فسحةٍ مستطيلةٍ وعلى جانبيها توجد ستة قبور، ثلاثةٌ على كـــل جانب، ويفصل ما بين قبر وآخر جدار، ولكل قبر مدخل مُغلق بـــالآجر، الصـــورة رقم -14-. وكلُّ قبرٍ مسقوفٌ بقبوٍ معقودٍ بالآجر، الصورة رقـــم -15-. لقـــد وُجد هذا المدفن مهدّماً ومفرّغاً من محتوياته. ولكن عملية التنقيب وغربلة الأتربة التي كانت تملأ المدفن أدّتا إلى عثور المؤلف على كمية من الحلي الذهبية الـــــتي شملـــت خيوطاً وقرطاً طويلاً وخاتماً كبير الحجم. وقد عُرضت هذه المواد في متحف بـــابل بعد انتهاء التنقيب.



الصورة رقم -14-: الجانب الشرقي من المدفن السلوقي في الحارة الثالثة، التل الشرقي، بابل



الصورة رقم -15-: أحد القبور المعقودة في الجانب الغربي من المدفن السلوقي في الحارة الثالثة، التل الشرقي، بابل.

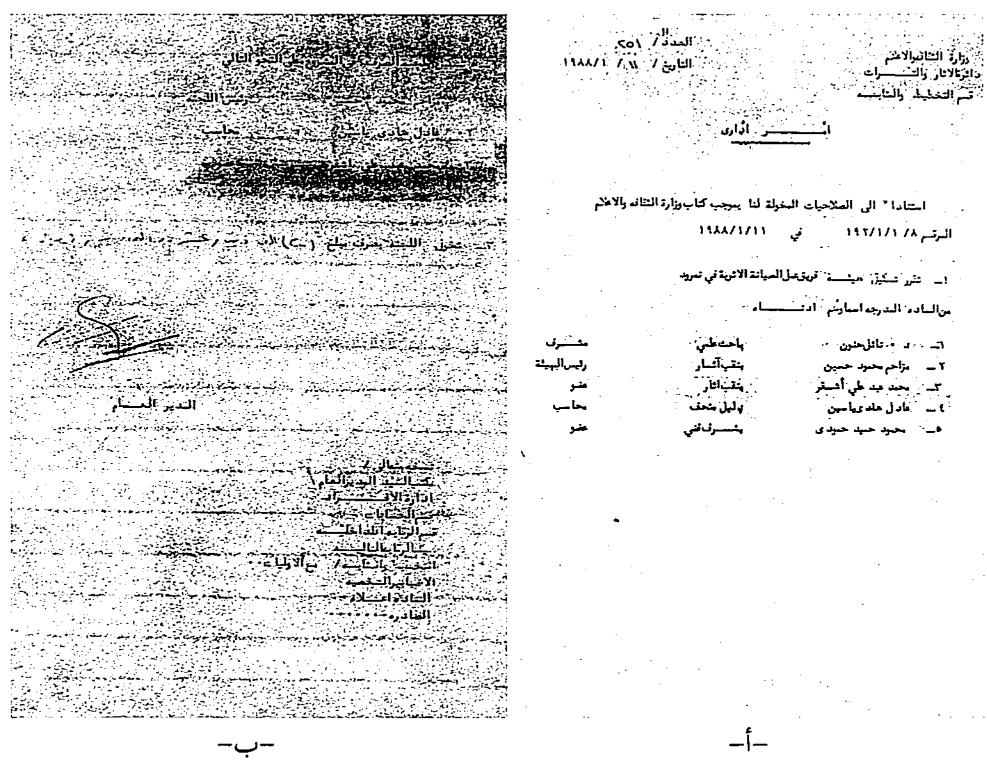
اكتشاف القبور الملكية في نمرود

من المكتشفات الآثارية التي أثارت اهتماماً واسعاً منذ عام 1988م الكنوز الأثرية التي وُجدت في نمرود، موقع العاصمة الآشورية كلخ. ورافق هذا الاهتمام ضجةٌ كبيرةٌ تركّزت على كمية القطع الذهبية النفيسة التي احتوها تلك الكنوز، وهو ما لم يُكتشف مثيل له منذ عشرينيات القرن العشرين حين اكتُشفت المقبرة الملكية في أور. وهي المقبرة التي نُقّبت بشكل دقيق وعلمي مما وفّر لنا معلومات أثرية مهمة سنأتي على عرضها في الفصل التالي من الكتاب.

لقد بدأ هذا الاكتشاف على يد المؤلف في شهر نيسان من عام 1988م حين أمكن بنجاح تحديد موضع القبور الملكية المخصصة لأعضاء الأسرة الملكية الآشورية في جناح المعيشة في قصر آشور ناصر بال الثاني (883-859ق.م) واكتُشف القبر الأول وأُنجزت عملية التنقيب فيه. وبعد أن تحقق ذلك الاكتشاف تهافت بعض المسؤولين والعاملين في دائرة الآثار والتراث العراقية آنذاك للحصول على الكسب الرخيص والشهرة الجوفاء، في وقت كان الفساد الإداري والعلمي ينخر رأس تلك الدائرة التي كانت من المفاخر العلمية، منذ تأسيسها حتى أواخر الستينيات من القرن العشرين. وفي ظل ما كان يجري بعد اكتشاف موضع القبور الملكية في نمرود وإنجاز تنقيب القبر الأول آثر مؤلف هذا الكتاب الانسحاب بهدوء من العمل في دائرة الآثار والتراث وانتقل للعمل في الجامعة والتمسك بأصول العمل الآثاري الصحيح في التنقيب عن الآثار. وكان هذا ما قام به حين نقّب على رأس الهيئة الآثارية لجامعة القادسية، موقع ونه والصدوم (مدينة مرد القديمة) ونَشر نتائج التنقيب فيها في مجلة "سومر". وبعد انسحابه من نمرود تواصل العمل في حفر قبرين آخرين في الموضع نفسه واستُخرجت بقية الكنوز الموجودة فيها بأسلوب غير علمي، منحرفٍ عن أساليب العمل الآثاري الصحيحة. وهذا ما أدى إلى غياب النشر

العلمي الصحيح، و لم تُعرف لغاية هذا الوقت القصة الحقيقية لذلـــك الاكتشـــاف وبدايته وكيفية التمكن من تحديد موضع القبور الملكية في نمرود. ولذلك نعرض هنــا قصة تَحقّق هذا الاكتشاف والمعلومات والصور الأولى عنه مع الوثائق الرسمية المتعلقة بالموضوع.

ففي بداية عام 1988م قررت دائرة الآثار والتراث العراقية تشكيل فريـــق عمل لصيانة الأبنية الأثرية الشاخصة في نمرود، موقع العاصمـــة الآشـــورية كلـــخ. وصدر الأمر الإداري ذي العدد 251 في 1988/1/11م (نسخة مصـــورة مـــن الأمر الإداري في الشكل رقم 30: أ، وب) بتشكيل فريق العمل بإشراف المؤلف.



وزارة الثقافة والاعلام
دائرة الاثار والتـــراث
قسم التخطيط والمتابعة

العدد/ ٢٥١
التاريخ/ ١١/ ١/ ١٩٨٨

امـــــر اداري

استنادا" الى الصلاحيات المخولة لنا بموجب كتاب وزارة الثقافة والاعلام المرقم ٨/ ١/١/١٩٢ في ١٩٨٨/١/١١

١ـ تقرر تشكيل هيئة فريق عمل الصيانة الاثرية في نمرود من السادة المدرجة اسماؤهم ادنـــاه

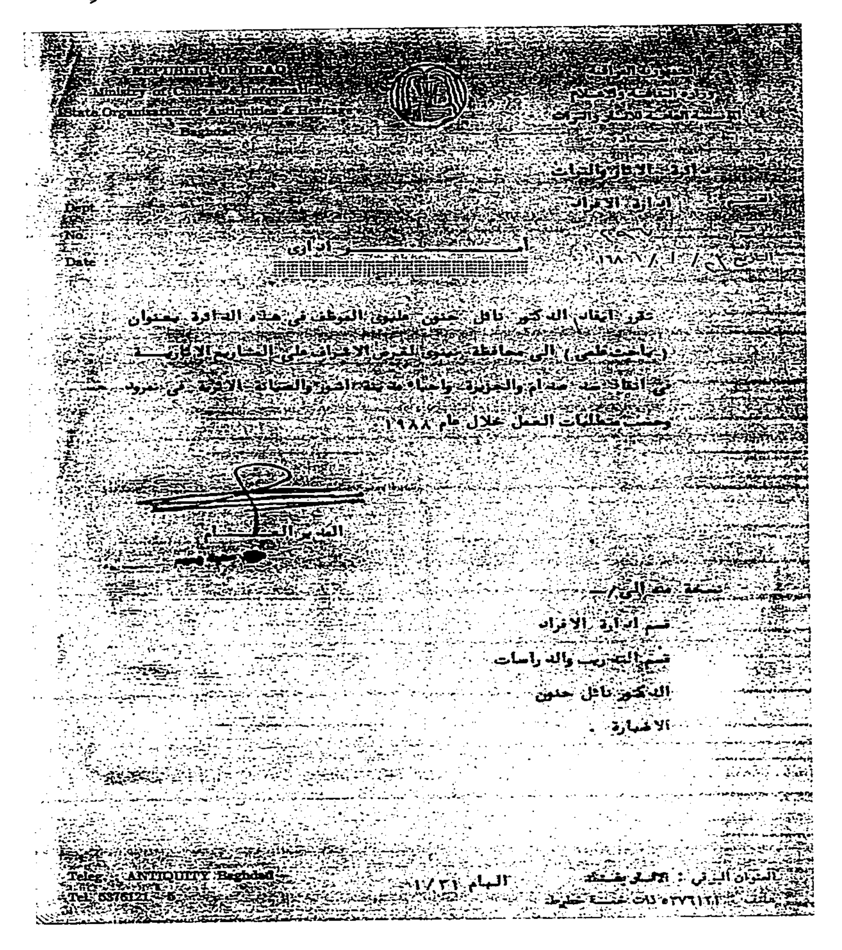
١ـ د. نائل حنون	باحث علمي	مشـــرف
٢ـ مزاحم محمود حسين	منقب آثار	رئيس الهيئة
٣ـ محمد عبد علي أشقر	منقب اثار	عضو
٤ـ عادل هادي ياسين	وكيل متحف	محاسب
٥ـ محمود حميد حمودي	مشـــرف فني	عضو

المدير العام

—ب—　　　—أ—

الشكل رقم (30): الأمر الإداري من دائرة الآثار والتراث بتشكيل فريق عمل الصيانة الأثرية في نمرود بإشراف المؤلف. وكانت هذه بداية اكتشاف كنز نمرود

وفي 1988/1/23م صدر الأمر الإداري ذي العدد 497، الشكل رقـــم (31)، بإيفاد المؤلف إلى محافظة نينوى للإشراف ميدانياً على المشاريع الآثارية هناك ومـــن ضمنها مشروع الصيانة الأثرية في نمرود، حيث كان مقرراً إجراء أعمـــال الصيانـــة الأثرية في قصر الملك آشور ناصر بال الثاني الذي أطلق عليه المنقبون اسم "القصـــر الشمالي-الغربي"، الصورة رقم-16-. وهذا القصر يحتوي على عددٍ من القاعات



REPUBLIC OF IRAQ
Ministry of Culture & Information
State Organization of Antiquities & Heritage
Baghdad

الجمهورية العراقية
وزارة الثقافة والاعلام
المؤسسة العامة للآثار والتراث

دائرة الآثار والتراث
ادارة الاعراف

Dept.
No.
Date

التاريخ ٢٣ / ١ / ١٩٨٨

امـــــــــر اداري

تقرر ايفاد الدكتور نائل حنون عليوي الموظف في هذه الدائرة بعنوان (باحث علمي) الى محافظة نينوى لغرض الاشراف على المشاريع الاثارية في اتقاذات سد صدام والجزيرة واحياء مدينة اشور والصيانة الاثرية في نمرود حسب متطلبات العمل خلال عام ١٩٨٨

المدير العام

نسخة منه الى/
قسم ادارة الاعراف
قسم التدريب والدراسات
الدكتور نائل حنون
الاضبارة .

Teleg.: ANTIQUITY Baghdad
Tel: 8376121

العنوان البرقي : الاثار بغداد
الهاتف ٨٣٧٦١٢١

الشكل رقم (31): نسخة مصوّرة عن الأمر الإداري بإيفاد المؤلف إلى محافظة نينوى للإشراف على أعمال الصيانة الأثرية في نمرود والمشاريع الآثارية الأخرى في المحافظة.

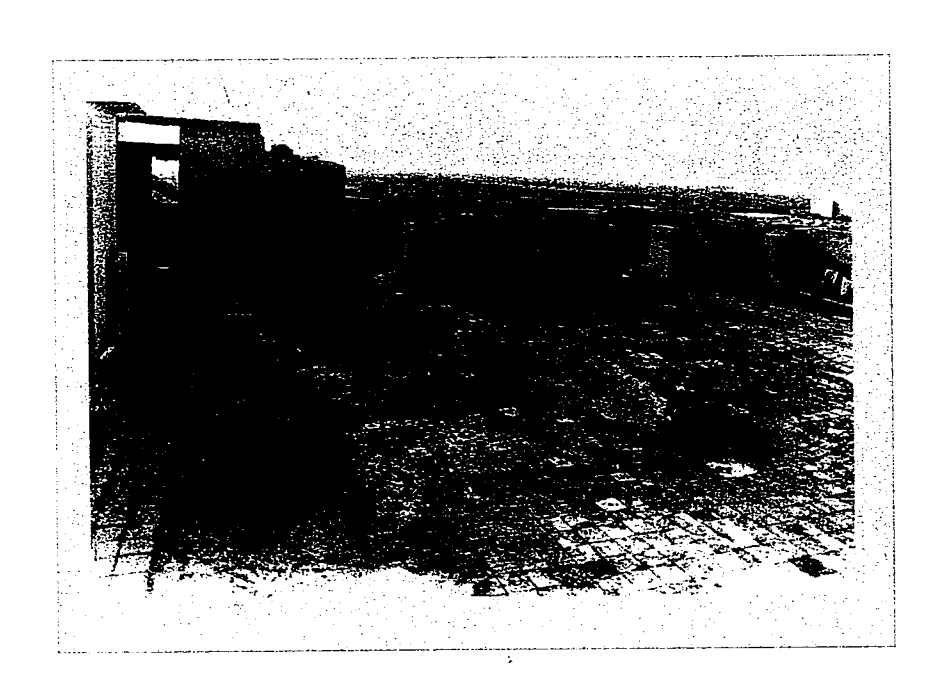


لصورة رقم -16-: منظر عام للساحة الرئيسة في قصر آشور ناصر بال الثاني (القصر الشمالي-الغربي) وتظهر في الصورة بقايا زقورة نمرود.

والساحات والغرف التي كان الملك آشور ناصر بال الثاني ومن بعده ابنه شلمنصر الثالث (858-824 ق.م) يديران شؤون الدولة منها. وفي الجهة الجنوبية من ساحة القصر الرئيسة (Y) توجد غرفٌ تؤدي إلى جناح المعيشة خلف ردهات القصر، الصورة رقم -17-.

وحين بدأت أعمال الصيانة في أجزاء القصر الرئيسية لم يكن مخططاً القيام بأي تنقيبات آثارية. ولكن المؤلف، بصفته مشرفاً على المشروع اتخذ قراراً بتهيئة ما تبقى من جدران جناح المعيشة لأعمال الصيانة المستقبلية للمحافظة على معالمه التي

استظهرت خلال التنقيبات البريطانية والعراقية السابقة. ولذلك خصص عدد لا يزيد على بضعة عمال للقيام بهذه المهمة. وكانت جدران معظم غرف ذلك الجناح



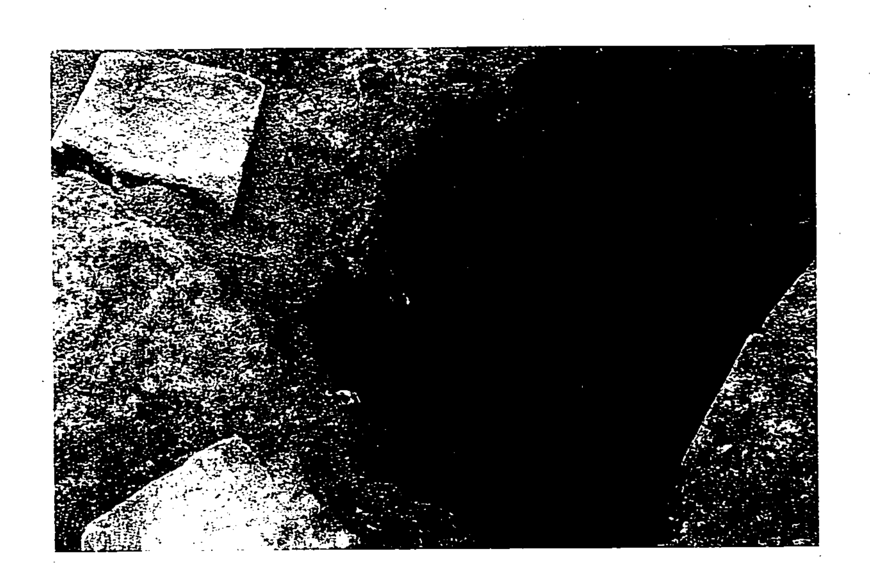
الصورة رقم -17-: القسم الجنوبي من الساحة المركزية لقصر آشور ناصر بال الثاني، وهو القسم المؤدي إلى جناح المعيشة في الجزء الخلفي.

وأرضياتها قد استظهرت سابقاً على يد المنقب البريطاني ماكس ملوان الذي عمل لعدة سنوات في الموقع منذ عام 1949م[11]، وكانت ترافقه في أثناء تلك التنقيبات زوجته الروائية المشهورة أجاثا كريستي. ويُفهم مما كتبه ماكس ملوان عن تنقيباته في جناح المعيشة أن الغرفة (MM)، بحسب التسميات التي أطلقها المنقبون على غرف القصر ومرافقه المختلفة، لم يتم استظهار أرضيتها بشكل كامل مثلما جرى في الغرف الأخرى المجاورة، ومنها الغرفة (DD) التي عثر فيها على قبرين لامرأتين

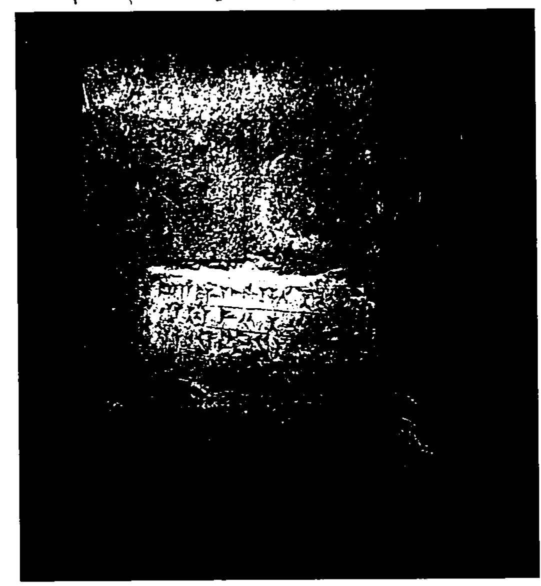
احتويا على أثاث جنائزي فخم، والغرفة (HH) التي وُجدت مُمتلئةٍ بقطعٍ من العاجيّات التي كانت تُزيّن الأثاث، والغرفة (NN) التي اكتُشفت فيها بئر عشر في قاعها على مجموعة من قطع العاج، ومن بينها القطعة التي اشتهرت باسم "موناليزا نمرود". ولذلك ارتؤي من قبل المشرف على الفريق، وهو مؤلف هذا الكتاب، أن يبدأ العمل في الغرفة (MM) ويُستكمل استظهار أرضيتها.

وفي أثناء عملية استظهار أرضية الغرفة (MM)، في يوم 1988/4/5م، ظهرت في القسم الشمالي من الغرفة، على مقربة من الزاوية الشمالية-الشرقية للغرفة، بداية سلّمٍ ضيّق من الآجرّ ينزل تحت الأرضية. وباستمرار العمل ظهر تحت أرضية الغرفة قبوٌ معقود بالآجرّ يصل ارتفاعه إلى مترٍ ونصف عن أرضيّة القبو، الصورة رقم-18-. وفي الجدار الشمالي، المقابل للسلم، وجدت آجرة تحمل نصاً مسمارياً للملك آشور ناصر بال الثاني، الصورة رقم -19-. وهذا النص يتألف من ثلاثة أسطر مدونة باللغة الأكدية-الآشورية ولكن بالعلامات المسمارية الرمزية السومرية التي ترمز إلى الكلمات الأكدية. وكان هذا نوع من التقاليد الكتابية المتّبعة في بلاد الرافدين القديمة فلا تكتب الكلمات بالمقاطع الصوتية الأكدية ولكن، بما يشبه نوعاً من الاختزال، بالعلامات التي ترمز لمرادف كل كلمة باللغة السومرية فتكون هناك علامة مسمارية واحدة لكل كلمة أكدية، مثلما هو متبع في الكتابات السومرية، ولكن قراءة تلك العلامات تكون باللغة الأكدية. وكانت كلمات هذا النص جميعها مدونة بهذه الطريقة (Ideography) باستثناء المقطع الأخير في نهاية السطر الثالث (مَ).

وفيما يأتي قراءة للعلامات الرمزية السومرية في السطور الثلاثة، ثم قراءتها باللغة الأكدية، وأخيراً ترجمتها باللغة العربية:



الصورة رقم-18-: القبو المعقود تحت أرضية الغرفة (MM) الذي ضمَّ أول قبور الأميرات الآشوريات في اكتشاف عام 1988 في نمرود.



الصورة رقم-19-: الآجرة المدونة بنص الملك الآشوري آشور ناصربال الثاني في الجدار الشمالي الداخلي للقبر الأول تحت أرضية الغرفة (MM) في نمرود.

قراءة العلامات الرمزية:

1: أي[2].گال أش.پاب.أ مان كور أش

2:توكول.ماش مان شو مان كور أش

3: أ 10.أيرن[2].تاخ[2] مان شو مان كور أش–ما

قراءة العلامات باللغة الأكدية–الآشورية:

1: أيكَل أشّور–ناصر–أپلَ شَر كِشَّةِ شَر مات أشّور

2: أپل تُكُلتِ–ننورتا شَر كِشَّةِ شَر مات أشّور

3: أپل أدد–ناراري شَر كِشَّةِ شَر مات اشّور–ما

والترجمة العربية لهذه السطور:

1: **قصر آشور ناصر بال (الثاني)، ملك العالم، ملك بلاد آشور**

2: **ابن توكلتي–ننورتا (الثاني)، ملك العالم، ملك بلاد آشور**

3: **ابن أدد–ناراري (الثاني)، ملك العالم، ملك بلاد آشور أيضاً.**

ولّما كان معروفاً أن الملك آشور ناصر بال الثاني كان مدفوناً في الأضرحة الملكية الموجودة تحت أرضية "القصر الملكي القديم" في العاصمة الآشورية القديمة آشور (قلعة الشرقاط حالياً)، وهو ما تحدثنا عنه في الفصل السابق، فإنه من المؤكد أن هذا القبر الملكي لم يكن قبر الملك نفسه وإنما لأحد أعضاء الأسرة المالكة. لقد كان القبو مُمتلئاً بالركام وبما تبقى من الأثاث الجنائزي الفخم الذي كان يملؤه. ولذلك استمرت عملية التنقيب فيه واستخراج القطع الأثرية أكثر من ثلاثة أسابيع. وقد دلت المكتشفات من هذا القبر على أن الأثاث الجنائزي اشتمل على قطع أثاث

وحلي ثمينة وملابس فخمة بقيت زينتها بعد تلاشي الأنسجة التي تكوّنها.

وبموجب المذكرة الرسمية التي بعث بها المؤلف إلى مديرية الآثار والتراث العراقية في بغداد (انظر نسختها المصورة في الشكل رقم 32: أ،ب، ج)، بتاريخ 1988/4/13م، بلغ عدد القطع الأثرية المستخرجة من هذا القبر أكثر من مئة قطعة.

حضرة السيد مدير عام دائرة الآثار والتراث المحترم

م/ المكتشفات الاثرية الجديدة في نمرود

لقد تم اكتشاف مجموعة من الحلي الذهبية في موقع النمرود (كالح) وذلك اثناء العمل في تنظيف جناح الحريم الذي يحتل الركن الجنوبي – الشرقي من القصر الشمالي – الغربي المشيد من قبل الملك الاشوري اشورناصربال الثاني (٨٨٣ – ٨٥٩ ق.م) ان اعمال التنظيفات في هذا الجزء من القصر تجري حاليا من قبل هيئة الصيانة الاثارية في نمرود تمهيدا لاعمال الصيانة، علما بانه قد سبق ان نقب من قبل بعثة التنقيب البريطانية (ماكس ملوان).

في يوم الاربعاء ١٩٨٨/٣/٢٢ تم العثور على كمية من رقائق الذهب داخل كسرة موجودة في جدران احدى غرف هذا الجناح وفي يوم ١٩٨٨/٤/٥ اكتشف وجود قبر معقود بالطابوق تحت ارضية الغرفة ٨٨ وحين حفر الجزء المتهدم من القبر اتضح انها معقودة تحت الارض لكون قبر خصص على الاغلب لدفن الملكة او احدى الاميرات. حتى الان لم يحفر سوى متر مكعب واحد تقريبا من القبر الذي يصل عمقه الى حوالي متر ونصف المتر. وفي هذا الجزء تم العثور على المواد المدرجة في القائمة المرفقة طيا. وفي الوقت الحاضر يجري العمل لتنظيف مدخل القبر تمهيدا لاستجلاء الدرجة باكملها.

ان العمل في هذا القبر (الضريح) سيستمر طوال الاسبوع القادم حيث ان عقادة الطابوق تستلزم صيانة فورية سريعة لضمان عدم سقوط السقف وفي نفس الوقت يتم استخراج المحتويات باكملها وذلك في وقت لا يتعدى يوم الخميس القادم ١٩٨٨/٤/٢١.

اننا نقترح عدم الاعلان عن هذا الاكتشاف المهم حتى نهاية الاسبوع القادم وذلك لضمان سلامة محتويات القبر ولاستكمال اكتشافها كما ان الوقت سيكون مناسبا للاعلان عنها مع بدء الاحتفالات وحتى ذلك الحين ستكون عملية التوثيق العلمية للمكتشفات بما فيها التصوير والرسوم قد تمت بهدوء.

ونرفق لكم طيا قائمة بالمكتشفات التي عثر عليها حتى هذا اليوم مع خارطة للقصر الشمالي – الغربي – وقد وضح عليها موقع القبر.

ولكم الشكر

د. نائل حنون

المشرف على هيئة الصيانة الاثارية في النمرود

١٩٨٨/٤/١٣

ح ٤/١٣

الشكل رقم (32–أ):مذكرة من المؤلف حول اكتشاف القبر الملكي في نمرود

قائمة بالمكتشفات التي عثر عليها في نمرود لغاية يوم الاثنين ١٣/٦/١٩٨٨ .

١- سلسلة ذهبية بطول ٦٢ سم .

٢- خرز ذهبية يصل عددها الى ٢٨ خرزة باحجام مختلفة تتراوح اقطارها ما بين ٣ ملم و ١٥ ملم .

٣- اربعة اقراط ذهبية يتدلى ١٢ جرس مخروطي من اثنين منها و ١١ جرس من الثالثة و ١٠ اجراس من الرابعة .

٤- دلاية ذهبية مزينة باربع وردات ويبلغ طول الدلاية ٢,٣ سم وقطرها ١٨ ملم .

٥- حلية ذهبية قد تكون سوارا " تتألف من ١١ صف من الخرز الذهبية الاسطوانية المفصصة وكل صف يحتوي على تسع خرز يبلغ طول كل صف حوالي ٣٤ ملم وعرض ٨ ملم تقريبا " .

٦- تسع خرز اسطوانية من احجار كريمة مختلفة وقد غلفت رؤوسها بالذهب .

٧- ثمانية عشر خرزة من احجار كريمة مختلفة .

٨- قطعة برونزية شبه اسطوانية غلف طرفيها بالذهب ، يبلغ طولها حوالي ٣٧ ملم .

٩- خرزة اسطوانية من حجر كريم غلف طرفيها بالذهب يبلغ طولها ٣٢ ملم وبقطر ٧ ملم .

١٠- دلاية بشكل دمية من الحجر الابيض الشفاف تمثل كلبا صغيرا .

١١- دلاية بشكل دمية من الحجر الابيض الشفاف تمثل قرد .

١٢- ربانة ذهبية بقطر ٥ سم ويبلغ طولها (مع مكان الزهرة) ٦ سم .

١٣- حلية ذهبية بشكل سلسلة تتفرع منها سلاسل صغيرة ينتهي كل منها بجرس مخروطي ذهبي عدد الاجراس ١٧ اضافة الى ثلاثة اجراس اخرى وجدت لاحقا " وهي تعود لنفس الحلية .

١٤- سبع كسرات ذهبية باقطار تتراوح ما بين ٥ ملم تقريبا " الى ١٥ ملم تقريبا " .

١٥- ربانتان ذهبيتان قطريهما ١ سم و ١٢ ملم .

١٦- دبوس زينة ذهبي يتألف من تمثالين صغيرين لعقرب ولامرأة يكونان زاوية قائمة طول ذراعيها ٢٤ ملم و ٢٧ ملم مع دبوس يكون شكل مثلث معهما وطول الدبوس ٣٩ ملم مع طرف حلزوني له .

١٧- مواد برونزية متعددة ، من بينها قطع يحتمل انها تعود الى تمثال لحيوان وهي تحت المعالجة حاليا " .

١٨- اربع خرزات من الاحجار الكريمة .

١٩- دمية صغيرة لرجل وامرأة .

٤/١٣ ج

(ب)

أما المكتشفات ليوم الاربعاء ١٩٨٨/٤/١٢ فقد تضمنت :ـ

١ـ دلاية تمثل لورد من الحجر مع حزام وطوق رقيق من الذهب .

٢ـ سحنة عليها من الخرز الذهبية مشابهة لما هو موصوف في الفقرة ٤ من القائمة السابقة .

٣ـ قرط ذهبي يحتوي بودقتين ذهبيتين ايضاً .

٤ـ ١٤ خرزة ذهبية كروية باستثناء واحدة اسطوانية .

٥ـ مجموعة من الخرز الذهبية وخرز من الاحجار الكريمة .

٦ـ مجموعة من الخرز المصنوعة من الاحجار الكريمة وقد غلفت اطرافها بالذهب .

٧ـ رقائق ذهبية تمثل اجزاء من حلية ذهبية .

٨ـ قطعتان مزخرفتان من الاحجار الكريمة .

٩ـ دلاية أخرى من الحجر الشفاف تمثل قرداً .

(ج)

ملحق المذكرة (أ): قائمة بالقطع الأثرية المكتشفة بعد مرور تسعة أيام على اكتشاف القبر الملكي في نمرود

ولم يكتمل التنقيب في القبر حتى يوم 1988/4/30م حين بعث المؤلف بمذكرة رسمية أخرى إلى مديرية الآثار والتراث (انظر نسختها المصورة في الشكل رقم 33)



الجمهورية العراقية
وزارة الثقافة والاعلام

القسم: دائرة التنقيبات
العدد:
التاريخ: ١٩٨٨/٦/٢٠

ملاحظة ا...

الى / دائـــرة الاثـــار والتـــراث

م / المكتشفات الجديدة في نمـرود
xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

نود اعلامكم بأنه قد تم تنقيب الضريح الملكي الذى اكتشف مؤخـــرا" في جناح العتيشة في قصر اشور ناصر بال الثاني (الغرفة ٨٨) وقد استخرجت محتويات القبر من حلي ذهبية واحجار كريمة ومزروعـــات كما تم استظهار التابوت الفخاري الذى ضم الهيكل العظمي والذى نرجـــح بأنه يعود الى شخصية ملكية ربما تكون الملكة نفسها (زوجة اشور ناصر بـــال الثاني) •

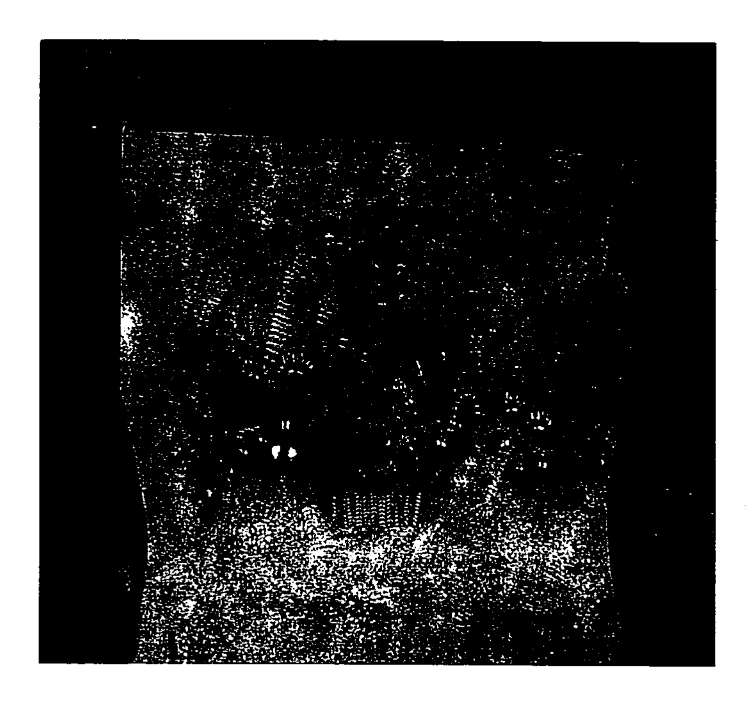
وعلى ضوء ذلك نقترح الاعلان عن هذا الاكتشاف والبدء بالاعلام عنه / ولكـم الشـــــكر •

د• [illegible]
المشرف على المشاريع الاثارية

٤/٢٨ صهباء

الشكل رقم (33): المذكرة الرسمية التي تعلن الانتهاء من التنقيب في القبو الملكي الأول واستخراج القطع الأثرية منه.

يُبلّغ فيها بإنجاز عملية التنقيب في القبر واستخراج محتوياته من حلي ذهبية، الصـــورة رقم -20-، وأحجار كريمة ومواد مختلفة وكذلك اكتشاف التـــابوت الفخـــاري الذي وُجد منسحقاً تحت الرّكام الثقيل المتكدّس في داخل القبر. وكـــان في داخـــل التابوت بقايا هيكل عظمي بحالة سيئة. ومن خلال طبيعة الأثاث الجنائزي والحلــيّ الكثيرة التي تضمّنها أمكن التوصل إلى أن الهيكل المدفون في هذا القـــبر يعــود إلى إحدى الأميرات من الأسرة المالكة الآشورية.



الصورة رقم -20-: مجموعة من الحلي الذهبية التي كانت جزءاً من الكتر المكتشف في القبر الملكي الأول في نمرود.

وفيما يأتي قائمة بعدد المكتشفات المهمة التي كانت ضمن الأثاث الجنائزي في هذا القبر بحسب المذكرة المؤرخة في 1988/4/13:

1- سلسلة ذهبية طولها 92سم.

2- أكثر من ثلاثين خرزة ذهبية تتراوح أقطارها ما بين 3 و15 ملم.

3- أربعة أقراط ذهبية يتدلى منها 45 جرس ذهبي مخروطي الشكل.

4- دلاية ذهبية مزينة بأربع وردات ذهبية، يبلغ طول الدلاية 35 ملم وقطرها 18 ملم.

5- جزء من حزام ذهبي يتكون من خرز اسطوانية ذهبية عثر على 17 صف منها، وعرض هذا الحزام 34 ملم.

6- تسع خرز اسطوانية من الأحجار الكريمة ورؤوسها مغلفة بالذهب.

7- اثنتان وعشرون خرزة من أحجار كريمة مختلفة.

8- خرزة برونزية شبه اسطوانية غُلّفَ طرفاها بالذهب، ويبلغ طولها 27 ملم.

9- مجموعة خرز اسطوانية من الأحجار الكريمة، وقد غُلّفَت أطرافها بالذهب.

10-دلاّية من الحجر الأبيض الشفاف بشكل كلب.

11-دلاّيتان من الحجر الأبيض الشفاف بشكل قرد.

12-ثلاث رمانات ذهبية بأقطار تبلغ 50، 12، و10 ملم.

13-حليّة ذهبية بشكل سلسلة تتفرع منها سلاسل صغيرة تنتهي كل واحدة منها بجرس ذهبي مخروطي الشكل. وعدد الأجراس بلغ عشرين جرساً.

14-إحدى وعشرون كرة ذهبية بأقطار تتراوح ما بين 5 و15 ملم.

15-دبوس زينة ذهبي يتألف من تمثالين صغيرين لصقر وامرأة يكوّنان زاوية قائمة طول ذراعيها 24 و27 ملم ومعهما إبرة ذهبية أيضاً طولها 29 ملم وتأخذ شكلاً حلزونياً في أحد طرفيها.

16-قطع برونزية كانت تغلف أجزاءً من قطع الأثاث الخشبي.

17-دمية حجرية صغيرة لامرأة ورجل.

18-دلاّية حجرية بشكل قرد وعليه حزام وطوق رقبة ذهبيان.

19-مجموعة رقائق ذهبية متبقية من حلية.

20-قرط ذهبي ينتهي بوردتين من الذهب.

21-قطعتان مزخرفتان من الأحجار الكريمة.

22-جرة كبيرة من المرمر الوردي اللون.

هوامش الفصل الثاني من الجزء الأول

(1) حول التنقيب في القبور واستظهار الهياكل العظمية والخطوات التي تُتخذ لمعالجتها ميدانياً أو لنقلها إلى المختبرات، يمكن الاطلاع على المرجع الآتي:

Bass, William M., **Human Osteology**, 2nd ed. (1971), pp.258-67; Appendix 3.

(2) انظر كتاب المؤلف عن التوثيق الآثاري:

حنون، نائل، **نظام التوثيق الآثاري**، (دار الحكمة للطباعة والنشر، جامعة بغداد، 1992م).

(3) حنون، نائل، **نظام التوثيق الآثاري**، ص ص 163-169.

(4) Bass, William M., **Human Osteology**, p 259.

(5) انظر: حنون، نائل، **نظام التوثيق الآثاري**، ص ص 175-181.

(6) انظر المصدر نفسه في الهامش السابق، ص ص 183-221.

(7) Meindl, Richard S. and C.
closure: A revised method for the determination of skeletal age at
American Journal of physical Anthropology, 68 (1985), pp.57-66.

(8) Ibid., p. 60; Fig.1.

(9) Jepson, Maud, **Anatomical Atlas**, (London, 1970), p.1.

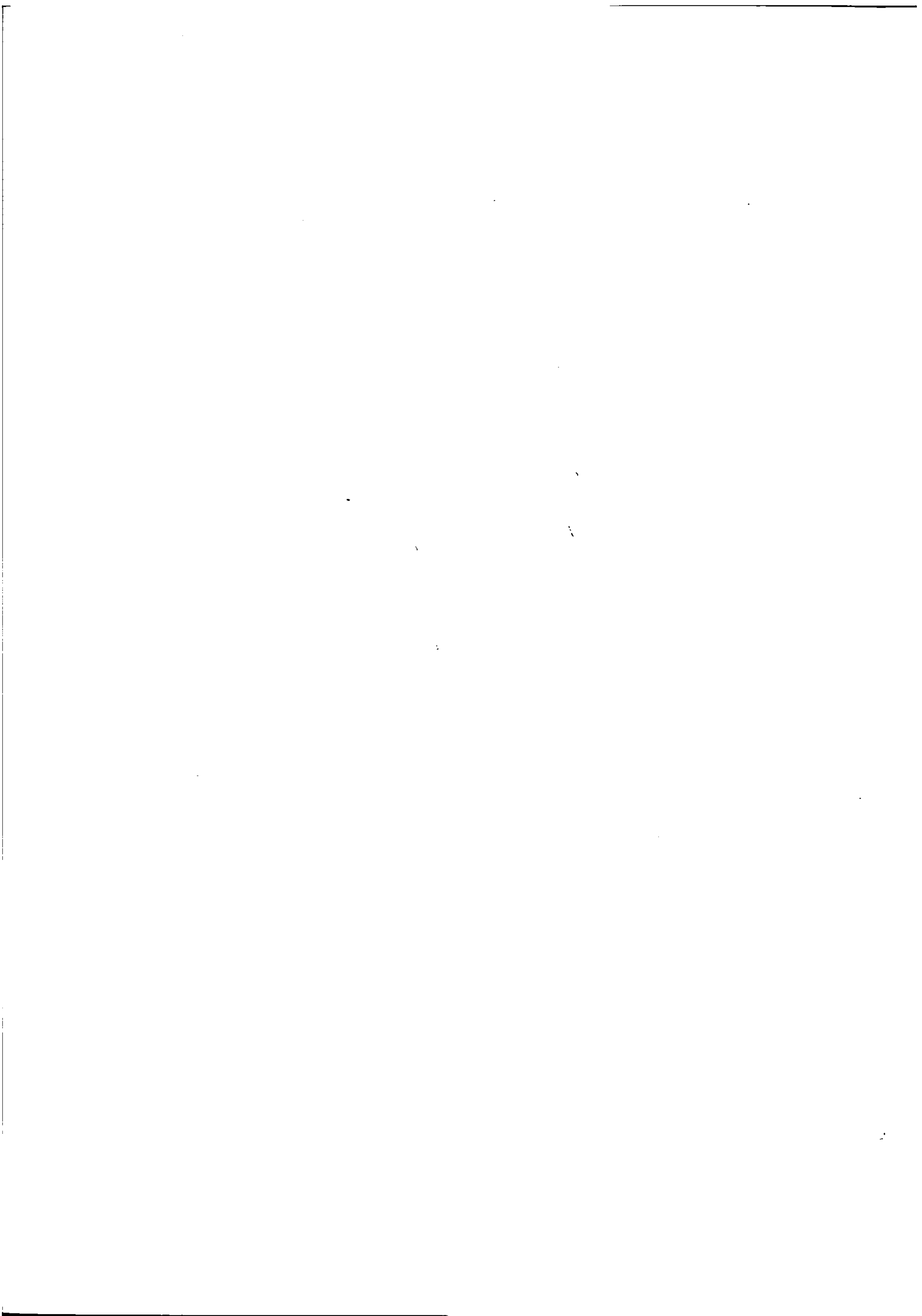
(10) عن نتائج التنقيبات الآثارية في تلّي السيب وحداد، راجع أعمال المؤلف المنشورة الآتية:

- حنون، نائل، "تل السيب (Himrin Basin)"، في **سومر** 35 (1979)، ص ص 433-439.
- حنون، نائل، "تلول بردان، السيب وحداد"، في **سومر** 40 (1980)، ص ص 65-71.

avations in the Hirmin Basin: Tell al
Bulletin, the Society for Mesopotamian Studies 2 (1982), pp. 5-6 with 4 plates.

(11) من أهم ما كتبه ماكس ملوان عن تنقيباته في نمرود المرجع الآتي:

Mallowan, M. E. L., **Nimrud and its Remains**, (London,1966).



الجزء الأول-الفصل الثالث

الموت في المراسم والشعائر والمراثي

لم تشهد بلاد الرافدين القديمة مراسم أو شعائر لدفن الأموات مثل تلك التي شهدها حضارة وادي النيل القديمة من حيث جسامتها وأهميتها. فهذه المراسم والشعائر لم تتعد الإطار التقليدي العام للديانة القديمة في بلاد الرافدين[1]. ولكن هذا لا يعني عدم وجود أهمية خاصة لأساليب الدفن والشعائر الجنائزية في العقائد الدينية والأعراف الاجتماعية لحضارة بلاد الرافدين القديمة، فلقد اعتبرها السكان القدماء جزءاً مهماً من تقاليدهم وممارساتهم الدينية وعدّوها خاصيّة حضارية تميّز القوم المتحضّرين عن غير المتحضّرين. ولعلّ أبلغ دلالة على ذلك ما يَرِدُ في أحد النصوص المسمارية السومرية عن البدو من الأموريين، إذ يَقرن النص بداوتهم بعيشهم في الخيام وعدم امتلاك أفرادهم للبيوت طيلة حياتهم وأكلهم للحم نيئاً وعدم توفر الفرصة لأحدهم لكي يحظى بدفن لائق[2].

وقبل أن نعرض، من خلال مادة هذا الفصل، المراسم والشعائر الجنائزية التي مورست في حضارة بلاد الرافدين القديمة، وهي التي أشرنا إلى اتساقها مع الإطار العام لتلك الحضارة، لابد لنا من ذكر المثال المتميز الفريد الذي كشفت عنه التنقيبات الآثارية في موقع مدينة أور القديمة، أي ما عرف باسم "المقبرة الملكية" الشهيرة في أور. فهذه المقبرة اشتملت على أضرحة شهدت مراسم جنائزية ضخمة وخطيرة وتبدو مختلفة عما مورس في مدافن بلاد الرافدين القديمة الأخرى. ومن الواضح أن مراسم الدفن التي مورست في "المقبرة الملكية" في أور في الألف الثالث قبل الميلاد، ومن ضمنها التضحية البشرية، لم تتكرر في جميع العصور التاريخية اللاحقة. ولذلك فإننا نبتدئ هذا الفصل بدراسة موضوع هذه المقبرة لتوضيح المراسم الجنائزية التي أنجزت فيها محاولين تقديم التفسير المقبول لطبيعة تلك المراسم.

"المقبرة الملكية" في أور

تكررت الإشارة في الفصل الأول من هذا الكتاب إلى القبور المكتشفة في أور من عصور مختلفة بدءاً من دور العبيد وامتداداً إلى عصر فجر السلالات والعصر الأكدي وعصر سلالة أور الثالثة. ولكن ما يعنينا في هذا الموضع من البحث هو "المقبرة الملكية" التي كشفت عنها تنقيبات ليونارد وولي Leonard Woolley في أواخر العشرينيات وأوائل الثلاثينيات من القرن العشرين. وكان وولي قد حدد تاريخ هذه المقبرة، حين اكتشافها، في ما بين 3500 و3200 قبل الميلاد[3] وذلك استناداً للتّخمينات القديمة لأدوار حضارة بلاد الرافدين. أما في الوقت الحاضر فإن التاريخ الذي يُقدَّر للمقبرة الملكية هو في حدود القرنين السادس والعشرين والخامس والعشرين قبل الميلاد (2600-2400ق.م) وذلك في عصر فجر السلالات الثالث، وقد انتهى استعمالها قبل قيام سلالة أور الأولى التي أسسها الملك ميس-آنيبدا، وسنعود لمناقشة ذلك لاحقاً. لقد أطلق المنقب اسم "المقبرة الملكية" على هذه المقبرة على افتراض أنَّ ما لا يقل عن ستة عشر ضريحاً فيها كانت مخصصةً لدفن أشخاص لهم صفة الملوك، على الرغم من أنه لم يقترن اسم أي ملك ممن ذكروا في "أثبات الملوك السومرية" بهذه الأضرحة. و"أثبات الملوك السومرية" هي قوائم أسماء الملوك القدامى المدونة باللغة السومرية.

ومن أجل التعرف على طبيعة المراسم الجنائزية التي مورست في أثناء الدفن في المقبرة الملكية وتقديم التفسير المقبول لها، يجدر بنا تقديم عرض ملخص لأهم القبور المكتشفة في هذه المقبرة، وهي ستة قبور نشير إليها هنا بالأرقام التي وضعت لها من قبل المنقب حين اكتشافها:

أولاً-القبر رقم (1054): قبر مسقف بقبو معقود من الحجر عُثر فيه على كمية من الرماد وقدور فخارية مهشمة وعظام حيوانات مختلفة. وأمام الباب

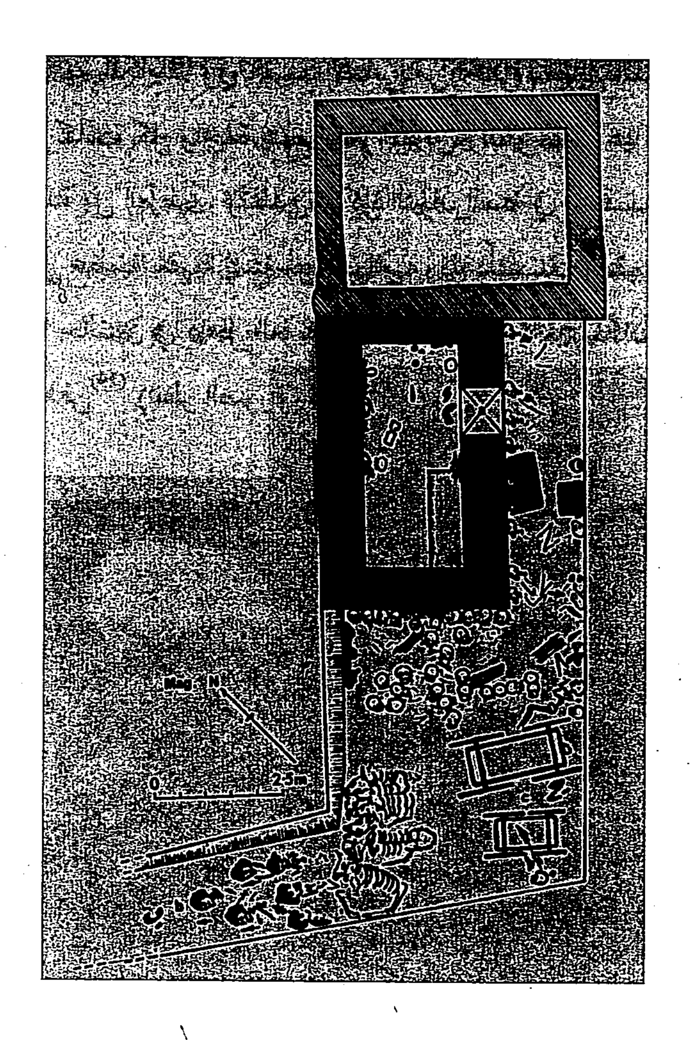
الحجري للضريح وُجدت هياكل ثلاثة خراف. عُثر في داخل الضريح على خمسة هياكل عظمية بشرية أربعةٌ منها لرجال يبدو أنهم من الخدم، بدليل عدم وجود شيء ثمين بقربهم، والخامس لامرأةٍ يُرجّح أنها ملكة أو أميرة، ذلك أنه وُجد على جمجمتها غطاءُ رأسٍ ذهبيٍ وعلى صدرها دبوسٌ ذهبي من الواضح أنه استُخدم لتثبيت ملابسها، وبالقرب من عظام اليد وجد قدح ذهبي مزين بحزوز. وعُثر بجانب هذا الهيكل على ختم أسطواني من الذهب(4) يحمل اسم "ميس-كلام-دك" مقترناً بلقب "لو?ال"، أي الملك(5). ومما يجدر ذكره عن هذا القبر أنه عُثر فيه على منفذٍ خاص تُسكب منه السوائل إلى القبر في أثناء إقامة الشعائر الجنائزية(6)، وهذا ما يذكّرنا بالفتحة الموجودة في القبر الذي اكتشفه المؤلف في تل السيب (موقع مدينة ميتورناة القديمة) في منطقة ديالى ويعود تاريخه إلى العصر البابلي القديم، وقد سبق الحديث عنه في الفصل السابق من الكتاب.

ثانياً-القبر رقم (775): يعود إلى الملك "ميس-كلام-دك" الذي نُقش اسمه على قدحين ومسرجة من الذهب عثر عليها في داخل القبر. ولهذا القبر أرضية مستوية وُضع عليها تابوتٌ خشبي ضمَّ جثمان الملك الذي مُدّد على جنبه الأيمن وهو يرتدي خوذة من الذهب المطروق صُوّرَ عليها شكل لمة الشعر بهيئة حزوز وصوّرت العصابة التي يُلف بها الشعر بهيئة شريط بارز على الخوذة تتدلى عقدته من الخلف على العنق، وصُورت الأذنان بشكل دائري. وقد وُجدت آثار حزامٍ فضيٍّ عريض حول الخصر عُلّق فيه خنجرٌ ذهبي ومشحذٌ من اللازورد مثبت على حلقة ذهبية. وأمام الخصر تكدست العشرات من الخرز اللازوردية والذهبية. ووجد بين اليدين قدحان ذهبيان ثقيلان. وعُثر بالقرب من المرفق على مسرجةٍ ذهبية لها شكل الصّدَفة. وكما سبقت الإشارة نُقش اسم ميس-كلام-دك على هذين القدحين والمسرجة بدون لقب "ملك". وعثر كذلك على فأسين من الألكتروم (مزيج الذهب

والفضة) بالقرب من الكتف الأيسر للملك فضلاً على كميات مختلفة من الحليّ والأدوات الشخصية تشتمل على عقود من الخرز الذهبية واللازوردية وأقراط وأساور من الذهب والفضة وتعويذتين، إحداهما بهيئة ثورٍ من الذهب والأخرى من اللازورد بهيئة عجلٍ جالسٍ على الأرض، وكذلك مسرجتين فضيّتين لهما أشكال صدفية ودبوس ذهبي له رأس من اللازورد. أما خارج التابوت فقد وجدت مواد أخرى من أهمها قدح ذهبي محزز وحوالي خمسين كوباً وقدحاً من الفضة والنحاس فضلاً على عدد كبير من الأسلحة التي تشمل رماحاً لها رؤوس من الذهب وخناجر لها مقابض مزينة بالذهب والفضة، ورماحاً نحاسية وفؤوساً متنوعة ومجموعة من الحراب لها رؤوس صوانية مثلثة[7]. ومّما يجدر ذكره أخيراً عن هذا القبر أنه لم يُعثر فيه على أي دليل على التضحية البشرية، إذ لم يدفن فيه سوى الملك[8].

ثالثاً-القبر رقم (1050): يعود إلى "آ-كلام-دك" بن "ميس-كلام-دك". ضمَّ القبر أربعين هيكلاً عظمياً بشرياً يُفترض أنها تعود إلى أعضاء الحاشية. وقد احتوى هذا القبر على أثاث جنائزي نفيس، ووُجد فيه ختمٌ أسطوانيٌ من حجر اللازورد نُقش عليه اسم "آ-كلام-دك" ولقبه بصفته ملكاً على أور[9].

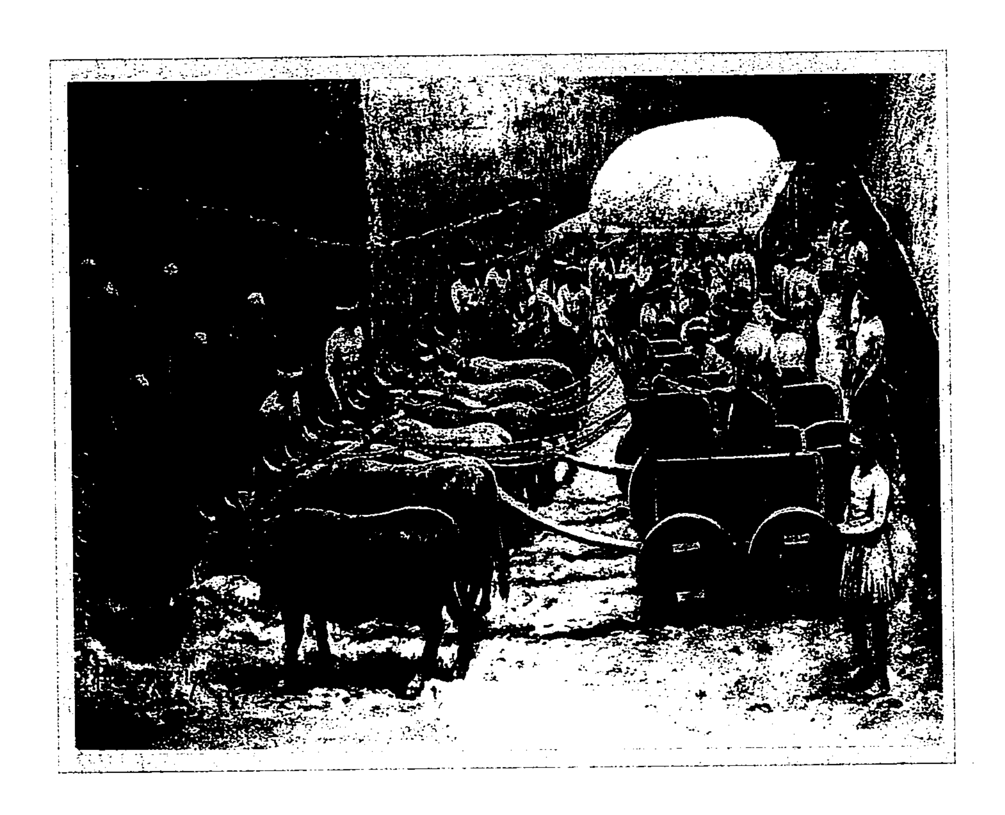
رابعاً-القبر رقم (789): نسب ليونارد وولي هذا القبر إلى الملك "آ-بار-?ي"[10]. وهذا القبر يتكون من قسمين (انظر الشكل رقم 34)، القسم الأول هو غرفة الضريح ذات السقف المعقود في الزاوية الشمالية من القبر، وكانت مخصصة لدفن الملك وقد عُثر فيها على بقايا متفرقة لهياكل عظمية تعود لثلاثة أشخاص[11]. ويبدو أن هذه الغرفة تعرضت للنهب في العصور القديمة عن طريق النزول من سقفها وكان موضع جثة الملك فيها خالياً وكذلك معظم الأثاث الجنائزي الثمين الذي كان في داخلها. أما القسم الثاني فيشمل المساحة الموجودة في خارج غرفة الضريح وتتصل بمنحدر المدخل الكائن في الزاوية الغربية منها. وهذا القسم له شكل



الشكل رقم -34-: رسم تخطيطي للقبر رقم (789) في "المقبرة الملكية" في أور.

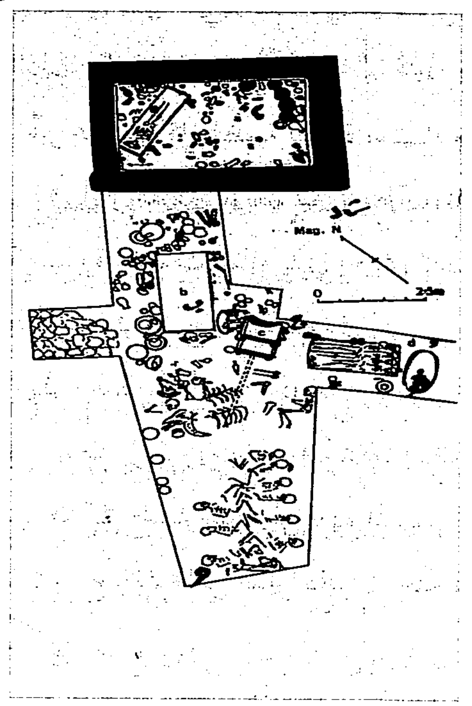
حفرة كبيرة ردمت بالتراب، وقد عُثر فيها على بقايا (62) هيكـــلاً عظميـــاً[12] من بينها هياكل ستة جنود وتسع نساء[13]. وكانت هياكل النساء بموازاة الجدار الأمامي لغرفة الضريح حيث يُوجد مدخل الغرفة. وأمام الغرفة تكدّست هياكل الجنود، مـــع أسلحتهم ورماحهم الطويلة، والموسيقيين مع آلاتهم الموسيقية، وقد دُفـــن الجميـــع

بملابسهم وزينتهم الكاملة. وفي القسم الأمامي من الحفرة، مقابل المدخل عُثر على حطام عربتين كانت كل واحدة منهما تُجرّ بثلاثة ثيران وجدت هياكلها العظمية أمام كل واحدة من العربتين. وتتقدم هياكل الثيران الستة في المنحدر المفضي إلى الحفرة، هياكل عظمية بشرية لستة من الحراس. وقد دلّت التنقيبات على أن الحوذيّين كانا جالسين في داخل العربتين وأن السائسين كانا يمسكان بأزمّة الحيونات الستة لحظة الدفن[14] (انظر الصورة رقم -21-).



الصورة رقم -21-: صورة للوحة زيتية قام برسمها الفنان أ.فورستير A.Forestier عام 1928م وفيها مشهد متخيل للقبر رقم (789) في اللحظات الأخيرة قبل ردم حفرة القبر استناداً لما كشفت عنه التنقيبات الأثرية في هذا القبر.

خامساً-القبر رقم (800): كان هذا القبر مجاوراً للقبر رقم (789) ويشابهه في مخططه العام، إذ يتألف أيضاً من غرفة الضريح في طرف حفرة الدفن الكبيرة التي ضمت الضحايا البشرية. خُصص هذا القبر لدفن الملكة "بو-آبي" (وكان اسمها يُقرأ سابقاً بصيغة شبعاد)، وقد عُثر على هيكلها العظمي في غرفة الضريح (انظر الشكل رقم-35-) ممدداً على بقايا محفة خشبية وبيدها قدح ذهبي. وكان



الشكل رقم -35-: رسم تخطيطي للقبر رقم (800) في "المقبرة الملكية" في أور

الجزء الأعلى من هيكل الملكة مغطى بأكداس من خرز الذهب والفضة واللازورد والأحجار الكريمة والعقيق التي كانت منتظمة في خيوط طويلة معلّقة من الياقة بشكل عباءة تصل إلى الخصر وتنتهي بشريط عريض من الخرز الأنبوبية اللازوردية والذهبية. وعُثر بالقرب من الذراع اليمنى على ثلاثة دبابيس ذهبية طويلة تنتهي

برؤوس لازوردية وثلاثة تعاويذ لكل واحدة منها شكل السمكة وقد صُنعت اثنتــان منها من الذهب والثالثة من اللازورد فضلاً على تعويذة أو حليّة ذهبية أخرى بشكل ظبيتين جالستين[15]. وقد بلغ مجموع القطع التي تألفت منها التجهيزات الجنائزيــة في غرفة الضريح فقط (267) قطعة. وكذلك ضمت غرفة الضريح ثلاثة هياكل عظميــة بشرية أخرى مُدد أحدها عند رأس المحفة الخشبية التي حملت جثة الملكة، والثاني عنـد الطرف الآخر من المحفة، والهيكل الثالث على مقربة منها[16].

وفي الحفرة الخارجية للقبر عُثر على هياكل عظمية لعشرة نســاء مرتبــةً في صفّين عند الطرف الجنوبي-الغربي، وفي آخر الصفّين توجد قيثارة مطعّمة بالأصداف ومزيّنة برأس ثور من اللازورد والذهب وقد امتدت عظام يدي إحدى النساء مـــن خلال حطام القيثارة[17]. وفي وسط الحفرة توجد بقايا صنــدوق كبــير يبــدو أن محتوياته سُرقت في وقت قريب من وقت الدفن أو أنه دُفن فارغاً. وبالقرب من هــذا الصندوق يُوجد حُطام عربةٍ كانت مربوطةٍ إلى ثورين وُجد هيكلاهما العظميــان في موضعهما. وإلى جانب العربة صُفّت هياكل خمسة جنود من جهة الممــر المنحــدر الذي كان يؤدي إلى الحفرة. وكان مجموع الأشخاص الذين دُفنوا في هذا القبر، مــن الوصيفات والأتباع، (25) شخصاً[18].

سادساً-القبر رقم (1237): احتوى هذا القبر، الذي لم يُعرف اسم صاحبه، على أكبر عدد من الهياكل العظمية البشرية بالمقارنة مع القبور الأخرى، فقد عُثر فيـه على بقايا (74) هيكلاً عظمياً منها (68) هيكلاً لنساء[19]. ومن بين الهياكل العظمية توجد ستة هياكل لجنود كانوا متكئين على الجدار وهم يحملون السكاكين والفؤوس وقد وضع أمامهم قِدرٌ نحاسيٌ كبير. وهناك أربعة هياكل عظمية لنساء وضعت أمــام كلٍ منهنّ قيثارة. ويلاحظ أن مجموعةً كبيرةً من الحليّ كانت مع النسوة المدفونــات في هذا القبر، ومن الواضح أن تلك الحليّ كانت تزين الثياب البهيّة التي كنَّ يرتدينها

لحظة الدفن. وكانت جدران القبر مغلّفة من الداخل بالملاط، وبعض أجزائها غُلّفت بالحُصُر[20].

وبعد أن اطّلعنا، من خلال ما تقدم، على الصورة التي بدت عليها أهمّ القبور في "المقبرة الملكية" نأتي هنا على محاولة تحديد تاريخ هذه المقبرة وتفسير طبيعة المراسم والشعائر التي تَمَّت فيها عند الدفن وصلة ذلك بالعقائد الدينية الخاصة بالموت والحياة الأخرى في حضارة بلاد الرافدين القديمة.

تاريخ "المقبرة الملكية" وتفسير مراسمها

لقد واجهت محاولة تحديد تاريخ "المقبرة الملكية" في أور صعوبة تتمثل في أن أسماء الشخصيات الملكية التي دُفنت في أضرحتها، وعُرفت أسماؤها، لم ترد في أثبات الملوك السومرية التي تَضمّنت أسماء الملوك والأمراء في جنوب بلاد الرافدين خلال الألف الثالث قبل الميلاد. ولكن ليونارد وولي، مُكتشف "المقبرة الملكية"، ذكر أنه اكتشف عدة طبعات لأختام تحمل اسم "ميس-آنيبدا" في الأنقاض المتراكمة فوق "المقبرة الملكية" في أور[21]. وبحسب أثبات الملوك السومرية فإن "ميس-آنيبدا" هو مؤسس سلالة أور الأولى، ومن المحتمل أن يكون قد حكم في مدينة أور في حوالي 2600 ق.م وأنه عاصر في أواخر أيامه جلجامش، ملك أوروك. فإذا كان الملوك المدفونون في المقبرة الملكية سبقوا "ميس-آنيبدا"، وفقاً لما ذهب إليه وولي، فإنهم يكونون قد دُفنوا قبل عام 2600 ق.م. أما إذا أخذنا الدليل الأثري الذي تنم عنه صناعة المواد المكتشفة في "المقبرة الملكية" فإن تاريخ الدفن قد يتقدم إلى ما بعد عام 2500 ق.م، وعلى وجه التحديد إلى الدور الثالث من عصر فجر السلالات[22]. وبشكلٍ عام فإنَّ القرن السادس والعشرين قبل الميلاد هو التاريخ الأكثر احتمالاً للمقبرة الملكية لحين توفر دليل قاطع على ذلك.

واختلفت آراء الباحثين حول تفسير المراسم التي اتُّبعت في "المقبرة الملكية" في أور وحول تحديد الغاية من التضحية بتلك الأعداد من البشر الذين دُفنوا في قبورها بشكل جماعي. وقد برز تفسيران لذلك وحَظي كل تفسير بتأييد فريق من الباحثين. التفسير الأول قدمه ليونارد وولي، مُكتشف المقبرة، ويتلخص في أن ما حدث في تلك المقبرة كان مراسم دفن تقضي بالتضحية بأتباع الملك، أو الملكة، وحاشيتهما ودفنهم مع أي منهما حين وفاته وذلك حتى ينزلوا معه إلى العالم السفلي ليستمروا في خدمته هناك مثلما خدموه في حياته[23]. أما الطريقة التي كانت تتمّ بها هذه التضحية فيوجزها وولي في أنه بعد أن تنزل جثة الملك، أو الملكة، إلى الضريح ينزل معه أتباعه وحاشيته ويستقرون على الأرض أو على مقاعد مثبّتة بالجدران، وبعد أن يَقتلوا الحيوانات الموجودة معهم في القبر يبدأون بتناول السمّ من قِدرٍ مليءٍ به، مثل القدر الذي عُثر عليه في القبر رقم (1237). وفي تلك الأثناء يكون الموسيقيون مستغرقين بالعزف على القيثارات، ومن المحتمل أن تكون هناك ترانيم جنائزية خاصة يرددها المُضحّى بهم. وحين يسري مفعول السمّ بأجسامهم يضطجعون كلٌّ في مكانه ثم يدخل أحد الأشخاص ويرتّب الجثث ومحتويات القبر ويخرج لتبدأ عملية ردم الحفرة بمراحل في احتفال ديني خاص بالمناسبة[24].

أما التفسير الثاني فيعتمد على رأي قدمه أنطون مورتكات A. Moortgat[25] يرجح فيه اعتبار التضحية البشرية التي مورست في "المقبرة الملكية" في أور جزءاً من الاحتفالات الخاصة بالزواج المقدس (Hieros Gamos) الذي يُعتقد أنّه كان يجري سنوياً ويقوم الملك فيه بدور الإله دموزي (تموز) في حين تقوم الكاهنة العليا أو الملكة بدور الآلهة إنانّا (عشتار). ويذهب مورتكات إلى افتراض غريب يقول أن كُلاً من الملك والكاهنة العليا، أو الملكة، كانا يُسقيان السمّ بعد الانتهاء من مراسم الزواج المقدس، وكذلك يُسقى أتباعهما المرافقون لهما السمّ، ويُدفن

الجميع في احتفال ديني. ثم أن جسد الملك يخرج من سقف الضريح بينما يبقى جسد القرينة في ذلك الزواج الشعائري في قبرها. لقد بات رأي أنطون مورتكات، المستند على الافتراض فقط، غير مقبول وكذلك تفسيره لشعائر التضحية البشرية في "المقبرة الملكية" في أور باعتبارها جزءاً من شعائر "الزواج المقدس". وقد سبق لمؤلف هذا الكتاب أن أثبت، من خلال عدة بحوث منشورة(26)، عدم وجود شعائر ما يسمى بالزواج المقدس في بلاد الرافدين القديمة وإنما هي شعائر خاصة بالحضارة الإغريقية القديمة ومعتقداتها الدينية. إن ما افترضه مورتكات عن كون ما جرى في "المقبرة الملكية" في أور تقليداً لزواج الإلهين دموزي (تموز) وإنانّا (عشتار) لضمان خصب الطبيعة يَبطل إذا ما عرفنا أن دموزي لم يكن إلهاً للخصب في عقائد بلاد الرافدين القديمة، وإنما من آلهة العالم السفلي، وإن إنانّا لم تكن "الإلهة-الأم" في تلك العقائد التي أسندت هذا الدور إلى الإلهة ننخرساك (ننتو)، إحدى الآلهة الخالقة الأربعة في ديانة بلاد الرافدين القديمة. إننا حتى لو تجاوزنا هذه المعطيات الجديدة في دراسة المعتقدات الدينية في حضارة بلاد الرافدين القديمة لوجدنا نقاط ضعف وتناقض أساسية في فرضية أنطون مورتكات تجعلنا نرفض تفسيره للمراسم التي تضمنت القيام بالتضحية البشرية في "المقبرة الملكية" في أور. وتتمثل نقاط الضعف الأساسية هذه في ما يأتي:

1- إن شعائر "الزواج المقدس" التي افترض إقامتها سنوياً ما كان مقدراً لها أن تتم في المقابر وإنما في المعابد وإن خاتمتها، إن صح حدوثها، كانت ينبغي أن تكون مكللة بالفرح والابتهاج وليس بمراسم دفن وتضحية بشرية لا تقتصر على العروسين المفترضين وإنما تشمل أفراداً من الحاشية الملكية والمحاربين والموسيقيين وغيرهم. ولو صحَّ تفسير مورتكات لكان علينا أن نتوقع تكرر مشهد التضحية البشرية سنوياً. وبالتالي وجود عدد كبير من القبور خلال عهد حكم سلالة واحدة

أو حتى ملك واحد، وليس مشهداً لا يحدث سوى عند وفاة الملك أو الملكة كما هو حاصل فعلاً في "المقبرة الملكية" في أور.

2- إن التفسير القائل بكون التضحية البشرية جزءاً من شعائر "الزواج المقدس" التي يشارك فيها عروسان يُهمل حقيقة واضحة جداً وهي أن القبور الملكية التي شهدت ممارسة التضحية البشرية كانت أضرحةً منفردةً تضمُّ في داخلها جثمان ملك أو ملكة دُفن كل منهما مع حاشيته وحراسه. في حين أنه يُفترض أن تكون القبور ثنائية لملك وملكة معاً. وحتى في حالة القبرين المتجاورين (789) و(800)، اللذين استند إليهما مورتكات في بناء افتراضه، فقد دلت التنقيبات الآثارية على أنهما لم يشيدا في وقت واحد وإنما كان قبر الملكة متأخراً في زمن بنائه عن زمن بناء قبر الملك[27]. وبحسب تفسير وولي، الذي اكتشف كلا القبرين، كان الملك هو الذي مات أولاً ودُفن في ضريحه وأن الملكة ربما رغبت في أن تُدفن، حين وفاتها، في قبرٍ قريبٍ من قبره، وتنفيذاً لرغبتها دُفنت في القبر رقم (800) بجوار قبر زوجها (أي القبر رقم 789)[28].

3- وبخصوص ما يذكره مورتكات عن عدم العثور على هيكل الملك في القبر (789) على الرغم من عدم تعرض القبر للسرقة واستبعاده أن يكون اللصوص قد أخرجوه، فينبغي أن نشير إلى أن هذه الحالة لم تتكرر في الأضرحة الملكية السليمة الأخرى التي عرضناها آنفاً، إذ كانت هياكل الملوك الآخرين باقيةً في أماكنها ولم تخرج. أما السبب في عدم العثور على هيكل الملك في القبر (789) فيمكن أن يُعزى إلى تعرّض غرفة الضريح تلك إلى اختراق من سقفها أدى إلى تعرّض محتوياتها للنهب قديماً والعبث بهيكل الملك وأي هياكل يُحتمل وجودها في الضريح نفسه. ولكن الأشخاص الذين اخترقوا سقف غرفة الضريح لم يستطيعوا التوصل إلى اكتشاف حفرة الدفن في خارج تلك الغرفة.

4- ثم أن الدليل الحاسم على ممارسة التضحية البشرية عند موت الملك في بلاد الرافدين القديمة، في زمن مقارب من زمن "المقبرة الملكية" في أور جاءنا من النصوص المسمارية وازداد وضوحاً في السنين الأخيرة لينفي نهائياً صحة التفسير الذي قدمه مورتكات وربط فيه بين التضحية البشرية في تلك المقبرة وشعائر الزواج المقدس. فالدليل الكتابي الذي جاءنا من خلال النص السومري الذي يدور موضوعه حول "موت جلجامش" يُبيّن بوضوح أن التضحية البشرية مورست بهدف إرسال حاشية الملك وأتباعه المقرّبين معه إلى العالم السفلي ليواصلوا خدمتهم له، وأنّ هذه التضحية كانت تتمّ عند وفاة الملك ودفنه. وأصبحنا نعلم، من خلال هذا النص، أن تضحية بشرية مشابهة لما حدث في "المقبرة الملكية" في أور قد مورست عند وفاة جلجامش، ملك أوروك وبطل الملحمة الشهيرة. وبسبب أهمية هذا النص والإضافات التي أُلحقت به، نتيجة للاكتشافات الأثرية، وصلته الوثيقة بموضوع هذا الكتاب فقد أفردنا له موضعاً خاصاً في هذا الفصل.

وقبل أن نأتي على موضوع نص "موت جلجامش"، وما يمكن أن يُلقيه من ضوء على مراسم الدفن والتضحية البشرية، المتّبعة عند موت الملوك لحقبة قصيرة من تاريخ بلاد الرافدين القديمة، نورد هنا ذكر الحالات التي قد تكون شهدت مراسم مماثلة ولكن أعمال النهب في العصور القديمة أزالت ما كان يفترض أن يصلنا من أدلة. إن أولى الأمثلة التي نوردها هنا المقبرة التي رمز لها بالحرف Y في موقع مدينة كيش القديمة[29] (تلول النغرة حالياً). ويعود تاريخ هذه المقبرة إلى عصر فجر السلالات الثاني، وقد عُثر في بعض قبورها على أجزاء من عربات وأدوات معدنية مهمة من بينها خنجر دقيق الصنع[30]. ويرجّح بعض الباحثين ممارسة التضحية البشرية في ثلاثة أضرحة كبيرة اكتُشفت فارغةً من محتوياتها تحت معبد عشتار في مدينة ماري[31] (تل الحريري في سورية حالياً) وكذلك في بعض الأضرحة المعقودة

بالآجر تحت معبد عشتار في نينوى (تل قوينجق)، وربما كانت هذه الأضرحة خاصة ببعض الملوك المحليين القدامى وقد تعرضت للنهب في العصور القديمة[32]. والآن نـأتي على عرض موضوع نص "موت جلجامش" والدليل الكتابي الــذي يقدمــه علــى ممارسة التضحية البشرية.

موت جلجامش ومراسم دفنه

قبل أكثر من ربع قرن أشار المؤلف إلى النص المــدون باللغــة الســومرية والمعنّون "موت جلجامش" وذلك في معرض الإشارة إلى دلالته على ممارسة التضحية البشرية عند موت جلجامش[33]. وكانت تلك الإشارة تستند إلى ما نشره قبل ذلـك صموئيل نوح كريمر[34] عن النص والترجمة التي قدّمها لما تبقّى مــن أســطره الــتي وُجدت على ثلاثة ألواح عُثر عليها في موقع مدينة نفر القديمة في جنوب العــــراق. ويعود تاريخ تلك الألواح إلى النصف الأولِ من الألف الثاني قبل الميـــلاد. وعلــى الرغم من الجهد الذي بذله كريمر في إعادة تكوين النص من السطور الموجودة علــى الألواح الثلاثة لم تتهيأ في حينه سوى ترجمة مجزأة لمقطعين لا يمكن تقدير حجم الخرم الذي أزال السطور التي كانت تربط فيما بينهما. واستناداً إلى الترجمة المتقطعة الــتي قدمها كريمر آنذاك أمكن تلخيص محتويات سطور المقطعين على النحو الآتي:

المقطع الأول: يبتدئ بجملة غامضة يبلغ جلجامش بعدها بأنه ينبغـــي أن لا يتعلق بأمل الخلود في الحياة إذ أن الإله أنليل لم يقرر له ذلـــك. ثم يشــير النــص، بأسلوب شعري، إلى وفاة جلجامش. وينتهي المقطع بوصف الحزن الذي سببه موته.

المقطع الثاني: يشتمل على 43 سطراً من النص، ويبتدئ بذكر أفراد عائلـــة جلجامش وأتباعه الذين دُفنوا معه، ثم يرد ذكر الهدايا التي قدمها جلجامش، نيابـــة

عن الذين دُفنوا معه، إلى آلهة العالم السفلي وإلى بعض الموتى المهمين فيه مثل كبار الكهّان والكاهنات المُتوفّين.

وفي عام 1979م كان المؤلف يقوم بأعمال التنقيب الآثاري في حوض سد حمرين في منطقة ديالى في شرقي العراق. وفي حينها كانت تلك التنقيبات قد نجحت في الكشف عن مدينة ميتورناة (Mt urnat) القديمة التي ضمت بقاياها تلول السيب وحداد. وقد أثمرت التنقيبات في هذا الموقع عن اكتشافات مهمة جداً من بينها أعداد كبيرة من النصوص المسمارية التي تعود إلى العصر البابلي القديم والعصور اللاحقة. ومن بين ألواح العصر البابلي القديم اكتُشفت نسخ بحالة جيدة من النص السومري "موت جلجامش". وقد انهمك اثنان من علماء المسماريات بدراسة ألواح هذا النص المكتشفة في تل حداد. وتمكن هذان الباحثان من إنجاز ترجمة النص في عام 1997م[35]، ونشرت ترجمته الإنجليزية من قبل عالم المسماريات أندرو جورج في عام 1999م[36]. وكان قد اتّضح خلال السنوات الأولى من العمل على هذه الأواح أنها تحمل نسخة من نص "موت جلجامش" تكمّل النسخة المشوّهة التي اكتُشفت سابقاً في ألواح نفر.

ونظراً لأهمية هذا النص بالنسبة لموضوع التضحية البشرية، ومراسم الموت وشعائره في بلاد الرافدين القديمة عموماً، نقدم هنا عرضاً ملخصاً للرواية التي يتضمنها مع ترجمة كاملة للنص بشكله الجديد:

ملخص الرواية: يبدأ النص بمرثيّة على جلجامش المُحتضَر الذي وقع بقبضة نمتار، رسول الموت المكلّف بقبض الأرواح. ويُصوّر جلجامش وهو طريح الفراش وفي حالة هذيان. ويوحي الإله نوديمود (انكي) برؤيا لجلجامش يرى نفسه فيها في اجتماعٍ لمجمع الآلهة، وكان موضوع النقاش في ذلك الاجتماع مصير جلجامش نفسه. يستعرض الآلهة في اجتماعهم السيرة البطولية لجلجامش وما قام به في "غابة

الأرز" وكذلك رحلته إلى أقاصي العالم وأخذه للمعرفة القديمة من زيوسدرا (أوتـا-نبشة، أو نوح البابلي). وكان السؤال المطروح أمام الآلهة هو أن جلجامش، علـى الرغم من كونه بشراً، ابنٌ لإلهة وبالتالي هل يكون من الخالدين أم من الفانين؟ ويبدو أن الجواب الذي توصلوا إليه هو ما اقترحه الإله انكي حول عدم تكـرار السـابقة الوحيدة التي حصل فيها بشر على الخلود، وهي سابقة زيوسـدرا، بطـل قصـة الطوفان، وذلك لأنها سابقة فريدة حدثت في ظرف خاص لن يتكرر وهو الطوفـان. وهكذا يتوجب على جلجامش أن يتعرّض للموت وينـزل إلى العالم السفلي مثـل بقية البشر. ولكن موته هذا لن يكون بدون امتياز خاص يميّزه، إذ يُتّفَـق علـى أن يكون له مركز خاص في العالم السفلي ويكون حاكماً في عالم الأرواح مثلما يكـون الإلهان ننجشزيدّا ودموزي، وهما من أعضاء مجمع آلهة العالم السفلي المقيمة فيـه. ولا يكتفي الآلهة بهذا وإنما يقررون لجلجامش خلود الذكر في عالم الأحياء عن طريـق إحياء ذكره في "عيد المشاعل" السنوي الذي يتصارع فيه الشباب مـع بعضـهم، وكان يُقام في الشهر الخامس من السنة البابلية، وهو شهر آب، وتحدث المصارعـة في اليوم التاسع منه ويطابق الموعد السنوي للشعائر الجنائزية وسنأتي في الحديـث عنـه لاحقاً. ثم يظهر الإله أنليل ليوجز قرار الآلهة الذي يقضي بأن جلجامش، حـتى وإن كان قد وُلد ليكون ملكاً، لا يمكن أن يتجنب المصير المحتوم على البشر جميعاً، ولكن لا ينبغي أن يكون قانطاً. ذلك أنه سيكون ثانية مع عائلته وصديقه أنكيدو في العـالم السفلي وسيحظى بمكانة أحد الآلهة الصغرى في ذلك العالم.

يصحو جلجامش مذهولاً ممّا رآه. ويلي ذلك خَرم في النص ولكن يبـدو أن السطور المخرومة تتحدث عن طلب جلجامش للمشورة وتفسير تلك الرؤيا. يتلقّـى جلجامش إجابةً من مستشاريه يخبرونه فيها أنه لا ينبغي أن يشعر بالحزن، فـالموت محتوم على الملوك، وإنما ينبغي على جلجامش أن يشعر بالسعادة للمركـز المرمـوق

الذي سيحتلّه بعد موته. وبعد انخرام في النص يبدو جلجامش، بدفعٍ من الإله انكـي، قد وجَّه أوامره لبناء ضريحه. ويُفهم من السطور المشوهة في هذا الموضع من النـص أن انكي بعث بإيحائه إلى جلجامش بواسطة كلب وفيه إرشاد لجلجامش عن الموضع المناسب للضريح بحيث لايمكن أن تُنتهك حرمته مستقبلاً. وهكذا، بوحيٍ من حكمة انكي، يوجِّه جلجامش أتباعه إلى تحويل مجرى نهر الفرات وتشييد الضريح في قـاع النهر بالحجر. وتأخذ زوجات جلجامش وحاشيته أماكنهم في الضريـح لمصاحبـة الملك في رحلته الأخيرة إلى العالم السفلي. وتُدخل أيضاً إلى الضريح الهدايا والقرابـين التي سيقدمها جلجامش إلى ايرش-كيجال، ملكة العالم السفلي، وأتباعها من آلهـة ذلك العالم. وأخيراً يضطجع جلجامش في الضريح الذي يُغلق مدخله بحجرٍ ضخـم شُكّل لذلك الغرض. ويُعاد نهر الفرات إلى مجراه ليغمر الضريح ويُخفي موضعـه إلى الأبد، ويدخل أهل أوروك في حداد على ملكهم. ويُختتم النص بتمجيد جلجـامش "الأعظم بين الملوك" وبعبارات توجيهية تلقي ضوءاً على مفهوم المـوت في فكـر حضارة بلاد الرافدين القديمة. وهـذه العبـارات تشـير إلى أن البشـر المـاضين والموجودين، يستمرون في العيش بعد موتهم في ذاكرة الأحياء وذلـك بطريقتـين، الأولى من خلال وضع التماثيل النذرية في المعابد لضمان الذكر المستمر للمُتوفّـى. والطريقة الثانية من خلال التدبير الإلهي بتكوين العائلات والإنجاب لضمان استمرار النسل.

وفيما يأتي ترجمة نص "موت جلجامش" من ألواح نفر وميتورنـاة، وقـد ميّزنا السطور المترجمة من ألواح مدينة نفر بحرف النون، والسطور المترجمة من لـوح مدينة ميتورناة بحرف الميم:

"الثور الوحشي العظيم رقد ولن يقوم ثانية

السيد جلجامش رقد ولن يقوم ثانية

المتمكن في النزال رقد ولن يقوم ثانية

المحارب المتحزم بحزام الكتف رقد ولن يقوم ثانية

م 5: المتمكن في الصراع رقد ولن يقوم ثانية

ساحق الأشرار رقد ولن يقوم ثانية

المتفوه بالحكمة رقد ولن يقوم ثانية

الساهر على البلاد رقد ولن يقوم ثانية

مرتقي الجبال رقد ولن يقوم ثانية

م 10: سيد كلاّب[37] رقد ولن يقوم ثانية

إنه راقد على فراش موته ولن يقوم ثانية

إنه راقد على فراش البلية ولن يقوم ثانية

إنه لا يقوَ على الوقوف ولا على الجلوس، لكنه قادر على الأنين

إنه لايستطيع الأكل ولايستطيع الشرب، لكنه قادر على الأنين

م 15: مشبك نمتار[38] يمسك به فلا يقوى على النهوض

مثل... سمكة... في بركة ماء عالقة [بشبكة]

مثل غزال في شرك هو أسير في مرقده

نمتار الذي لا أيدي له ولا أرجل، الذي [يخطف] الإنسان ليلاً

م 19: نمتار الذي يبقر ... [أمسك بالسيد جلجامش]

* * *

لستة أيام رقد مريضاً ...

ن[2] الوجه5: [انساب العرق] من جسده كالشحم المذاب

السيد جلجامش [رقد] مريضاً ...

أوروك وكلاّب ....

كلمة البلاد ....

م 45: ثم إن السيد الفتي [جلجامش] ...

ن[2] الوجه10: [حين رقد] على فراش المنية ...

.... في المنام .... [تمثلت له رؤيا]

في تلك الرؤيا [فتح] الإله [نوديمود عينيه:]

في المجمع، موضع شعائر [الآلهة]

م 50: [السيد] جلجامش اقترب

قالوا له، للسيد [جلجامش، عن قضيته]

'هذه قضيتك، يا من سافرت على كل درب وعلى الطرق جميعها

وأحضرت ذلك الأرز الفريد من جبله

وضربت خواوا[39] في غابته

م 55: يا من أقمت النُصُب [شواهد] لأيام المستقبل

وأسست المعابد للآلهة

بلغت زيوسدرا في مقامه

طقوس البلاد، المنسية منذ الأيام الخوالي

الشعائر والتقاليد، أنت أعدها للبلاد

م 60: طقوس غسل اليد وغسل الفم أنت الذي نظمها

[بعد] الطوفان أنت الذي علمت جميع واجبات البلاد...

* * *

م 66: ' [الآن يا جلجامش] أنت جُلبت إلى هنا من أجل ... '

ابلغوا [رغبة الإله انليل إلى الإله انكي]

رد [الإله انكي على الإلهين آنو وانليل]:

'[في تلك الأيام]، في تلك الأيام الخوالي

م 70: [في تلك الليالي]، في تلك الليالي البعيدة

[في تلك السنين]، في تلك السنين السحيقة

بعد أن قرر [المجمع] إحداث الطوفان

لندمر نسل البشرية

بقي في وسطنا إنسان واحد حياً

م 75: زيوسدرا، أحد البشر، بقي حياً

في ذلك الحين أقسمنا بالسماوات وبالأرض

في ذلك الحين أقسمنا بأن لا ينال البشر الخلود

والآن نحن ننظر إلى جلجامش هكذا:

على الرغم من (مكانة) أمه لا نستطيع أن نعامله بعطف

م 80: لكن جلجامش، ممثلاً بروحه، حين يكون ميتاً في العالم السفلي

سيكون حاكماً في العالم السفلي، زعيماً للأرواح

سيصدر الأحكام ويقرر القرارات

ما سيقوله سيكون بثقل كلمة ننجشزيدا ودموزي

م 84: ثم إن السيد الفتي، السيد جلجامش ...

" في هذا الموضع تتشوه سطور نص ميتورناة ويحدث فيه خرم كبير، وقد أمكن إعادة تكوين المقطع المشوه من النص بالاستناد إلى ما يمكن قراءته في ألواح نفر حتى الموضع الذي تعود فيه سطور نص ميتورناة إلى الوضوح ثانية":

'[إله الأحلام سِسَّج (Sissig)، ابن الإله اوتو(40)]

[سيوفر له النور في العالم السفلي، موضع الظلمة]

[البشر، بعدد ما حملوا أسماءً منهم]

[حين تنصب تماثيلهم الجنائزية في قابل الأيام]

[حين يشكل المقاتلون الشبان والمتفرجون نصف دائرة حول المدخل]

[لتقام أمامها مباريات المصارعة واختباراتها]

[في شهر المشاعل، عيد الأرواح]

[سوف لن يضاء نور أمامهم بدون حضوره]'

[الجبل العظيم انليل، أبو الآلهة]

[تحدث في الرؤيا مع السيد جلجامش:]

[يا جلجامش لقد جعلت قدرك قدر الملوكية ولكنني لم أجعله قدر الحياة الخالدة]

[للبشر، أي حياة يمكن أن تكون (مرغوبة) إلا حياة مع مرض في القلب]

[فلا يمكن أن يكون يأس، أو فؤاد كسير (مع الحياة)]

[فهكذا يحل هلاك البشر وها أنا قد أبلغتك]

[هكذا يحل ما (تقرر) حين قطع حبلك السري وها أنا قد أبلغتك]

[وها أن اليوم الأشد ظلاماً على البشر الفانين قد أدركك]
[منفى البشر الفانين قد أدركك]
[موجة الفيضان التي لا تقاوم قد أدركتك]
[الواقعة التي لا مناص منها قد أدركتك]
[النـــزال الذي لا يبارى فيه قد أدركك]
[القتال الذي لا رحمة فيه قد أدركك]
[ولكن لا تنـــزل إلى المدينة العظيمة[41] بقلبٍ حانق]
[دعه يكون منبسطاً أمام الإله اوتو]
[دعه ينحلّ مثل لحاء النخلة ويتقشر مثل البصل]

م 103: [حينما يجلس آلهة] انوناكي[42] [العظام] إلى الوليمة الجنائزية، امضِ أنت
إلى حيث يرقد كهنة اين، حيث [يرقد كهنة لاجار]

م 105: إلى حيث يرقد كهنة لوماخ وكاهنات نن-دنجر
إلى حيث يرقدن كاهنات نن-دنجر، وحيث يرقد "الشخص الحق"
إلى حيث يرقد كهنة جودا، وحيث يرقد الكهنة متلففون بالكتان
إلى حيث يوجد أبوك وأجدادك،
أمك، أخواتك، أقاربك

م 110: صديقك الغالي، أخوك الصغير
صديقك أنكيدو الفتي، رفيقك
[هناك في "المدينة العظيمة" يقطن] الحكام والملوك
هناك [يقطن] قادة الجيوش فرادى

[هناك يقطن الضباط فرادى]

[حينما .... رجل في "المدينة العظيمة" ارلّي]

[الرجل ... لن ....]

[من بيت الأخت ستأتي الأخت إليك]

[من] بيت [القريب سيأتي القريب إليك]

معارفك [سيأتون إليك، الغالي عليك سيأتي إليك]

شيبة مدينتك سيأتون إليك

م 120:لا تكن قانطاً، لا تكن كسير الفؤاد

والآن ستُحسب مع آلهة انوناكي

ستُحسب واحداً من الآلهة الصغرى

ستصير حاكماً في العالم السفلي

ستصدر أحكاماً، ستقرر قرارات

م 125:وسيكون لما [تقوله] ثقل [كلمة ننجشزيدا] ودموزي'[43]

ثم إن [السيد] الفتي، السيد جلجامش

صحا، لقد كان [حلماً]، ارتجف، [لقد كان نوماً عميقاً]

[فرك] عينيه بيديه، وكان هناك [صمت] موحش

الرؤيا ....

م 130:الرؤيا ....

....

[السيد جلجامش، سيد] كلاّب

ن[4] الوجه10: ...... بطل "الجبل الناصع"

[سيد أوروك] حداد الآلهة العظام

م 123: تشاور مع ....

'بحياة [الأم التي أنجبتني]، الإلهة ننسون

[وأبي الطاهر] لوجال-بندا

[وإلهي انكي، السيد] نوديمود

م 135: كيف يمكن أن أتصرف [برعب] وأنا بحضن الإلهة [ننسون]، الأم التي أنجبتني؟

..... جبلاً عظيماً .....

مختار الذي لا أيدي له ولا أقدام، الذي [لايعرف كيف] يستثني بشراً

..... [رأيت حلماً]

في ذلك الحلم فتح الإله نوديمود عيني'

م 140: 'في المجمع، موضع شعائر الآلهة

السيد جلجامش اقترب

قالوا له، للسيد جلجامش، عن قضيته:

" هذه قضيتك يامن سافرت على كل درب وعلى الطرق جميعها

وأحضرت ذلك الأرز الفريد من جبله

م 145: وضربت خواوا في غابته

يا من أقمت [النُصُب] (شواهد) لأيام المستقبل

وأسست المعابد للآلهة

بلغت [زيوسدرا في مقامه]

[طقوس البلاد]، المنسية منذ الأيام الخوالي

م 150:[الشعائر والتقاليد، أنت] أعدها [للبلاد]
طقوس غسل اليد وغسل الفم أنت الذي نظمتها
[بعد] الطوفان أنت الذي علمت جميع واجبات البلاد وعادت معروفة..

* * *

م 156:'"[الآن] يا جلجامش [أنت جلبت إلى هنا من أجل ...]"
[ابلغوا رغبة الإله انليل إلى الإله انكي
رد [الإله انكي على الإلهين آنو وانليل]:
"في تلك الأيام، [في تلك] الأيام الخوالي
م 160: في تلك الليالي، [في تلك] الليالي البعيدة
في تلك السنين، [في تلك] السنين السحيقة
[بعد] أن قرر المجمع إحداث الطوفان
لندمر نسل البشرية
بقي في وسطنا إنسان واحد حياً
م 165:زيوسدرا، أحد البشر، بقي حياً
في ذلك الحين أقسمنا بالسماوات وبالأرض
في ذلك الحين أقسمنا بأن لا ينال البشر الخلود
والآن نحن ننظر إلى جلجامش هكذا:
على الرغم من (مكانة) أمه لا نستطيع أن نعامله بعطف
م 170:(لكن) جلجامش، ممثلاً بروحه، حين يكون ميتاً في العالم السفلي
سيصبح [حاكماً في العالم السفلي]، زعيماً للأرواح
[سيصدر الأحكام] ويقرر القرارات

[ما سيقوله سيكون بثقل كلمة] ننجشزيدا ودموزي"

م 174: ثم إن السيد الفتي، السيد جلجامش ...

* * *

(م180): إله الأحلام سِسَّج، ابن الإله اوتو

ن[1] ع[5] 5: سيوفر له النور في العالم السفلي، موضع الظلمة

البشر، بعدد من حملوا أسماءً منهم

حين تنصب تماثيلهم (الجنائزية) في قابل الأيام

حين يشكل المقاتلون الشبان والمتفرجون نصف دائرة حول المدخل

لتقام أمامها مباريات المصارعة واختباراتها

ن[1] ع[5] 10: في شهر المشاعل، عيد الأرواح

سوف لن يضاء النور أمامهم بدون حضوره"

الجبل العظيم انليل، أبو الآلهة

تحدث في الرؤيا مع السيد جلجامش:

"يا جلجامش لقد جعلت قدرك قدر الملوكية ولكنني لم أجعله [قدر] الحياة الخالدة

ن[1] ع[5] 15: وللبشر، أي حياة يمكن أن تكون (مرغوبة) إلا حياة مع مرض في القلب

فلا يمكن أن يكون يأس، أو فؤاد كسير (مع الحياة)

فهكذا يحل هلاك البشر وها أنا قد أبلغتك

هكذا يحل ما (تقرر) حين قطع حبلك السري وهاأنا قد أبلغتك

وها أن اليوم الأشد ظلاماً على البشر الفانين قد أدركك

ن[1] ع[5] 20: إن منفى البشر الفانين قد أدركك

موجة الفيضان التي لا تقاوم قد أدركتك

الواقعة التي لا مناص منها قد أدركتك

النـــزال الذي لا يبارى فيه قد أدركك

القتال الذي لا رحمة فيه قد أدركك

م 190:ولكن لا تنـــزل إلى "المدينة العظيمة" بقلب حانق

دعه يكون منبسطاً أمام الإله اوتو

دعه ينحلّ مثل لحاء النخلة ويتقشر مثل البصل

ن[1] ع[5] 28: حينما يجلس آلهة انوناكي العظام إلى الوليمة الجنائزية امضِ أنت

إلى حيث يرقد كهنة اين، وحيث [يرقد كهنة– لاجار]

م 195:إلى حيث يرقد كهنة لوماخ وكاهنات نن–دنجر

إلى حيث يرقد كهنة جودا، حيث يرقد الكهنة متلففون بالكتان

إلى حيث يرقدن كاهنات نن–دنجر، حيث يرقد "الشخص الحق"

إلى حيث يوجد أبوك وأجدادك،

أمك، أخواتك، أقاربك

م 200:صديقك الغالي، أخوك الصغير

ن[4] القفا 2َ: صديقك أنكيدو الفتي، [رفيقك]

(هناك) في "المدينة العظيمة" يقطن الحكام والملوك

هناك يقطن قادة الجيوش فرادى

م 205:حينما .... رجل في "المدينة العظيمة" ارلّي

الرجل ... لن ....

من بيت الأخت ستأتي الأخت إليك

من بيت القريب سيأتي القريب إليك

ن[4] القفا 10َ : معارفك سيأتون إليك، الغالي عليك سيأتي إليك

م 210: شيبة مدينتك سيأتون إليك

.... سيأتي إليك

.... سيأتي إليك

.... سيأتي إليك

لا تكن قانطاً، لا تكن كسير الفؤاد

والآن [ستُحسب] مع آلهة انوناكي

[ستُحسب] واحداً من الآلهة الصغار

[ستصبح حاكماً في العالم السفلي]

م 215: [ستصدر أحكاماً، ستقرر قرارات]

ن[1] ع[6] 1: [ما ستقوله] سيكون له ثقل [كلمة ننجشزيدا ودموزي"]'

ثم إن [السيد] الفتي، السيد جلجامش

[سيد كلاّب] روى [ذلك الحلم]

[المستشارون] الذين رواه لهم

ن[1] ع[6] 5: أجابوا [جلجامش]:

'[أيهاالسيد جلجامش ما] سبب دموعك؟

ما السبب وراء.... ؟

إن [موت البشر لا] يتوقف، فالإلهة-الأم لا تزال تعمل عل إنجابهم

[ومنذ أن ابتدأ تناسل البشر] .... [أولاً]

ن^{1} ع^{6} 10: لا يوجد ...

حتى .... المصارع يمكن أن يُمسَك بشبكة تُرمى عليه

وطائر السماء متى ما أحيط بشبكة لا يفلت من قبضة أحد

وسمكة البحار العميقة تُرمى .... فلا تزوغ أبداً

وعندما يرمي صائد السمك الفتي شبكة فإنها تعلق فيها

ن^{1} ع^{6} 15: لا إنسان، مهما كان، يمكن أن يصعد .... من قلب العالم السفلي

فمن رأى شيئاً كهذا منذ أقدم الأيام ؟

لا ملك آخر سيكون له، في المستقبل مصير مثل مصيرك

والرجال، بعدد من يحملون أسماءً

أين هو الرجل ..... الذي مصيره [مثل] مصيرك؟

إن إدارة العالم السفلي [ستكون لك]

ن^{1} ع^{6} 20: أنت، روحك، [ستحسب من بين آلهة أنوناكي]

ستصدر أحكاماً، [ستقرر قرارات]

[ما ستقوله سيكون له ثقل كلمة ننجشزيدا ودموزي]'

* * *

م 235:معماره صمم ضريحه مثل ...

أصابه دوار، الهه انكي

أوحى إليه بالموضع الذي يمكن أن يفسر به الحلم

تلك الرؤيا فسرها كلب الملك، لم يفسرها إنسان

السيد حشد قوة العمل في مدينته

م 240:المنادي صاح ببوقه في البلدان:

'يا أوروك انهضي! سدّي نهر الفرات

يا كلاّب انهضي أفرغي نهر الفرات من الماء!'

حشود أوروك كانت طوفاناً

حشود كلاّب كانت ضباباً كثيفاً

م 245:لم يكن قد مر نصف شهر

ولم تكن خمسة أيام، ولم تكن عشرة أيام

حتى سدوا نهر الفرات، وأفرغوه من الماء

حصاه (في القاع) رمق الشمس بتعجب

وفي قاع الفرات تفطرت الأرض من جفافها

م 250:ثم بنى ضريحه بالحجر

وبنى جدرانه بالحجر

عمل الأبواب الحجرية لمدخله

كان الرتاج والعتبة من حجر الديورايت الصلب

وكانت المزاليج من حجر الديورايت الصلب

م 255: كانت العوارض مغلفة بالذهب

إلى ..... حركت كتلة ثقيلة من الحجر

..... نشر تراباً أسود من كل نوع

[وذلك حتى] .... في الأيام المقبلة

...... [حتى لا] يكتشف

م 260: ...... من يبحث لا يكتشف مطلقاً موضعه

[هكذا السيد الفتي، السيد] جلجامش

أقام في وسط أوروك صومعة محكمة

ن3 :1 زوجته الحبيبة، ابنه الحبيب

زوجته الحبيبة الكبرى وزوجته الحبيبة الصغرى

مغنيه، نادله و ...... المحبوبون

(م 265):حلاقه الحبيب، ...... الحبيب

ن3 5 :أتباعه وخدمه المحبوبون

..... أغراضه المحبوبة

وضعوا في أماكنهم كما لو كانوا [يحضرون] استعراضاً للقصر في وسط

أوروك

جلجامش، ابن الآلهة ننسون

عرض قرابينهم لايرش–كيجال

ن3 :10 عرض قرابينهم لنمتار

(م 270): عرض تقدماتهم لدمبكج **Dimpikug**[44]

عرض هداياهم لِبتّي **Bitti**

عرض هداياهم لننجشزيدّا ودموزي

لانكي وننكي، لاينمول وننمول

ن3 :15 لايندوكجا **Endukuga** ونندوكجا **Nindukuga**

(م 275):لايندداشُرِمّا **Endashurimma** ونندشُرِمّا**Nindashurimma**

لاينوتلا **Enutila** واينميشَرّا **Enmesharra**

أمهات وآباء الإله انليل

للإله شلبايه، سيد المائدة

ن[3] 20: لشكّان وننخرسانجا

(م 280): لآلهة أنوناكي "الجبل الطاهر"

لآلهة ايجيجي[(45)] "الجبل الطاهر"

لكهنة اين المتوفين، لكهنة لاجار المتوفين

ن[3] 25: لكهنة جودا المتوفين، الكهنة المتلففين بالكتان و.....

(م 285): القرابين .....

.... الفاخر ....

عرض هداياهم إلى ....

تمدد هو نفسه ....مغشى بـــ.........

ن[3] 30: جلجامش بن الآلهة ننسون

حيث .... سكب (قربان) الماء

* * *

أخذوا ...... في داخل (الضريح)، [ختموا] مدخله

ن[1] ع[8] 3: فتحوا نهر الفرات

تدفقت مياهه

وأخفت المياه [موضع راحته]

ن[1] ع[8] 5: [ثم على السيد] الفتي، السيد جلجامش

صرَّ [الناس] أسنانهم .....

..... نتفوا [شعرهم]

أهل ..... مدينته......

لم يضعوا ....

م 295:لطخوا ..... بالوحل

وعلى [السيد] الفتي، السيد جلجامش

جزعت النفس، انكسر الفؤاد

الرجال، بعدد ما حملوا أسماءً منهم

الذين نحتت تماثيلهم (الجنائزية) منذ أقدم الأيام

م 300:ونصبت في المصليات في معابد الآلهة:

سوف لن ينسى أبداً كيف تذكر أسماؤهم

الإلهة أرورو، الأخت الكبرى لانليل

إكراماً لاسمه وهبت نسلاً (للبشر):

تماثيلهم نحتت منذ أقدم الأيام ، و(أسماؤهم لم تزل)تذكر في البلاد

م 305:يا إيرش–كيجال، أم الإله ننازو، عذب تمجيدك

"وعلى أحد ألواح نفر توجد الخاتمة الآتية للنص":

.... بلا انقطاع في عناية الإله انليل....

يا جلجامش بن الإلهة ننسون

ن3 40: ..... نسل.....ملك يضارعه..... لم يولد مطلقاً

..... لا يمكن أن يوجد..... لا يوجد

يا جلجامش، سيد كلاّب، عذب تمجيدك"

المراسم والشعائر الجنائزية

يمكن تقسيم المراسم والشعائر الجنائزية، بحسب مواعيد إقامتها، إلى نوعين يتضمن الأول منهما ما كان يُقام بعد حدوث الوفاة مباشرة، ويشمل الثاني الشعائر التي كانت تُؤدى في أوقات معينة مختلفة لمدة طويلة بعد موت الشخص. إن مراسم النوع الأول وشعائره كانت تختلف بحسب اختلاف مكانة الشخص ومنزلته الاجتماعية، كأن تكون قصيرة وبسيطة للفقراء وذوي المكانة الدنيا في المجتمع، ولكنها كانت أكثر فخامة وتستغرق وقتاً أطول للميسورين. ولا يوجد دليل يؤيد ما افتُرض من قبل بعض الباحثين حول إلقاء جثث العبيد والمنبوذين في البراري لتلتهمها العقبان والكواسر أو رميها في الأنهار[46]. وهو افتراض ساذج استند على ما يُمَارس في بعض أجزاء العالم المعاصر ولا علاقة له بأيّة ممارسات جنائزية من بلاد الرافدين القديمة من ما كشفت عنه التنقيبات الآثارية أو وصفته النصوص المسمارية القديمة. وكانت القرابين الجنائزية إما تدفن مع جثث الأموات في داخل القبور، كما لاحظنا في الفصل السابق، أو توزع على الناس بعد الانتهاء من عملية دفن المتوفى. وفي كلتا الحالتين كانت كميات الطعام المقدمة كقرابين جنائزية تختلف باختلاف مكانة المتوفى ومقدرة عائلته الاقتصادية. ويدلُّ النص البابلي المدوّن على شاهد قبر أدد-جبي، أم الملك البابلي الأخير نبونائيد، وهو النص الذي أوردنا ترجمته الكاملة في الفصل الأول من هذا الكتاب، على كثرة الذبائح والأطعمة التي وزعت على الناس حين وفاة أم الملك. ويبدو أن الشخصيات المهمة لم تكن تدفن بعد الوفاة مباشرة وإنما كانت أجسادها تمدد في قصورها لفترة من الزمن فيما يستمر العمل في إقامة الشعائر. وبهذا الصدد يصف لنا نص من العصر الآشوري الحديث المراسم والشعائر التي أقيمت عند وفاة أحد الملوك الآشوريين على لسان ابنه وخليفته على العرش، وذلك على النحو الآتي:

"لقد مسحته بالزيت الملكي ليستقر جيداً، وختمت فتحة الناووس (الذي هو) موضع راحته بالبرونز القوي وتلوت عليه رقية فعالـــة (ضـد اللصـوص والشياطين). وعرضت أمام الإله شمش أواني الذهب والفضة وكل مســتلزمات القبر وأوسمته الملكية التي يحبها ثم وضعتها في القبر مـع أبي الـذي أنجبـني[47]. وقدمت القرابين إلى الحكام السماويين، آلهة انوناكي، وإلى الآلهة التي تسـكن في الأرض (العالم السفلي). لقد ندبته الأقنية وأجابتها السواقي. اتشحت الأشـجار بالسواد عليه وبكته البساتين[48]....".

وقبل أن نأتي على وصف النوع الثاني من المراسم والشعائر الجنائزية لا بـد من التطرق إلى "ملحمة جلجامش" الشهيرة، وعلى وجه التحديد اللوح الثامن منـها لصلته الوثيقة بموضوع هذا الفصل. ذلك أن هذا اللوح يحمل نصاً يدور موضوعـه حول مراسم الحداد على أنكيدو ورثاء جلجامش له ثم الشعائر التي أقامها جلجـامش لجنازة صديقه. ومما يضفي أهمية خاصة على هذا النـص أن الدراسـات الحديثـة استطاعت أن تضيف أجزاءً منه كانت مفقودة من قبل[49]. إنّ السطور 1-64 مـن اللوح الثامن تصف حزن جلجامش وحداده على أنكيدو وندبه له، وهي السـطور التي سنعود إليها لاحقاً في هذا الفصل. أما ما يهمنا هنا فهو وصف المراسم الجنائزيـة التي أُقيمت لأنكيدو، وهذا الوصف يبدأ من السطر الخامس والستين ويسـتمر إلى نهاية اللوح، ولكن الجزء الأخير منه، الذي يبدأ من السطر التاسع عشر بعد المـائتين، لم يزل مفقوداً. يتلخص ما نستطيع أن نعرفه من السـطور 65-218 في أن جسـد أنكيدو يُسجّى على سرير فيما يدخل جلجامش وأهل مدينة أوروك في حداد عـام، ثم يتمّ جمع التجهيزات الجنائزية لتُدفن مع جسد أنكيدو ومن ضمنـها المجوهـرات والمواد النفيسة وكذلك ذبائح من الثيران والأغنام لتصطحبها روحه معها إلى آلهـة

العالم السفلي لنيل رضاهم وضمان حسن معاملتهم لها. وتشمل الشعائر إقامة وليمة كبرى من قبل جلجامش وفيها طبق من العقيق ممتلئ بالعسل وطبق من اللازورد ممتلئ بالزبدة. وفيما يأتي ترجمة لهذه السطور:

15- "عندما لاح أول خيط من الفجر

أطلق جلجامش نداءً للبلاد:

'أيها الحداد! قاطع الأحجار الكريمة! النحّاس! الصائغ! الجواهري!

صوروا صديقي ....!'

... لقد صنع تمثالاً لصديقه:

70- 'أطراف صديقي تكون من ....

حاجبيك يكونان من اللازورد، صدرك من الذهب،

جسمك يكون من ....'

......

84- سأسجيك على سرير فخم

85- سأسجيك على سرير المجد

و.......أضعك على يساري، على كرسي الراحة

وسيقبل حكام الأرض قدميك

لأجعلن أهل أوروك يحزنون عليك ويندبونك

لأجعلن أهل النعيم يمتلئون أسىً عليك

90- وبعد أن تكون قد رحلت سيكون شعري متلبداً بالحداد

سأجول البرية متسربلاً بجلد أسد'

عندما لاح أول خيط من الفجر

نهض جلجامش ودخل خزائنه

فض الأختام وتفحص الجواهر:

95- الأحجار السوداء الشفافة، العقيق، اللازورد......الرخام

.... عملت بإتقان

.... جهز من أجل صديقه

.... جهز من أجل صديقه

.... من عشرة أمنان إضافية من الذهب جهز من أجل صديقه

100- .... من .... أمنان من الذهب جهز من أجل صديقه

.... من .... أمنان من الذهب جهز من أجل صديقه

.... من .... أمنان من الذهب جهز من أجل صديقه

....

.... بينها، متوجة بثلاثين مناً من الذهب

105- .... كانت .... جهز من أجل صديقه

.... كانت .... جهز من أجل صديقه

.... كان سمكها

.... كان .... جهز من أجل صديقه

.... كبيراً

110- .... جهز من أجل صديقه

.... لوسطه

.... جهز من أجل صديقه

.... جهز من أجل صديقه

.... جهز من أجل صديقه

115- .... جهز من أجل صديقه

....

.... جهز من أجل صديقه

.... لقدميه، جهز من أجل صديقه

.... زنة .... من العاج ...

120- .... بمقبض زنة .... من الذهب جهز من أجل صديقه

.... قوية .... لذراعها جهز من أجل صديقه

.... بجعبة .... وبمقبض بوزنة ذهب جهز من أجَل صديقه

.... من ذراعه كان عاجاً

...لها مقبض بزنة أربعين مناً من الذهب جهز من أجل صديقه

125- .... ثلاثة أذرع كان طولها

.... كان سمكها، جهز من أجل صديقه

.... من الذهب الخالص

.... من العقيق، قضيباً من الحديد

.... ثوراً وحشياً

130- .... من أجل صديقه

نحر ثيراناً وأغناماً مسمنة وكدسها من أجل صديقه

.... الإله شمش ....

.... حملوا كل اللحم إلى حكام العالم السفلي

.... الملكة العظيمة عشتار

135- عصا الرماية من .... الخشب اللامع

من أجل الملكة العظيمة عشتار عرض أمام الإله–الشمس (قائلاً):

'عسى الملكة العظيمة عشتار.... أن تقبل هذا

عساها أن ترحب بصديقي وتسير بجانبه!'

....

140- من أجل نامَر–صِت[50] عرض أمام الإله–الشمس (قائلاً):

'عسى نامَر–صِت .... أن يقبل هذا

عساه أن يرحب بصديقي ويسير بجانبه!'

قربة من اللازورد ....

....

145- من أجل ايرش–كيجال، ملكة العالم السفلي، عرض أمام الإله–الشمس (قائلاً):

'عسى ايرش–كيجال،ملكة العالم السفلي الفسيح، أن تقبل هذا

عساها أن ترحب بصديقي وتسير بجانبه!'

ناياً من العقيق ....

من أجل دموزي، الراعي محبوب عشتار، عرض أمام الإله–الشمس (قائلاً):

150- 'عسى دموزي، الراعي محبوب عشتار، أن يقبل هذا

عساه أن يرحب بصديقي ويسير بجانبه!'

كرسياً من اللازورد ....

صولجاناً من اللازورد .....

لنمتار، وزير العالم السفلي، عرض أمام الإله–الشمس (قائلاً):

155–'عسى نمتار، وزير العالم السفلي الفسيح، أن يقبل هذا

عساه أن يرحب بصديقي ويسير بجانبه!'

....

من أجل خشبيشا[51]، قهرمانة العالم السفلي، عرض أمام الإله–الشمس (قائلاً):

160– عسى خشبيشا، قهرمانة العالم السفلي، أن تقبل هذا

عساها أن ترحب بصديقي وتسير بجانبه!'

صنع ....

مشبكاً من الفضة، سواراً من ....

من أجل قَسّو–طابة[52]، كنّاس ايرش–كيجال، عرض أمام الإله–الشمس (قائلاً):

165– 'عسى قَسّو–طابة، كنّاس ايرش–كيجال، أن يقبل هذا

عساه أن يرحب بصديقي ويسير بجانبه!

عسى صديقي أن لا ....ولا يمرض بالقلب!'

.... من الرخام، في الداخل مطعم باللازورد والعقيق

ممثلاً صورة غابة الأرز

170– .... مطعم بالعقيق

من أجل ننشولوخّا **Nin uluhha** ....، منظفة البيت، عرض أمام الإله–الشمس قائلاً:

عسى ننشولوخّا .....منظفة البيت أن تقبل هذا

عساها أن ترحب بصديقي وتسير بجانبه!

عساها أن .... أمام صديقي

175- عسى صديقي أن لا .... ولا يمرض بالقلب!'

خنجراً مزدوج النصل بمقبض من اللازورد مزيناً بصورة الفرات الطاهر

....من أجل بِبّو Bibbu، قصاب العالم السفلي، عرض أمام الإله-

الشمس (قائلاً):

'عسى ببّو، قصاب العالم السفلي الفسيح، أن يقبل هذا

عساه أن يرحب بصديقي ويسير بجانبه!'

180- .... بظهر من الرخام

من أجل دموزي-آبسو، ضحية العالم السفلي، عـــرض أمـــام الإلـــه-

الشمس

(قائلاً):

'عسى دموزي-آبسو، ضحية العالم السفلي الفسيح أن يقبل هذا

عساه أن يرحب بصديقي ويسير بجانبه!'

.... قمته من اللازورد

185- .... مطعماً بالعقيق

من أجل ....، عرض أمام الإله-الشمس (قائلاً):

'عسى ....، أن يقبل هذا

188- عساه أن يرحب بصديقي ويسير بجانبه!'

"يوجد خرم في النص، يشمل 11 سطراً، في السطور التي تلي الخرم يبـــدو المتحدث شخصاً آخر غير جلجامش"

208- ' .... الذي نحن ....

.... أسماؤهم ....

210- .... قاضي الأنوناكي ....'

أصغى جلجامش لهذه الكلمات

واستلهم فكرة سد النهر

وعندما لاح أول خيط من الفجر

فتح جلجامش بوابته

215- **نصب منضدة عظيمة من خشب ايلماكُ**

وملأ بالعسل صحناً من العقيق

ملأ بالزبدة صحناً من اللازورد

زين .... وعرضها أمام الإله –الشمس

.... وعرضها أمام الإله –الشمس

"بقية اللوح مخرومة وتتضمن حوالي ثلاثين سطراً لم يزل محتواهـا مجـهولاً ولكنها تصف، على وجه التأكيد، مراسم دفن أنكيدو. ولعل الاكتشافات الأثريـة تمدنا في المستقبل بنسخة سليمة لهذا الجزء من اللوح الثامن".

إن هذه السطور من اللوح الثامن من "ملحمة جلجامش" تـدل بشـكل واضح على أن الغاية من التجهيزات الجنائزية التي كانت تدفن في القبور مع الأموات لم تكن لاستعمالها من قبل روح المتوفى في العالم السفلي، كمـا يفـترض بعـض الباحثين، و لم تكن مُقتصرة على الحاجيات الشخصية التي كان المتوفى قد اسـتعملها في أثناء حياته، وإنما تشمل أثاثاً ومواد جديدة هُيِّئت خصيصاً لتُدفن في القـبر مـع

جسد المتوفى لتنـــزل مع روحه إلى العالم السفلي حيث يقوم هناك بتقديمها إلى آلهـــة ذلك العالم بُغية نيل رضاهم وكسب شفاعتهم وحسن معاملتهم للروح ذاتها طـــوال إقامتها الأبدية في عالم الأرواح.

أما النوع الثاني من الشعائر الجنائزية فيشمل الشعائر التي كـــانت تقـــام في أوقات معينة من أجل الأموات الذين مرَّت على وفاتهم ودفنهم مددٌ مختلفـــة، وقـــد يكون أولئك الأموات من أجيال سابقة. وهناك إشارة واضحة لهـــذا النـــوع مـــن الشعائر الجنائزية وردت في أحد نصوص الملك الآشوري آشور-بانيبـــل (668-627 ق.م) الذي يذكر فيه:

"لقد قمت باستئناف الشعائر التي تشمل تقديم الطعـــام والشـــراب إلى أرواح الملوك السالفين بعد أن كانت مهملة، وأنجزت كل ما هو حســـن للإلـــه والإنسان، للميت والحي"(53)

ويرد في النصوص الآشورية ذكر شخص اسمه "قردي-آشور-لامر" كـــان يمتلك أرضاً قرب العاصمة الآشورية القديمة آشور (قلعة الشرقاط حالياً) وتوارثتـــها عائلته. وتروي تلك النصوص أن هذا الشخص وعائلته كانوا ملتزمين بإقامة الشـعائر الجنائزية لأرواح الملوك المدفونين في مدينة آشور وكذلك لأرواح الذين كانوا يُقتلون في الحروب من الآشوريين، وأن هذا الالتزام استمر حتى بعد انتقال مقر العاصمـــة الآشورية بشكل نهائي من آشور(54). ومن النصوص المهمة المتعلقة بهذا النوع مـــن الشعائر الجنائزية نذكر إحدى الرسائل الموجهة إلى زمـــري- لم (1778-1761ق.م)، ملك ماري (تل الحريري حالياً)، من قبل كربي-دجان، حاكم مدينة تيرقـــا (تـــل عشارة في سورية حالياً). ففي هذه الرسالة يبلغ كربي-دجان الملك أن الإله دجـــان

طلب بواسطة كاهن-مخّو مواصلة الشعائر الجنائزية لروح يخدون- لم أبي زمـــري- لم، وهي الشعائر التي يبدو أن الأخير كان قد انقطع عن أدائها في تيرقا لابتعـــاده عـــن المدينة[55].

وكان هناك موعدان لإقامة هذا النوع من الشعائر الجنائزية أحدهما شـــهري والآخر سنوي. والموعد الشهري كان في اليوم التاسع والعشرين من الشـــهر حـــين يكون القمر في المحاق، ويطلق عليه في اللغة الأكدية بِبُلُ (bibbulu)، وكان يعتقد أنه يومٌ تجتمع فيه أرواح الموتى في العالم السفلي ويتوجب فيه على الأحياء أن يقدمـــوا لأجلها القرابين ويقيموا الشعائر الجنائزية[56]. وقد وُصف هـــذا اليـــوم في أحـــد النصوص الأكدية أنه:

"يوم القرابين الجنائزية، يوم سكب الماء (إلى أرواح الموتى)"[57]

وأُطلقت عليه نعوتٌ مقترنة بالشعائر الجنائزية التي كانت تقام فيه، ومن تلك النعوت "يوم وليمة الموتى"، "يوم الكدر"، و"يوم الندب"[58].

أما الموعد السنوي لإقامة الشعائر الجنائزية فكان في شهر آب، وهو الشـــهر الخامس في السنة البابلية التي كانت تبدأ في شهر نيسان. وكانت القرابـــين تُقـــدّم لأرواح الموتى في ذلك الشهر وتُرفع المشاعل من أجلها[59]. وقد اعتُبر اليوم التاســـع من شهر آب يوماً خاصاً فيما له علاقة بالشعائر الجنائزية إذ يشار إليه في النصـــوص المسمارية بأنه اليوم الذي تنعتق فيه أرواح الموتى في العالم السفلي[60]. وهناك عـــدّة إشارات في الرسائل الملكية القديمة حول الشعائر الجنائزيـــة وتجـــهيزاتها والتحضـــير لإقامتها في شهر آب. ومن بين هذه الرسائل رسالة من "عمـــي-ديتانـــا" (1683-1647ق.م)، الملك التاسع من السلالة البابلية الأولى، إلى أحد أتباعه مـــن حكّـــام الولايات يأمره فيها بتوفير الحليب والزبدة اللاّزمين للقرابين الجنائزية الخاصة بشـــهر آب. ويَرِد في نص هذه الرسالة على لسان الملك:

"يجب تجهيز كميات الحليب والزبدة الخاصة بالقرابين الجنائزية لشهر آب. حالما تقرأ لوحي هذا مُرْ أحد أتباعك أن يجمع ثلاثين بقرة ومكيال 'بي' واحد من الزبدة ويأتي بها إلى بابل حيث يبقى حتى الانتهاء من الشعائر الجنائزية. دعه يجهز الحليب من دون إبطاء وليأت على عجل"[61].

وقد اكتُشفت رسالة أخرى من عصر سلالة بابل الأولى أيضاً، ومرسلها سمسو-ديتانا (1692-1595 ق.م) آخر ملوك السلالة، يطلب فيها تجهيز كمية من السلاحف لتقديمها في القرابين الجنائزية لشهر آب[62]، ويذكر أيضاً بعض الأصناف من الأطعمة ومواد فضيّة وجلدية فضلاً على قدور وسلال[63]. ومن الجدير بالذكر أن السلحفاة كانت تُعتبر أحد رموز نرجال، إله الموت وحاكم العالم السفلي، وتُستعمل في صناعة بعض الأدوية فضلاً على استعمالها في طقوس طرد الأرواح الشريرة[64]. وفضلاً على شهر آب وردت إشارة في أحد النصوص الآشورية إلى شعائر جنائزية كانت تقام سنوياً في شهر شباط لأرواح الموتى[65]. وشهر شباط كان الشهر الحادي عشر من السنة في التقويم القديم لبلاد الرافدين.

لقد كانت الغاية الرئيسة من إقامة الشعائر الجنائزية، كما سبقت الإشارة، إرضاء الآلهة عموماً سواء من كان منهم في العالم السفلي أم من كان من آلهة العالم العلوي. أي أن العمل على إرضاء الآلهة، من خلال تقديم القرابين الجنائزية، لم يكن مقتصراً على آلهة العالم السفلي. وكذلك لم يكن تقديم تلك القرابين لصالح أرواح الأموات فقط وإنما لصالح الأحياء أيضاً. وبهذا الصدد نقرأ في أحد النصوص المسمارية: **"قدّم القرابين الجنائزية فيحقق الإله انليل لك رغباتك"**[66]. وفضلاً على القرابين المقدمة في المراسم الجنائزية كانت هناك ولائم خاصة بآلهة الموت تقام في أوقات معينة لنيل بركتها ورضاها على الأحياء وتجنب غضبها عليهم. وهذا ما

يتّضح من إحدى الترانيم السومرية لشلجي (2094-2047 ق.م)، ثاني ملوك سلالة أور الثالثة، ويرد فيها على لسان ذلك الملك:" **أنا الذي أقام الولائم الجنائزية للآلهة وعرف كيف يشبع آلهة انوناكي**"[67]. ونظر إلى القرابين الجنائزية أيضاً على أنها مدعاة لجلب الخير والبركة في عالم الأحياء، إذ يرد في أحد النصوص الأكدية: "**انك تقدم القرابين الجنائزية من أجل الحقل الذي لا ينتج، وتقدم القرابين الجنائزية من أجل الأقنية التي لا تجلب الماء. إنك تقدم القرابين الجنائزية إلى آلهة العالم السفلي**"[68].

والغاية الأخرى من أقامة الشعائر وتقديم القرابين الجنائزية، إطعام أرواح الموتى وإرواء أرواحهم الظمأى في العالم السفلي. فالميت الذي لم يكن له من يُعنى بإقامة الشعائر الجنائزية من أجله كانت روحه تعاني معاناة قاسية في العالم السفلي، وهذا ما نعرفه من نص اللوح الثاني عشر من ملحمة جلجامش. ففي هذا النص يجيب شبح أنكيدو، القادم من العالم السفلي، على سؤال جلجامش له عن حالة روح من ليس له أحد في عالم الأحياء يتابع إقامة الشعائر الجنائزية وتقديم القرابين من أجله. ويكون جواب أنكيدو أن تلك الروح لا تحصل سوى على فضلة القدر وفتات الخبز الملقاة على الدرب. وترجمة هذا المقطع من النص كما يأتي:

"'هل رأيت روح من ليس له أحد يقدم القرابين الجنائزية؟'

'لقد رأيته'

'كيف هي حاله؟ '

'إنه يأكل فضلات القدر وفتات الخبز الملقاة في الدرب'"[69].

وقد بلغت أهمية التقريب من أجل الموتى درجة كبيرة بحيث اعتُبرت معها حاجة الميت للطعام والشراب موازية لحاجته إليهما في حياته. وهذا يتّضح من

نصوص عدد من وثائق التبنّي المدونة باللغة الأكدية التي تجعل من تقـــديم القرابـــين الجنائزية شرطاً لازماً من المُتبنِّي على المُتبنَّى. ومن هذه الوثائق واحدة تتضمن شـــوطاً من امرأة على الفتاة التي تبنّتها ينصّ على ما يأتي: "**في حياتي تقومين بإطعامي، وحين أموت عليك أن تقدمي من أجلي القرابين الجنائزية**"(70).

إن الشعائر الجنائزية، ومن ضمنها القرابين، التي كان هناك اهتمـــام كبـــير وتأكيد في معتقدات سكان بلاد الرافدين القدماء على ضرورة استمرارها، شملـــت تقديم الطعام والماء وإحياء الذكر. وهذه الممارسات الثلاث في الشـــعائر الجنائزيـــة ذُكرت في النصوص المسمارية تحت ثلاثة مصطلحات، وهي:

1- "كِسبَ كَسابُ" (Kispa Kasāpu): يعني هذا المصطلح باللغة الأكديـة "تقديم القرابين الجنائزية" ويرادفه بالسومرية كِ-سِ3- كَا (KI.S.G A)(71). والفعـل ك س ب (Kasāpu) في اللغة الأكدية يعني "قدّم القرابين الجنائزية"(72). وكان هـــذا المصطلح يُطلق على الشعائر التي تُقدم فيها الأطعمة المختلفة من أجل أرواح الموتـــى وتُنحر فيها الخراف(73) ويُقدم النبيذ الأبيض والجعة وجميـــع أنـــواع الفاكهـــة(74). والطريقة التي كانت مُتّبَعة في إقامة الولائم الجنائزية هي أن تُصَّف المقـــاعد للنـــاس حول الأطعمة المقرّبة ويُترك مقعد فارغ لروح المتوفى الذي أقيمت الوليمة من أجلـه. ويطلق على هذا المقعد باللغة الأكدية كُسُّ ايطيمِّ (Kussu eṭemmi) أي "كرســـي الروح" ويرادفه بالسومرية ؟شِ؟و-زا-؟ دِم (gi GU.ZA.GIDIM)(75).

وكانت القرابين الجنائزية تقدم إلى الأموات أيضاً بوضعها أمام تماثيلهم. وقد حفظت لنا النصوص المسمارية إشارات عن هذه الممارســـات إزاء تمـــاثيل الملـــوك المتوفين. فأحد النصوص التي تعود إلى عهد سرجون الأكـــدي (2334-2279ق.م) يتضمن قائمة من الأطعمة، من بينها حَمَل، قُدّمت أمام تمثال لأمير لجـــش المتـــوفي

أنتمينا (من عصر فجر السلالات الثالث)، وعلى الأرجح أن قرابيناً مماثلة قُدمت إلى تمثال جوديا، أمير لجش، بعد وفاته[76]. وتذكر نصوص عصر سلالة أور الثالثة، وكذلك نصوص أخرى من عصور لاحقة مختلفة، أن تماثيل ملوك متوفين كانت تتلقى حصصاً من القرابين في المعابد[77]. وكانت تلك الشعائر تستمر لعصور طويلة بعد الوفاة، إذ يشير أحد نصوص العصر البابلي الحديث إلى إقامة مثل هذه الشعائر أمام تمثال للملك سرجون الأكدي[78]، وهذا يعني أنها أقيمت بعد وفاة سرجون بحوالي 1500 سنة.

2- "نَق ميي" (naq m): ومعنى هذا المصطلح الأكدي "سكب الماء (لأرواح الموتى)" ويكتب بالسومرية ا-بال (A.BAL)، والفعل ن ق ي (naq) في اللغة الأكدية يُضاهي الفعل العربي نقى ومعناه "سكب". وكان يُطلق على مقيم شعائر سكب الماء لأرواح الموتى في اللغة الأكدية "ناق ميي" (nāq m)[79]. ومما يدل على أهمية شعائر سكب الماء، التي تضمن وصول الماء إلى روح الميت في العالم السفلي، ما كان يرد في الأدعية مثل الدعاء المدوّن على إحدى أحجار الكودورّو البابلية (وهي الأحجار التي تحمل نصوص تثبيت ملكية الأراضي وتضمن عدم انتهاكها) ونصه: "**في العلى عسى أن يطيب اسمه وفي العالم السفلي عسى أن تشرب روحه الماء المسكوب**"[80]. وكانت الطريقة الأساسية لتوصيل الماء المسكوب في الشعائر الجنائزية إلى أرواح الموتى في العالم السفلي عبر أنبوب فخاري ينزل عمودياً في الأرض، ويطلق على هذا الأنبوب في اللغة الأكدية اسم اروةُ أو ايروةُ (arūtu, erūtu)[81]. وورد ذكر هذا الأنبوب في أحد الابتهالات للإله شمش ونصه: "**عساه (الإله شمش) أن لا يدع أنبوبه لسكب الماء يسقط في (العالم) السفلي**"[82].

لقد كشفت التنقيبات الآثارية عن بعض الأنابيب المخصصة لسكب الماء في الشعائر الجنائزية. ومن هذه الأمثلة المُكتشفة الأنابيب الفخارية التي اكتُشفت تحت أرضية إحدى البنايات في موقع مدينة أور القديمة، وتعود إلى عهد شلجي، الملك الثاني في سلالة أور الثالثة. وهذه الأنابيب مُكوّنة من عدة حلقات فخارية متصلة ببعضها، ويبلغ ارتفاع كل قطعة ثلاثة أقدام وقطرها حوالي خمسة أقدام. أما طول الأنبوب الكلي فقد يصل إلى ثلاثين أو أربعين قدماً، وكانت فتحته العليا، في أرضية الغرفة تُغطى بغطاء فخاري مُثقّب، ووُجدت بعض الأنابيب بدون غطاء عُلوي، وفي جوانب الأنبوب توجد ثقوب. ومن الواضح أن هذه الأنابيب قد استعملت لمدة طويلة[83]. وأنها لم تكن مخصصة لتصريف المياه وإنما لشعائر سكب الماء، ذلك أنها كانت متعددة في البناية نفسها بما يفوق الحاجة لتصريف المياه من البناية. وفي إحدى الغرف الصغيرة وجد اثنان من هذه الأنابيب يترلان تحت الأرضية بعمق يصل إلى حوالي خمسة عشر قدماً ويبلغ قطر كل منهما ثلاثة أقدام، ولم يكن البيت أو المعبد يحتاجان لمثل هذا العدد من الأنابيب لتصريف مياههما. ومما يؤيد الوظيفة الشعائرية لهذه الأنابيب أنه عُثر في أسفلها على آنية فخارية من النوع الذي كان مستعملاً في تقديم القرابين. ومن الواضح أن تلك الآنية لم تسقط بالصدفة في الأنابيب المعنية، إذ أنه وُجد في أسفل أحدها ما يقرب من أربعين إناءً مرة واحدة[84]. ومما يجدر ذكره هنا أن الآنية الفخارية التي كانت تستعمل في سكب الماء في الشعائر الجنائزية تسمى في اللغة الأكدية "مَقّيةُ" (maqqītu)، "مَقّو" (maqq)[85]، و"مُنَقّيةُ" (munaqqītu)[86].

وقد عُثر في عدد من الأضرحة في "المقبرة الملكية" في أور، التي سبق الحديث عنها في هذا الفصل، على منافذ خاصة لسكب الماء إلى العالم السفلي. إذ عُثر في القبر رقم (1054) على منفذٍ خاص لهذا الغرض، ووُجد ثقب في أرضية المدخل

المنحدر لكل من القبرين رقمي (789) و(800)، ويبدو أنها استُعملت للغرض نفسه. وعند كل من القبرين رقمي (337) و(1237) اكتشفت دكّة خاصة بالقرابين الجنائزية كان الماء المسكوب من كل منهما ينزل إلى القبر الذي خصصت له الدكّة[87]. وقد سبقت الإشارة، في الفصل الثاني من هذا الكتاب، إلى الفتحة الموجودة في القبر رقم (7) في تل السيب (موقع مدينة ميتورناة القديمة في منطقة ديالى في العراق) الذي اكتشفه المؤلف وكان الماء يُسكب من خلال هذه الفتحة إلى فوهة وعاء فخاري بشكل الزمزمية (انظر الصورتان -2- و-3-).

3- "شُمَ زَكارُ" (šuma zakāru): مصطلح أكدي يعني "ذكر الاسم". وربما لم يكن هذا المصطلح يدل على شعائر محددة ولكنه يشير، بشكل عام، إلى كل ممارسة من شأنها أن تبقي الذكر الحسن للمُتوفَّى في عالم الأحياء. فمن جهة كان استمرار ذكر المتوفى يمثل نوعاً من الخلود الذي قد تصح تسميته "الخلود الممكن" (من قبيل "والذكر للإنسان عمر ثان"). فهذا الفهم للخلود كان ماثلاً في فكر حضارة بلاد الرافدين القديمة واعتُبر بديلاً عن الخلود المادي المستحيل على الإنسان. فحتى جلجامش كان، قبل أزمته مع الموت حين شاهد صديقه أنكيدو يفارق الحيلة، يُؤمن بأن خلود الذكر ينبغي أن يكون هدفاً سامياً للإنسان في حياته. ويظهر ذلك جلياً في خطاب جلجامش إلى أنكيدو حين يحذّره الأخير من مغبة السفر إلى غابة الأرز ومواجهة خطر القتال مع حارسها الوحش خمبابا، إذ يقول جلجامش:

"من يا صديقي علا (حتى) السماوات؟
الآلهة هم مع الشمس للأبد يمكثون
البشر معدودة أيامهم
وكل ما يفعلونه باستمرار مجرد هواء

وأنت هنا تخاف الموت؟

لماذا بطولتك الصلبة؟

لأذهبنَّ أمامك

ليصيح فمك: 'اقتحم لا تخف'

فإذا سقطتُ سأعزز اسماً لي (كلما يقولون):

'جلجامش مع خواوا الوحش

خاض نزالاً' "(88)

ومن جهة أخرى كان استمرار النسل وإنجاب الأبناء يمثل استمراراً، بشكل أو بآخر، للإنسان في الحياة وخير وسيلة لاستمرار ذكره. وبحسب المعتقدات القديمة كان لاستمرار ذكر الاسم، عن طريق وجود الأبناء، أثر كبير في تحسين حالة روح الأب المتوفى في العالم السفلي. وكان يعتقد أن حالة تلك الروح كانت تنتقل إلى حال أفضل كلما كان عدد الأبناء في عالم الأحياء أكبر. ويرد أوضح تعبير عن هذا المعتقد في "ملحمة جلجامش" أيضاً حين يجيب شبح أنكيدو القادم من العالم السفلي على أسئلة جلجامش عن حالة أرواح الموتى بحسب إنجابهم أو عدم إنجابهم للأبناء في حياتهم. وفيما يأتي ترجمة نص أسئلة جلجامش عن ذلك وأجوبة شبح أنكيدو عليها:

255- "'هل رأيت الرجل الذي له ابن واحد؟ '

'رأيته'

'كيف حاله؟ '

'يبكي بحرقة على الوتد الموجود في جداره'

'هل رأيت الرجل الذي له ابنان؟ '

'رأيته'

'كيف حاله؟ '

'جالساً على آجرتين يأكل خبزاً'

'هل رأيت الرجل الذي له ثلاثة أبناء؟ '

'رأيته'

'كيف حاله'

260- 'إنه يشرب ماءً من قربة معلقة على مسند'

'وهل رأيت الرجل الذي له أربعة أبناء؟ '

'رأيته'

'كيف حاله؟ '

'مثل رجل له زوجان من الحمير، إنه سعيد القلب'

'وهل رأيت الرجل الذي له خمسة أبناء؟ '

'رأيته'

'كيف حاله؟ '

'مثل كاتب حذق ماهر اليد يدخل القصر بيسر'

265-'وهل رأيت الرجل الذي له ستة أبناء؟ '

'رأيته'

'كيف حاله؟ '

'مثل حارث عنده زوج من الحيوانات، إنه سعيد القلب'

'وهل رأيت الرجل الذي له سبعة أبناء؟ '

'رأيته'

'كيف حاله؟ '

'في وسط الآلهة الصغار يجلس على عرش ويستمع للوقائع'

'وهل رأيت الرجل الذي ليس له وريث؟ '

'رأيته'

' [كيف] حاله؟ '

270-**'إنه يأكل خبزاً مثل آجرة مشوية في أتون'''**(89)

ولعله يمكننا اعتبار كل ما يؤدي إلى استمرار ذكر المتوفى في عالم الأحياء جزءاً من ممارسة "ذكر الاسم" بما في ذلك شعائر الحداد أو إحياء ذكرى الوفاة أو حرق البخور. وكان في انقطاع ذكر المُتوفّى خطر جسيم يتمثل في احتمال صعود روحه من العالم السفلي بشكل شبح مؤذٍ يسعى للانتقام من الأحياء مثلما كان يحدث للأرواح التي تنقطع عنها شعائر تقديم القرابين وسكب الماء. ويرد في النص المسماري لإحدى التعاويذ تحديد للأشباح التي يُعتقد باحتمال صعودها لمطاردة الأحياء، وهم:"**شبح المنسي وشبح الذي لا يُذكر اسمه وشبح الذي ليس له أحد**"(90). وبسبب هذه الأهمية التي اكتسبتها الشعائر الجنائزية بالنسبة لأرواح الموتى فقد أصبح إهمالها وقطعها وسيلة من أشد وسائل الانتقام من الأموات ومن ذويهم الأحياء. وكان الدعاء بانقطاع الذكر والحرمان من الشعائر الجنائزية من الفقرات المتكررة في نصوص الاتفاقيات والمعاهدات والعقود وعلى المسلات. ونورد هنا من خاتمة "شريعة حمورابي" الشهيرة بعض الدعوات التي سطرها حمورابي على كل من يُسيء لشريعته أو يُحرّفها أو يُسيء لنصّها مثل "**عسى (الإله انليل) أن ينطق بفمه المبجل هلاك مدينته، تفسخ ناسه، تبدل ملوكيته، انعدام اسمه وذكره في البلاد**"(91)، "**لتغلبه الكلمة الناقمة للإله شمش سريعاً. في العلى لينسخه من الحيلة.**

في الدنى، في (باطن) الأرض، ليجعل روحه تظمأ للماء"[92]، و"**الإلهة ننتو، السيدة السامية للبلدان، الأم، خالقي، عسى أن تحرمه من الوريث، وعسى أن لا تهبه اسماً، عسى أن لا تبني، في وسط ناسه، ذرية الإنسانية"**[93].

ونقرأ في نصوص الملك الآشوري آشور-بانيبال أنه قد انتقم شر الانتقام من العيلاميين بنبش قبور ملوكهم السابقين ومنع إقامة الشعائر الجنائزية لهم ويذكر بالنص: "**أقلقت راحة أرواحهم إذ حرمتهم من القرابين الجنائزية وسكب الماء"**[94].

لقد كانت الشعائر الجنائزية تقام إما من قبل عائلة المتوفى أو بواسطة بعض الأشخاص المحترفين والكهنة المختصين بهذا النوع من الشعائر. ويحدد نص إحدى التعاويذ، الخاصة بطرد الأشباح، الأقارب الذين يتحملون مسؤولية إقامة الشعائر الجنائزية وهم الأخ والأخت والابن والابنة والوريث والأقارب الوثيقو الصلة بالمتوفى[95]. ويبدو أنه كان معتاداً أن تشترك نساء العائلة في الشعائر الجنائزية وذلك بدلالة ما وُثّق عن الأسر الحاكمة حين تقام الشعائر الجنائزية لأعضائها المتوفين، وتشير النصوص الآشورية إلى مشاركة زوجة الملك المُتوفّى وابنته وزوجة ولي العهد بدورٍ مهمٍ في المأتم الملكي[96]. وقد سبق أن اطلعنا في الفصل الأول من هذا الكتاب على نص شاهد قبر أدد-جبي، أم الملك البابلي الأخير نبونائيد، الذي تذكر فيه، عن مشاركتها في الشعائر الجنائزية المقامة للملوك السابقين، ما يأتي:"**جعلت نبونائيد، الابن الذي أنجبته، يخدم نبوخذ نصّر (الثاني)، ابن نبو بولاصر، ونرجلسر، ملك بابل، فأدى واجبه تجاههما صباحاً ومساءً وكان يعمل كل ما يرضيهما. وهو قد جعل لي اسماً حسناً أمامهما فمنحاني مركزاً سامياً كما لو كنت ابنتهما الحقيقية .... وأنا واصلت تقديم القرابين الجنائزية لهما وتهيئة نذور البخور الوافر الزكي الرائحة وتقديمه لهما على الدوام"**[97]. وكان للوريث الدور الرئيس في إقامة

الشعائر الجنائزية حتى أنّه كان من أقسى الدعوات التي توجه للشخص المسيء الحرمان من الوريث. ويرد في أحد النصوص المسمارية، بهذا الصدد، ما يأتي: "**عسى أن يحرمه الإله ننورتا من الوريث الذي يسكب له الماء**"[98]. وسنأتي في موضوع الحداد والأثر الاجتماعي للموت على ذكر الكهنة الذين كانوا يُكَلّفون بندب الموتى وإقامة الشعائر الجنائزية لهم.

الحداد والمراثي

إن الحداد على المتوفين والمراثي التي يندبهم بها الأحياء يعبران عن المشاعر التي كان الموت يثيرها عند سكان بلاد الرافدين القدماء مثلما يعبران عن العاطفة التي كانوا يكنونها لأقربائهم ومعارفهم المتوفين. وفي الوقت نفسه يمثل الحداد والمراثي تعبيراً، بشكل أو بآخر، عن مفهوم الموت والنظرة إليه في ظل العقائد الدينية القديمة. وفي المآتم الرسمية يمكن لمراسم الحداد والمراثي أن تعطينا صورة عن الحالة التي يكون عليها المجتمع والبلاد حين يموت الملك أو إحدى الشخصيات المهمة في الدولة.

ويمكن تلخيص أهمية هذا الموضوع في دراسة عقائد ما بعد الموت باعتباره يوضح لنا جانباً مهماً من فهم الفرد أو المجتمع للموت من خلال التعبير عن المشاعر نحو المُتوفّى، إذ أن هذا التعبير كان بحسب تلك العقائد عاملاً مؤثراً على كلا الطرفين، الأحياء الذين فقدوا أحد أقاربهم أو معارفهم من جهة، والمُتوفّى من جهة أخرى. فبالنسبة للأحياء من عائلة المتوفى وأقاربه وأصدقائه والمجتمع الذي عاش فيه كان الحداد عاملاً مساعداً على تخفيف الحزن والقلق والإحساس بالتوتر الذي يغمرهم. وبالنسبة للمُتوفّى اعتُبر الحداد والحزن الحاصل بعد وفاته بمثابة ضمان بعدم انقطاع ذكره بين الأحياء بعد موته، وبالتالي يُصبح أمراً موحياً بالطمأنينة للفرد إزاء الموت. وقد ظهر هذا الاتجاه بأشكال متعددة منها إقامة الطقوس والشعائر الجنائزية،

التي سبق الحديث عنها، ونخص بالذكر منها هنا شعائر "ذكر الاسم".

وكان هناك اعتقاد عند سكان بلاد الرافدين القديمة أن دمـــوع الأحيـاء ومراثيهم يمكن أن توفر للموتى بعض الراحة. ذلك أنه يمكننا تلمّس أثر الحـــداد في التخفيف من وقع تذكر الموت في نفس الإنسان من خلال مـــا يـــرد في "ملحمـــة جلجامش" في خطاب الإله شمش الموجه إلى أنكيدو وهو يهدئ من روعه حين كـان يُحتضَر، إذ يرد في هذا الخطاب :

"'ثم إن جلجامش، صديقك، وأخيك،

140- سيسجيك على سرير فخم

سيسجيك على سرير المجد

سيضعك على يساره، على كرسي الراحة

وسيقبل حكام الأرض قدميك

سيجعل أهل أوروك يحزنون عليك ويندبونك

145- سيجعل أهل النعيم يمتلئون أسىً عليك

وبعد أن تكون قد رحلت سيكون شعره متلبداً بالحداد

سيجوب البرية متسربلاً بجلد أسد'

سمع أنكيدو كلمات شمش البطل

وبقدر ماكان قلبه غاضباً هدأ

150- بقدر ما كان قلبه مهتاجاً هدأ"[99]

وهنا نلاحظ أن أنكيدو يطمئن ويخف جزعه من الموت على الرغم مـــن أن الإله شمش لم يعده بتخليصه من الموت وإنما اكتفى بإبلاغه بما سيحدثه موتـــه مـــن حزن وحداد.

ومن النصوص المسمارية المهمة فيما يخص موضوعنا هنا النص الذي سبقت الإشارة إليه، وهو نص "موت أور-نمو"، مؤسس سلالة أور الثالثة. لقد اكتشف اللوح الذي يحمل هذا النص المدون بالسومرية بحالة سيئة جداً، واللوح محفوظ حالياً في متحف جامعة فيلادلفيا في أميركا تحت الرقم CBS 4560. وبسبب حالة النص يتعذر تقديم ترجمة كاملة له ولكن يمكن إيجاز محتواه هنا(100). إن العمود الأول من النص مفقود بسبب وجود خرم كبير في اللوح، ومن المرجح أنه كان يتضمن وصفاً أدبياً لمنجزات أور-نمو في الحرب والسلم مع عرض للحوادث التي أدت إلى سقوطه قتيلاً في ساحة المعارك. وهذا ما يتجلّى حينما يكون النص واضحاً في العمود الثاني حيث يرد وصف لمقتل أور-نمو وسقوطه في ميدان المعركة مُثخناً بالجراح وجسده "مثل إناء الفخار المهشم" على حد تعبير النص، ثم ترد إشارة إلى جثمان هذا الملك وهو ممدد على محفة في القصر الملكي والناس يندبونه. بعد ذلك يُبيّن النص أن أور-نمو نزل إلى العالم السفلي (عالم الأرواح) وقدّم الهدايا إلى "الآلهة السبعة" في ذلك العالم ثم ذبح الثيران والأغنام ليقدمها إلى أرواح الموتى المهمّين المقيمة هناك. ويرد في النص أيضاً كيف أن أور-نمو يقدم الهدايا التي تتضمن الأسلحة، الحقائب الجلدية، الآنية، الملابس، الحلي المجوهرات وبقية التجهيزات إلى آلهة العالم السفلي. وهؤلاء الآلهة الذين يتسلّمون هدايا أور-نمو هم، كما يذكرهم النص: نرجال، جلجامش، ايرش-كيجال، دموزي، نمتار، خشبيشاج، وننجشزيدا، كل في قصره الخاص به. ويضيف النص إلى أسماء الآلهة الذين يتسلمون الهدايا أيضاً كلاً من دمبميكج (Dimpimekug) و"كاتبة العالم السفلي" التي يقصد بها "بيلة-صيري" شقيقة دموزي التي تُعرف أيضاً بالصيغة السومرية لاسمها "جشتن-أنّا".

ولا يخبرنا النص عن الكيفية التي نزل بها أور-نمو، وتلك الهدايا التي اصطحبها معه، من القبر إلى العالم السفلي، وربما كان ذلك بواسطة العربات التي

أُشير إليها في أسطر غامضة تتقدم عبارة تذكر "ممر العالم السفلي". ويروي النص أن أور-نمو وصل بعد ذلك إلى الموضع الذي خُصّص لإقامته في العالم السفلي حيث التحق به بعض الموتى، أو بالأحرى أرواحهم، ليكونوا في خدمته على ما يرجّح. وهنا يقوم جلجامش، "أخوه الحبيب" على حد تعبير النص، بشرح قواعد العالم السفلي وأحكامه له. ويستمر النص ليطلعنا على أن أور-نمو "**بعد أن مرت سبعة أيام وعشرة أيام**" يسمع عويل البلاد. ثم إنه يتذكر أسوار مدينة أور التي تركها غير مكتملة البناء وقصره الجديد الذي لم ينجز مراسم التطهير الخاصة بافتتاحه، ويتذكّر زوجته التي لم يعد قادراً على ضمّها وابنه الذي لم يعد قادراً على احتضانه فيسيل الدمع من عينيه ويجهش بالبكاء ويطلق مرثيّة طويلة. ويُفهم مما تبقى من النص أن هذه المرثيّة تتخللها لازمة متكررة هي بمثابة صرخة احتجاج مريرة تعبّر عن أنه على الرغم من تعبّد أور-نمو بإخلاص لآلهته في حياته فإن أولئك الآلهة لم يقفوا إلى جانبه في ساعة الخطر وأن الأمر انتهى به ميتاً وزوجته وأتباعه يذرفون الدمع نادبين إياه. و لم تزل خاتمة النص غير معروفة بسبب انخرام العمود الأخير منه.

لقد وردت في النصوص المسمارية إشارات متفرقة تصف الطريقة التي كان سكان بلاد الرافدين القدماء يعبّرون بها عن أحزانهم على الأموات ويُظهرون علامات الحداد. فكما لاحظنا من خلال عرض مضمون نص موت أور-نمو أن ندب الملك المُتوفّى والبكاء عليه استمر لعدة أيام بعد وفاته. ويخبرنا نص شاهد قبر أدد-جبي، أم الملك البابلي الأخير نبو-نائيد، الذي أوردنا ترجمته في الفصل السابق، أن الحداد قد أُعلن في البلاد كلها لمدة سبعة أيام عبّر الناس خلالها عن حزنهم على موت الملكة-الأم بالمآتم ونثر الطين على الرؤوس. ويُفهم من إحدى الرسائل الموجهة إلى الملك الآشوري سرجون الثاني (721-705 ق.م) أن جثمان سلفه الملك المُتوفّى، الذي يُفترض أن يكون شلمنصر الخامس (726-722 ق.م)، قد سُجّي لإلقاء النظرة

الأخيرة عليه لمدة ثلاثة أيام ثم نقل إلى مدينته اربائيل (أربيل حالياً) حتى يعرض ليـــومٍ آخر فيها[101].

وفي رسالة آشورية تعود إلى عهد سلالة سرجون الثاني في العصر الآشـــوري الحديث معلومات تخصُّ إجراءات الحداد الرسمي حين وفاة الملـــك. وتنـــصُّ هـــذه الرسالة على ما يأتي:

"في اليوم الذي نسمع فيه 'أن الملك قد توفي' يعلن أهل آشور الحـــداد. المحافظ يجعل زوجته تخرج من القصر، وتقوم بـــإحراق جـــدي، ويوجـــه قـــائد (العسكر) ليسيطر على مبنى حاكمية المدينة. يصطف ضباطه، وهـــم مرتـــدون بدلات الحداد وواضعون أطواقاً ذهبية، أمام حاكم المدينة. قيســـايا (Qisaya)، المرتل، سوية مع بناته، ينشدون أمامهم"[102].

ومما يُلاحظ في هذا النص أن الكاتب استعمل الزمن المضارع للأفعال الـــتي تخبر عن إجراءات الحداد[103]. وتفسيرنا لهذا أن النص لا يتحدث عن واقعة مـــوت ملك معين بقدر ما يورد الإجراءات التي يتوجب اتخاذها في مراسم الحداد الرسمـــي عندما يموت الملك أياً كان ذلك الملك. ونضيف إلى ما يتضمنه هذا النـــص إشـــارة تخص الحداد الرسمي في البلاط الآشوري ترد في أحد النصوص المكتشفة في مكتبـــة الملك الآشوري آشور-بانيبال، ويبدو أن موضوع هذا النص يدور حول أحد المـــآتم الملكية، وهذه الإشارة تدل على اشتراك الرجال والنساء في ندب المُتوفّى بجوقتـــين إحداهما من النساء والثانية من الرجال، إذ يرد في النص **"وكانت النســـاء يندبـــن، والأقران يجيبون"**[104].

وهناك ثلاثة من النصوص الأسطورية أوالملحمية المسمارية تتضمن إشـــارات عن الحداد وطريقة التعبير عن الحزن على فقد الأموات. وعلى الرغم مـــن أن هـــذه

الإشارات ترد في سياقات أسطورية فإنها تعبر عن ما كان يُمارس في عالم البشر في الظروف المشابهة. ذلك أنه كان في النصوص الأسطورية انعكاسٌ للكثير من تصرفات البشر ومشاعرهم، وفي أحيان كثيرة تكون تلك التصرفات والمشاعر مما لا يمكن التعبير عنه في نصوص أدبية تدور مواضيعها حول البشر أنفسهم. أما تلك النصوص الثلاثة فهي "أسطورة ادابا"، "نزول إنانا (عشتار) إلى العالم السفلي" بروايتيها السومرية والأكدية، و"ملحمة جلجامش".

ففي " أسطورة ادابا" المدونة باللغة الأكدية إشارة إلى لبس ثوب الحداد على الأموات. ويرد ذلك حين ينصح الإله ايا ادابا أن يلبس ثوب الحداد حتى يكسب رضى تموز وننجشزيدّا بتظاهره أنه في حداد حزناً على انتقالهما من العالم العلوي إلى العالم السفلي للانضمام إلى مجمع آلهته، وذلك في معرض تشبيه انتقالهما ذاك بموت البشر ونزول أرواحهم إلى العالم السفلي. وحين ينفذ ادابا وصية ايا ينجح في إثارة فرح تموز وننجشزيدا لاطلاعهما على أن هناك من حزن على غيابهما ولبس ثوب الحداد اعتقاداً بموتهما. وفيما يأتي قراءة الأسطر التي تتضمن نصيحة ايا باللغة الأكدية وترجمتها بالعربية:

"إنَ باب انِ[دموزي وجِشزيدا]: عند باب آنو،[دموزي وننجشزيدا]

ازِّزّو إمَّروك إلتَنآلوكَ ايطلُ : واقفان، يريانك، 'يا فتى

أنَ مَنِ كآ ايماةَ ادابا أنَ مَنِّ : لماذا أنت هكذا، يا ادابا لماذا

كَرَّ لَبشَةَ إنَ ماتِنِ الُ شِنَ خَلقَمَ: لابسٌ ثوب الحداد؟ ' (فتجيبهما):

'من بلادي هناك إلهان مختفيان'" (105)

وفي أسطورة "نزول إنانا (عشتار) إلى العالم السفلي" يرد وصف حزن ننشوبر، رسول إنانا في الرواية السومرية، على غياب الإلهة في العالم السفلي. فبعد

مضي ثلاثة أيام وثلاث ليال على غياب إنانا ملأ ننشوبر السماء ندباً عليها ونــاح في مجمع الآلهة وفي "بيت الآلهة" وهو يلطم عينيه وفمه من شدة الحزن ويرتدي ثوباً رثــاً مثل ثوب المتسول ويهيم وحيداً"[106]. أما في الرواية الأكدية فإنّ من يعلــن الحــداد على غياب عشتار في العالم السفلي هو پاپ-سُكّال، ويرد في النص بخصوص ذلك:

" پاپ-سُكّال سُكّال إيلان رَبُوتِ قُدُّد أبّشُ پانوشُ:

كَرُّ لَبش مَلي نــَ ....:

إلّك أنخِش إنَ پان سين أبِشُ إبَكِّ:

إنَ پان ايا شَرِّ إلّكَ دماشُ:

إشتار أنَ ايرصيةٍ اُردِ اُل إلَ:

باب-سُكّال، وزير الآلهة العظام، طأطأ رأسه

لابسٌ ثوب الحداد منتزع ....

ذهب ذليلاً، أمام الإله سين، أبيه، يبكي

في حضرة الإله ايا، الملك، تسيل دموعه

'عشتار إلى (باطن) الأرض نزلت (و) لم تصعد'"[107]

والآن نأتي على صورة الحزن المرير والحداد والرثاء التي تقدمــها "ملحمــة جلجامش" حين تصف حالة جلجامش عند وفاة صديقه أنكيدو في اللوح الثامن مــن الملحمة. وفيما يأتي ترجمة للمقطع الذي يتضمن ذلك الوصف:

1- "عند أول نور من الفجر

بدأ جلجامش ندبه لصديقه

'أواه يا أنكيدو، يا من أمك ظبية

وأبوك، حمار الوحش، وهما قد ربياك

5- يا من أرضعته الحمر الوحشية الحليب

يا من علمته وحوش البرية على كل المراعي

أواه يا أنكيدو عسى مسالك غابة الأرز

أن تندبك بلا انقطاع صباحاً ومساءً

عسى شيبة أوروك-الحظيرة الولود أن يندبونك

10- عسى المجمع الذي باركنا أن يندبك

عسى الذرى الشامخة للتلال والجبال أن تندبك

...... الطاهر

عسى المروج أن تنوح مثل أم لك

عسى أن تندبك أشجار البقس، السرو والأرز ،

15- تلك التي زحفنا من بينها في عنفوان غضبنا

ليندبك الدب، الضبع، النمر، الفهد، الأيل والثعلب

الأسد، الثور الوحشي، الريم، الوعل، كل وحوش البرية

عسى أن يندبك نهر الكارون المقدس

ذاك الذي مشينا على ضفافه في اندفاعنا

20- ليندبك نهر الفرات الطاهر الذي صببنا ماءه في (شعائر) السكب من القرب

عسى فتية أوروك ذات الأسوار أن يندبونك

وهم الذين شهدوا نزالنا حين قتلنا ثور السماء

ليندبك الحارث في أخاديد حقله

حين يطري اسمك بمواله الشجي

25- عسى أن يندبك.... أوروك-الحظيرة الولود

حين يطلق اسمك مع أول ....

ليندبك الراعي في حظيرته

وهو الذي جلب لفمك الحليب والزبد

ليندبك الصبي الراعي ......

30- الذي جهز السمن لشفتيك

ليندبك الخمَّار .....

وهو الذي وفر الجعة لفمك

عسى بنت الهوى .... أن تندبك

وهي التي ..... ضمختك بالزيت العطر

35- عسى.... في بيت الأعراس أن يندبك

وهو الذي ..... زوجة.....

عسى .... أن يندبك

عسى .... أن يندبنك ندب الأخوات

لتنسدل ضفائرهن على ظهورهن مثل الأخوات

40- .... على أنكيدو، أمك وأبوك ....

وفي هذا اليوم سأندبك أنا

اسمعوني أيها الفتية، اسمعوني

اسمعوني يا شيبة أوروك الولود، اسمعوني

سأبكي على أنكيدو، صاحبي

45- مثل ندّابة سأنوح بأسى

يا فأساً بجنبي وعليها اتكأت ذراعي

يا خنجراً في وسطي ودرعاً بمطلعي

يا كسوة عيدي وطوق بهجتي

أي ريح شريرة هبت واستلبتني؟

50- آه ياصديقي، حمار الوحش الجامح، حمار الجبل، نمر البراري

صديقي أنكيدو، حمار الوحش الجامح، حمار الجبل، نمر البراري

بتآزرنا ارتقينا الجبال

أمسكنا ثور السماء وقتلناه

حطمنا خمبابا الساكن في غابة الأرز

55- والآن أي نوم هذا الذي غلبك

فأصبحت غائباً عن الوعي لاتسمعني؟

ولكنه (أنكيدو) لم يرفع رأسه

تحسس قلبه، ولكن ما من نبض

فبرقع، كالعروس، صديقه

60- وصاح كالنسر

ومثل لبوة مبعدة عن أشبالها

أخذ يخطو ذهاباً وإياباً

ينتف وينثر شعره الأجعد

يخلع ويرمي الحلي التي (تزين) جسمه"[108]

وهكذا نلاحظ أن الحداد على أنكيدو بدأ بمرثية أطلقها عليـــه جلجـــامش الذي راح بعد ذلك، بحسب ما جاء في نص اللوح الثامن من الملحمة، يهيئ لمراســـم الدفن والحداد على صديقه بالطريقة التي استشهدنا بها على الصفحـــات الســـابقة. ويبدو أن مدة الحداد الرسمي كانت سبعة أيام يخلع بعدها ثوب الحداد ويحلق الشـــعر وتوضع الزينة كما يتضح من نص شاهد قبر أدد-جبي.

ومن وثيق الصلة بالموضوع أن نذكر هنا أن مفردة "الحداد" باللغة الأكديـــة هي "نِسَّتُ" (nissatu) ويرادفها بالسومرية **سا؟.با.لاكَـــاب** (SAG.PA.LAGAB). وكان يطلق على الشخص الذي في حداد باللغة الأكدية المصطلح "شَ نِسَّـــةِ" (a nissati) أي "ذو حداد" بالمعنى الحرفي العربي(109). أما الكاهن المسؤول عن المراســـم الجنائزية والمراثي فكان من الصنف المسمى "كَلو" (kal) باللغة الأكديـــة ويســـمى بالسومرية لو2 **كَالا** (GALA l) أو لو2 **شو**2 (l)(110). ويدعـــى رئيـــس هـــذا الصنف من الكهنة في اللغة الأكدية "جَلَماخُ" (galamāhu)، وذو المرتبة الصغيرة من الصنف نفسه "جَلَتُرُّ" (galaturru). ويتبعهم صنـــــف كـــان يدعـــى "جَلَئُسّـــو" (galauss)(111). وتوجد في اللغة الأكدية أسماء مختلفة للمراثي، وهذا يدل على أنـــه كانت هناك أنواع مختلفة منها. ويبدو أن أهم تلك الأنواع من المراثي هو الذي كان يسمى "لَلَّراةُ" (lallarātu). ويلاحظ أن كلمة "لَلَّرُ" استعملت في اللغة الأكدية نعتـــاً لطائر البوم(112). ومن أنواع المراثي الأخرى نذكر هنا ما كان يطلق عليه في الأكدية اسم "صيرخُ" (serhu)، وهو اسم مشتق من المصدر **ص ر خ** المطابق لفظاً ومعـــنىً للفعل صرخ في اللغة العربية ويرادفه بالسومرية **بـــالا؟.دِ** (BALAG.DI). وكـــان يطلق على منشد المراثي "ايبِش صيرخِ" (epi serhi)(113) بمعـــنى "مطلـــق مرثيـــة صيرخِ". ومن المصدر نفسه اشتق اسم "صِرِخـــــةُ" (sirihtu) لنـــوع آخـــر مـــن المراثي(114). وهناك مرثية تدعى بالأكدية "تَسِّسة" (tassistu) واسمها مشـــتق مـــن

الفعل **ن س س** (nasāsu) بمعنى "ناح، ندب"، ومرثية أخرى تدعى "زِمَّةُ" (zimmatu) وقد يستبدل حرف الزاي في أول الكلمة بحرف الدال فتصبح "دِمَّةُ" (dimmatu)[116] وفي هذه الحالة يكون الاسم المشتق من الفعل الأكدي **د م م** (damāmu) بمعنى "نشج"[117]. ونختم هذا الفصل بإيراد الترجمة الكاملة لثلاث مراثي دُوّنت بالخط المسماري، اثنتان منها بالسومرية وواحدة باللغة الأكدية. وهذه النصوص الثلاثة تُلقي مزيداً من الضوء على مراسم الحداد والشعائر الجنائزية فضلاً على ما تفصح عنه من عواطف القدماء ومشاعرهم إزاء الموت وفقدان الأحبة.

لقد جاءت المرثيتان السومريتان من مدينة نفر ويعود تاريخهما إلى حوالي 1700 قبل الميلاد. واللوحان اللذان دُوّنت عليهما هاتان المرثيتان محفوظان حالياً في متحف بوشكين في روسيا. والمرثيتان من تأليف أديب قديم يدعى لو-دنجرّا يرثي في الأولى أباه نانا وفي الثانية يرثي زوجته ناورتم.

المرثية الأولى: فيما يأتي ترجمة النص السومري لهذه المرثية التي تتألف من (112) سطراً[118]:

"بعث الأب ابنه إلى موضع بعيد

والابن الذي ذهب إلى الموضع البعيد لم يهمل وصايا 'تلك الأيام'

ولكن الأب الذي بقي في المدينة مرض، مرض المتألق الذي لا مثيل

له سوى في أقاصي الدنيا

عذب اللسان، ساحره، أضحى مريضاً

لقد مرض ولم يأكل، وكان في ضنى

لم يذق طعاماً بفمه المطبق وتمدد خاوياً

مثل لوح من الطين ....

البطل، ذو الريادة لم يحرك رجله
من مرضه .... ذوى من البكاء على أبنائه
إنه كسير الفؤاد هدّه النحيب
لقد مات النابغة في مدينة نفر، إنه صريع الجراح
وصل الخبر إلى ابنه وهو في السفر البعيد
كابن ما انفصل عن أبيه
عاد مرتدياً ثوب (الحداد) الذي أرسل له
ذرف الدموع ورمى نفسه في الوحل وأنشد عليه شعراً
ومن قلبه المتأجج كتب لو-دنجرّا مرثية (تقول):
'يا أبتي الصريع، يا نانّا يا راحلاً إلى العالم السفلي ضحية للمكائد
زوجتك-وياللعجب! كانت زوجة فأصبحت أرملة
إنها تدور حولك كالزوبعة ....
وهبت نحوك فاقدة صوابها
أطلقت صرخة ألم كما لو كانت في المخاض
مزقت ثوبها وهي تئن كالبقرة
وناحت وهي تذرف الدمع السخي
وغطت ما يصح
..... بالسواد.... الذي يجمع
يمسك القلب مغموراً بالهمّ
على من كان ينهض مبكراً
من بين المقيمات، كاهنة لوكر للإله ننورتا ألقت بنفسها في الوحل

وكالإله الحزين ....

صيحاتها المتألمة .... الشر

في وسط الرواق .... جعلت الناس ينثرون حبوباً وماءً

في وسط الفوضى، كاهنة اينتو للإله نسكو مزقت (ردائها) عليك و(لمست) طرف ثوبك

أبناؤك الذين كانوا يعاملون مثل أبناء ملك يأكلون ....

كلما يشربون ....

العسل والزبدة ....[119]

لقد ملأوا المائدة بالسمن من أجلك

والدموع التي ذرفوها عليك تستدر العطف

وحدادهم عليك هو حداد القلب الصافي

مثل القمح الذابل هم ....

عودة الطيور (التي) ترفع ....

زوجات أبنائك اللواتي كن يرددن: 'ياويلتاه! أين هو الآن؟ '

وقع عليهن الصمت من أجلك

بأحضان ....

.... الأصوات العذبة .... نام مثل ....

.... مرثية لك .... لا تنقطع

'آه يا أبتي، عسى أن يرتاح قلبك'

يا نانّا، عسى أن تسر روحك

إن كاهن اين ....

عسى أولئك الذين نجوا من قبضة الموت ....

إن قبضة الموت .... في .....

فالموت هو فضل الآلهة، وإن الموضع الذي يتقرر فيه المصير ...

عسى ذريتك .... ركبتك

إن بناتك .... لأجلك في ....

لقد حزن عليك أكابر مدينتك

ونبيلات مدينتك .... عليك

إن الأمَةَ، وهي على الرحى، تذرف الدمع عليك

والمنـــزل، حيث وضع ....

اكتسب فضةً وقمحاً وزادت فيه المقتنيات

عسى الابن البكر أن يقيم لك ..... أسساً راسخة

والرجل الذي قتلك مثل الذي .... القلب....

ذاك الذي هجم عليك بعنف قاس

والثأر الأكيد منه يعود للملك، الراعي، إلهك الحامي

وللمشورة الصادقة للإله-الشمس اوتو

وعسى أن يكون ذلك الرجل ملعوناً وليكن الموت نصيبه

ولتترك عظامه دون أن يدفنها أحد

وعسى ذريته .... وعسى أن يمحى اسمه

ولتكن أملاكه مثل طائر .... العصافير....

وعسى (آلهة) البلاد .... أن تعطف عليك ....كلمات، وعساهم أن يطمئنوك

يا نانّا عسى أن تسر روحك ويهدأ قلبك
عسى الإله اوتو، سيد العالم السفلي العظيم،
بعد أن ينور الأماكن المظلمة، أن يحكم قضيتك (بعطف)
عسى الإله ننا أن يقرر مصيرك (برحمة) في يوم المحاق
عسى الإله نرجال، الذي هو انليل العالم السفلي ....
عسى الموكلون بالطعام أن ينادوا باسمك ....
....
عسى السقاة أن يرووا ظمأك بالماء العذب
....
عسى جلجامش أن .... قلبك بالقوة
عسى نيدو وايتانا أن يكونا شفيعيك
عسى آلهة العالم السفلي أن يوصلوا الدعوات من أجلك
عسى أن يقول إلهك (الحامي) كفى! عسى أن يقرر مصيرك (برحمة)
عسى إله مدينتك .....
عساه أن يمحي عهودك وديونك
عساه أن يغفر إثم العائلة من الحساب
....
عسى الأرواح الصالحة أن تحميك
عسى الأبناء الذين أنجبتهم أن يتصدروا المواقع
عسى كل بناتك أن يحظين بالزواج
عسى أن يمحى الشر المخطط ضدك ....

عسى أن يكون الذين تركتهم وراءك سعداء ....

عسى أن ترتاح زوجتك ويتكاثر أقاربك

عسى أن يحظوا بالثروة والنعم يوماً بعد يوم

عسى أن لا تنقطع الجعة والشراب وكل الأشياء الطيبة عنك

عسى أن يتواصل دعاء عائلتك مع دعاء إلهك".

المرثية الثانية:

يعود لو-دنجرّا، الشاعر الذي عاش في مدينة نفر قبل حوالي ثلاثة آلاف وسبع مئة سنة، في اللوح الثاني ليسطر عليه قصيدة في رثاء زوجته ناورتم التي ماتت ميتة طبيعية بحسب ما يفهم من نص المرثية. وتتألف هذه المرثية من ستة وستين سطراً. ومن المهم هنا أن ننبه إلى أن صيغة اسم لو-دنجرّا سومرية، وكذلك اسم أبيه نانّا، أما اسم زوجته ناورتم فهو اسم أكدي. وفيما يأتي الترجمة الكاملة لهذه المرثية[120]:

"يوم الشؤم على الزوجة ....

على السيدة الجميلة، الزوجة العطوف، وقعت العين الشريرة

على العصفور وعلى عشه وقعت الشبكة

الأم الولود، أم الأبناء الكثر، وقعت بالفخ على حين غفلة

البقرة الصغيرة الزاهية، البقرة الوحشية المخصبة، سقطت محطمة مثل

إناء جاكول

وهي التي لم تقل يوماً 'إني مريضة' ولم تقلق

وهي التي لم تطأ يوماً على موضع مقدس

كأنه موضع راحتهم اندفعوا .... ولم تكن ....

لقد عم الظلام مدينة نفر، وفي المدينة ....

وأطلق الناس جميعاً صرخة حزن ....

....

وأغرقوا في الأسى على نهايتها المؤلمة

واعتصرهم الألم لتمددها كتمثال ذهبي

فمن هو الذي ينظر إليها ولا يتملكه الحزن؟

النساء النادبات (رددن) أروع ترانيم الشعراء ذات الكلمات العذبة

التي أطلقت في كل مكان ندباً ورثاءً

لأن .... عاد، أنشدوها حزناً عليها

لأن التي (لم تزل) صغيرة

.... حجر ....

لأن أيامها في حضن زوجها لم تطل، لم ينقطع البكاء

لأن من .... لم يرجع الإله ننورتا صيحة البهجة

محبوبتها كاهنة اينتو لم تدخل إلى الدير

لم يقبل الحمار الذي اختار الحمارة زوجة له قرباناً

لأن .... جلب إلى النهاية بجانبه

بسمو وعطف أطلق مرثية عليها، لأمها التي أنجبتها....عليها

حصصهم يجعلها من أجلها في ....

وجاءت أرواحهم قدامها، وتمزقت أجسادهم الشريرة

.... العاملون والأقارب ....

لأن .... من الركبة
لم يقفوا ....
كل حسناهم كانت ....
....
مثل رجال غاضبين، الأحجار .... مرض
النور في مدينتها من العلى .... لم يزدد
وحينها كان زوجها الحبيب وحيداً في مدينته نفر
لو-دنجرّا، زوجها الحبيب، كان وحيداً
في مدينته، في نفر ....
دنا منها بقلب كسير في .... موضع 'السكن العظيم'
أخذوا يده وقلوبهم مفعمة بالحزن
.... انقطع عن الأكل .... ونفسه مكظوم
وانتحب كالبقرة ولم يرتد ثياباً (زاهية)
إنه يتألم ويندبها: 'ياويلتاه! أين أنت الآن؟ إنني أبكيك
أين الإلهة ميمي الآن والروح الفاتنة؟ إنني أبكيك
أين سلاحي البهي الآن، الكنانة الزاهية؟ إنني أبكيك
أين أنت الآن، إشراقتي البهية؟ إنني أبكيك
أين الأغاني العذبة التي تبهج القلب؟ إنني أبكيك
أين سلاحي البهي الآن، الكنانة الذهبية التي تنير الروح؟ إنني أبكيك
أين رقصي، رقصة 'اليد المرفوعة' والمرح؟ إنني أبكيك
عسى أن لا يمحى ذكرك في الحياة، وعسى أن يذكر اسمك في الأيام

المقبلة وعسى أن تمحى خطايا عائلتك، وعسى أن توفى ديونك

عسى أن يحفظ زوجك، وعساه أن يفعل الخير مثل باقي الرجال

عسى أن يبشر أبناؤك بمصيرهم السعيد، وعسى أن يكتب لهم المستقبل السعيد

عسى أن تتقدم عائلتك، وعسى أن يكون مستقبلها مزدهراً

عسى الإله اوتو أن يجلب عليك النور في العالم السفلي وهو الذي يرعاك

عسى الإلهة ننكرا أن تنطق لصالحك، عساها أن تعلي من شأنك

لأن الريح العاتية هبت ضدك عسى أن يرجعها الأفق

وعسى أن تطلق لعنة قاسية على الشيطان الذي مد يده ضدك

ولأنك، الزوجة العطوف، قد رقدت مشرقة كالنور،

فهذي مرثية حزينة عليك".

المرثية الثالثة:

هذه المرثية مدونة باللغة الأكدية/الآشورية على رقيم طيني عُثر عليه في تـل قوينجق في نينوى. ويحمل الرقيم، المحفوظ حالياً في المتحف البريطاني تحت الرقم (K890)، نصاً آشورياً مدوناً على وجهيه وموضوعه رثاء امرأة لم يُذكر اسمها كما لم يُذكر اسم الشاعر الذي ألّف النص. ويتألف النص من 23 سطراً دوّن منها 14 سطراً على وجه الرقيم و9 أسطر على قفاه[121]. ونورد هنا قراءة النص باللغة الأكدية وترجمته العربية:

وجه الرقيم:

1-أنَ مِينِ كي ايليبّي إنَ قَبَل ناري نَداك
لماذا غدوت منطرحة مثل زورق في وسط النهر؟

2-شَبُر خوقِكِ بَتُقُ أشلِكِ
مكسورة عارضتك مقطوع حبلك

3-كَلولُ پَنيكِ نارَ لِبِّ أَلِ تيبرِ
مبرقع وجهك (وأنت) تعبرين نهر مدينة آشور

4-أكي لانَداكُ لا بَتُقُ أشلي
كيف لم أغدو أنا منطرحاً (و) ليس حبلي هو المقطوع؟

5-إنَ اومي إنبُ أشّونِ أكي خَدَكَ اناكُ
في اليوم الذي حملت الأعناب فيه كم كنت سعيداً

6-خَدَكَ اناكُ خَدِ خابريَ
'سعيدة أنا، سعيدة يا زوجي

7-إنَ اومي ولاديَ خيلويَ ايتَرِبُ پَنيَ
في يوم طلقات مخاضي ازّرق وجهي

8-إنَ اومي ولاديَ إتَّكرِمَ اينيَ
في يوم ولادتي غشيت عيني

9-پَتانِ اُپِنايَ أنَ بيلية-إلي اُصَلّى
مفتوحة أصابعي كانت (و) إلى الإلهة بعلة-ايلي أصلي

10-اُمُّ آلِدات أتِّ ايطِرِ نَپُلتي
ام الوالدات انت، انقذي حياتي

11-بيلية-إلي كي تَشَموني تُكتَلِّلَ پَنيشَ
الإلهة بعلة-ايلي حالما سمعتني برقعت وجهها'

12-..... أتِّ أنَ مينِ تُصَنَلني
'...... أنت لماذا تواصلين الصلاة لي؟ '

13-..... مُني إتّدي رِجَنشُ
'.......زوجي أطلق صرخة:

14-...... أشَّةْ لَلي ......زوجتي الجذابة'

قفا الرقيم:

15-...... شَ دورشَنابي .... الذي على مر السنين

16-..... كَقَّر خِبلاتي ....الأرض (ملأى) بالخبال

17-.....لِبِّ-أَلِ تَلَّك تَسِسّي نُبو ....تذهب إلى مدينة آشور ترنم بمرثية

18-....اومي أُتي إس خـــابري ....تلك الأيام (و) أنا مع زوجي أناكُ

19-إسِّشُ اشبَكُ رِئمَنيَ مقيمة معه، حبيبي

20-موتُ إنَ بيت مَيّاليَ إخلُـــــلَ الموت إلى بيت سريري تسلل خلسة خِلَّةُ

21-إسِّ بيتيَ اُسّيصانّي ياشي من بيتي أخرجني أنا

22-اسِّ پَن خابريَ إپَترسَنِّ ياشي من أمام زوجي فصلني أنا

23-شيبيَ إسَّكَنَ إنَ كَقَّر لاتاريَ وضع قدمي في أرض لا عودة لي (منها)'".

هوامش الفصل الثالث من الجزء الأول

(1)A. Leo. Oppenheim, **Ancient Mesopotamia**, (Chicago, 1964), p.79.
(2)S.N.Kramer, **The Sumerians**, p. 164.
(3)C.L.Woolley, **Ur of the Chaldees**, p.35.
(4)Ibid., pp.70 f.
(5)Ibid., pp.75 f.
(6) **The Archaeologists at work**, p.6
(7)C.L.Woolley, **The Sumerians**, pp.38f.
(8)C.L.Woolley, **Ur of the Chaldees**, pp.75-7
(9) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ط1، ص 278.
(10) C.L.Woolly, **Ur of the Chaldees**, p.43.
(11) Ibid., p.57.
(12) Loc. Cit.
(13) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ط1، ص278.
(14) C.L. Woolley, in **The Archaeologists at work**, p.5.
(15) C.L.Woolley, **Ur of the Chaldees**, pp.52f.
(16) C.L.Woolley, **The Sumerians**, p.40.
(17) Loc.Cit.
(18) C.L.Woolley, **Ur of the Chaldees**, p. 57.
(19) M.E.L.Mallowan, in **The Cambridge Ancient History**, 3rd ed., vol. I, 2 (chicago, 1971), pp.284f.
(20) Erich Zehren, **The Crescent and the Bull**, (London, 1962), p. 125.
(21) S.N. Kramer, **The Sumerians**, p.67.
(22) Roger Matthews, in **Dictionary of the Ancient Near East**, ed. By Piotr Bienkowski and Alan Millard, (London, 2000), p.310.

(23) C. L. Woolley, **Ur of the Chaldees**, pp.64 f.
(24) Ibid., pp. 60 ff.
(25) H.W.F.Saggs, **The Greatness that was Babylon**, pp. 378-9.
(26) تراجع البحوث المنشورة الآتية للمؤلف:

1-نائل حنون، **عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة**، (الطبعة الثانية/بغداد، 1986م)

2-ــــــ، "شخصية الآلهة الأم ودور الآلهة إنانّا/عشتار في النصوص السومرية والأكدية"، **سومر** 34 (1978)، ص ص 22-39.

3- ــــــ، "هل كان تموز في عقائد السومريين والأكديين إله الخصوبة أو من آلهة الموت؟"، **سومر** 36 (1980)، ص ص 39-52

4- ــــــ، "موت الإله دموزي (تموز) ومسألة قيامته في عقائد حضارة العراق القديمة"، **بين النهرين** 33-35 (1981)، ص ص 17-38، 165-184.

5- ــــــ، "قيامة الآلهة في أساطير الحضارات القديمة"، **الموقف الثقافي** 28 (2000)، ص ص 13-20.

6- ــــــ، **عقائد الحياة والخصب في الحضارة العراقية القديمة**، (بيروت، 2002).

(27) C.L.Woolley, **Ur of the Chaldees**, p.52.
(28) Ibid., pp.56ff.
(29) L. Ch. Watelin and S. Langdon, **Excavations at Kish**, 4, p.19.
(30) طه باقر، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، جــ1، ص 268.
(31) V.G.Childe, **New Light on the Most Ancient East**, p. 149.
(32) Ibid., p.215.
(33) نائل حنون، **عقائد مابعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة**،

ص ص 263-264.

(34) S.N.Kramer, in , pp. 50-2.

(35) قام بقراءة نص "موت جلجامش" المكتشف في تل حداد، الذي يكون مع تلول السيب موقع مدينة ميتورناة القديمة، كل من أنطون كافينو Antoine Cavigneaux وفاروق ناصر الراوي وقدماه للنشر بعنوان:

Gilgame et la mort. Textes de Tell Haddad VI, (Groningen : Styx Publications).

(36) Andrew George, **The Epic of Gilgamesh, a New Translation,** (London, 1999), pp. 195-208.

(37) كلاّب Kullab: أحد شطري مدينة أوروك

(38) نمتار Namtar: رسول ايرش-كيجال ملكة العالم السفلي المكلف بقبض الأرواح.

(39) خواوا، أو خمبابا: الوحش الذي كان يحرس غابة الأرز وقام جلجامش وأنكيدو بقتله بحسب ما يرد في "ملحمة جلجامش".

(40) اوتو Utu: الصيغة السومرية لاسم الإله الشمس شمش.

(41) " المدينةالعظيمة": من أسماء العالم السفلي الذي تقيم فيه أرواح الموتى بحسب معتقدات بلاد الرافدين القديمة.

(42) أنوناكي Anunnaki : اسم يطلق على آلهة السماوات والأرض في معتقدات بلاد الرافدين القديمة وحدد عددهم بـــ600 إله وآلهة، وقد ورد هذا الاسم في النص بصيغة انونا Anunna.

(43) ننجشزيدا Ningishzida ودموزي Dummuzi: إلهان من آلهة العالم السفلي وكانا يقيمان فيه ويقومان بواجبات محددة في مساعدة آلهتة الحاكمة الرئيسة. ودموزي الصيغة السومرية لاسم تموز وكان الكثير من الباحثين يعتقدون أنه

إله الخصب الذي يقوم من الموت سنوياً لضمان خصب الطبيعة، ولكن النصوص المسمارية، وبضمنها نص "موت جلجامش"، تثبت أنه كان أحد آلهة العالم السفلي المقيمين فيه باستمرار.

(44) يعدد النص أسماء آلهة مختلفة، وبعضهم من آلهة العالم السفلي، الذين كان الناس في بلاد الرافدين القديمة يقدمون لهم القرابين والتقدمات الجنائزية لكسب رضاهم وشفاعتهم للأموات. ويلاحظ أن اسم الإله سموقان ورد في السطر (ن3 20) بصيغة شكّان، وورد اسم الآلهة-الأم ننخرساج في السطر نفسه بصيغة ننخرسانجا.

(45) ايجيجي Igigi: اسم لمجموعة آلهة في معتقدات بلاد الرافدين القديمة مغاير لاسم انوناكي الذي شرح في الهامش (44). والاختلاف بين الاسمين يتمثل في أن ايجيجي يدل على الآلهة الكبار فقط، أما انوناكي فيدل على مجمع الآلهة كلهم. ومنذ العصر البابلي الوسيط أصبح اسم ايجيجي يدل على آلهة العالم السفلي فقط

(46) E.A. Wallis Budge, **Babylonian Life and History,** (London, 1925), p. 181.

(47) A. Heidel, **The Gilgamesh Epic and Old Testament Parallels,** p.139.

(48) H. Frankfort, **Kingship and the Gods**, (Chicago, 1958), pp. 244f.

(49) إن أحدث وأكمل الترجمات لملحمة جلجامش، حتى الآن، وهي الترجمة التي اعتمدناها هنا، هي المنشورة في المرجع الآتي:

Andrew George, **The Epic of Gilgamesh** (London, 1999)

(50) نامرَ-صت Namra-sit: من ألقاب الإله-القمر سين.

(51) خشبيشا Hu أو خشبيشاك: زوجة نمتار، وزير العالم السفلي في

معتقدات بلاد الرافدين القديمة.

(52) قَسّو-طابة Qassu-tabat: من أتباع إلهة العالم السفلي، لم يرد اسمه في نصوص أخرى.

(53) A.Heidel, , p.152.
(54) H.W.F. Saggas, **Everyday Life in Babylonia and Assyria,** (London, 1967), pp.100f.
(55) Jorgen Lassoe, **People of Anceint Assyria,** (London, 1963), pp. 44 ff.
(56) **Chicago Assyrian Dictionary** 2, p. 299: bubbulu; and 4, p. 398: etemmu.
(57) S. Langdon, **Babylonian Metnologies and the semitic Calenders,** p. 148: 21-22.
(58) A.Jeremias, **The Babylonian Conception of Heaven and Hell,** (London, 1902), p. 14.
(59) S. Langdon, **Babylonian Metnologies and the semitic Calenders,** p.20; ref. O. Schroder, **Keilschrifttext aus assur verschiedenen Inhalts,** 218, p.119.
(60) Ibid., p.22.
(61) A. Heidel, , pp.151-2.
(62) Ibid., p.152.
(63) **Chicago Assyrian Dictionary** 8, kispu.
(64) M. Jastrow, **The civilization of Babylonia and Assyria,** (Phladelphia, 915), p. 417.
(65) G. Van Dreil, **The Cult of Assur,** (Leiden, 1969), pp. 168f.
(66) **Chicago Assyrian Dictionary** 8, kispu.
(67) G.R. Castellino, **Two ulgi Hymns (B&C),** (Roma, 1972), pp. 56 f.
(68) **Chicago Assyrian Dictionary** 8, kispu.
(69) ملحمة جلجامش، اللوح الثاني عشر، السطران 293–294.

(70)
in **Iraq,** 35,2, (1937), p.120.
(71) Jeremy Black, A. George, and N. Postgate, **A Concise Dictionary of Akkadian,** (Wiesbaden, 1999), p. 161: kispu.

(72) Ibid., p.150: kasāpu.
(73) **Journal of Cuneiform Studies** 11 (1957), p. 27.
(74) **Chicago Assyrian Dictionary** 8, kispu.
(75) Miranda Bayliss, in **Iraq,** 35,2, (1937), p. 119.
(76) S.Langdon, in **Encyclopaedia of Religion and Ethics**, 4, (New York, 1958-9), p.445.
(77) A. Leo Oppenheim, **Anceint Mesopotamia, Portrait of a Dead Civilization,** (Chicago, 1977), p. 98.
(78) Ibid., p. 358; n.19.
(79) Jeremy Black, A. George, and N. Postgate, **A Concise Dictionary of Akkadian,** p. 241: naq.
(80) Miranda Bayliss, in **Iraq,** 35,2, (1937), p. 116.
(81) Jeremy Black, et.al., **A Concise Dictionary of Akkadian,** p.25: arūtu.
(82) **Chicago Assyrian Dictionary** 1: arūtu.
(83) C.L. Woolley, **Excavation at Ur,** p.108.
(84) Ibid.,pp.108f.
(85) Jeremy Black, et.al., **A Concise Dictionary of Akkadian,** p.196: maqqītu, maqq .
(86) Ibid., P.217:munaqqītu.
(87) C.L.Woolley, in **The Archaeologists at Work,** p.6.
(88) ملحمة جلجامش، اللوح الثالث، العمود الرابع: 3-15؛ وقد ترجمت هذه السطور من النص المسماري البابلي القديم المحفوظ في جامعة ييل في أمريكا.
(89) Andrew George, **The Epic of Gilgamesh.,** pp.187f.: 255-270
(90) A. Heidel, , pp.297.
(91) نائل حنون، **شريعة حمورابي: ترجمة النص المسماري مع الشروحات اللغوية والتاريخية**، ج5، (دمشق 2005م)، ص 165: 73-80.
(92) المصدر نفسه، ص 166: 31-40.
(93) المصدر نفسه: ص 167: 40-49.
(94) Miranda Bayliss, in **Iraq,** 35,2, (1937), p.117.

(95) Ibid., pp. 118f.
(96) Ibid., p. 123; No. 46.
(97) Loc.Cit.
(98) Ibid., p. 120.
(99) Andrew George, **The Epic of Gilgamesh.**, p. 59: 139-50.
(100) r World according to the Sumerian

Iraq 22, (1960), pp. 59-68.

(101) G. Contenau, **Everyday Life in Babylonia and Assyria,** (New York, 1966), pp.296 f.
(102) A. Heidel, , pp. 153f.
(103) Ibid., p. 153; n. 51.
(104) A.Jeremias, **The Babylonian Conception of Heaven and Hell,** (London, 1902), p.11.

(105) قراءة السطور 20-23 المترجمة هنا من النص المسماري على الكسرة B من الأسطورة التي اكتشفت في تل العمارنه في مصر والمحفوظة حالياً في برلين .(VAT 348)

(106) نائل حنون، **عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة،** ص ص 314-315: 170-179.

(107) قراءة السطور 1-5 من قفا اللوح الذي يحمل الرواية الأكدية/الآشورية الحديثة لنص أسطورة "نزول إنانا (عشتار) إلى العالم السفلي" وترجمتها هنا نقلاً عن النص المسماري.

(108) Andrew George, **The Epic of Gilgamesh.**, pp.63-5; VIII:1-64.
(109) Jeremy Black, et.al., **A Concise Dictionary of Akkadian,** p.255: nissatu.
(110) Ibid., p. 143: kal
(111) Ibid., p.88: galamāhu, galaturru, galauss.
(112) Ibid., p.176.: lallartu, lallaru.
(113) Ibid., p.336: serhu I.
(114) Ibid., p.339: sirihtu.

(115) Ibid., p. 401: tassistu.
(116) Ibid., p.447: zimmatu
(117) Ibid., p.54: damāmu.
(118) S.N. Karmer, The Sumerians, pp. 211-4.

(119) يتكرر ذكر تقديم العسل والزبدة في المآتم والشعائر الجنائزية، فقد مر بنا في المقطع الذي أوردناه آنفاً، في هذا الفصل، من ملحمة جلجامش/اللوح الثامن أن جلجامش قدم العسل بصحن من العقيق والزبدة بصحن من اللازورد في مأتم صديقه أنكيدو. وكذلك يرد ذكر تجهيز كميات من الزبدة والحليب للقرابين الجنائزية في رسالة عمي-ديتانا حول التحضير للشعائر الجنائزية لشهر آب، وهي الرسالة التي أوردنا ترجمة نصها في هذا الفصل أيضاً.

(120) S.N. Karmer, **The Sumerians**, pp. 214-7.
(121) Alasdir Livingstone, **Court Poetry and Literary Miscellanea,** (=STATE ARCHIVES OF ASSYRIA III), (Helsinki, 1989), pp. 37-9: No.15.